القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الاسبوعي
Weekly
السنة الثانية والثلاثون العدد 9934 الأحد 14 حزيران (يونيو) 2020 – 22 شوال 1441 هـ
Volume 32 - Issue 9934 Sunday 14 June 2020

18

حريات: هجرات المتوسط بين الكابوس والحلم

30

سجالات: بوح سليم بركات: ذاكرة للنسيان أم سيرة أخرى؟

36

درنة الليبية: عروس المياه والخصوبة

الحوار العراقي ـ الأمريكي: فرصة الكاظمي؟ 04

تحقيقات: الأغوار بيدر فلسطين وعيونها المتدفقة 28

لقب الليغا: ماذا يحتاج زيدان وسيتين؟ 38

«قانون قيصر»: عقوبات قاسية أم ضربة قاضية؟

في 17 حزيران (يونيو) الجاري يدخل «قانون قيصر لحماية المدنيين السوريين» مرحلة التنفيذ الفعلي الأولى، بعد أن أقره الكونغرس واعتمده الرئيس الأمريكي ترامب ضمن سلّة الدفاع الوطني للعام 2020، بما يتضمنه من استهداف لإيران وروسيا بصفة أساسية، وكذلك مختلف الجهات المتعاملة مالياً وتجارياً مع النظام السوري على امتداد العالم، فضلاً عن أفراد النظام والمؤسسات والكيانات التابعة له. وإذْ يرى البعض أن هذه عقوبات جديدة قاسية ولكنها تُفرض على اقتصاد سوري آخذ في الانهيار أساساً بدليل فقدان العملة الوطنية 70 % من قيمتها، يرى آخرون أن القانون قد يشكل ضربة قاضية للنظام تضاف إلى ما يعانيه أصلاً من مشكلات داخلية مزمنة ومعقدة.

(حدث الأسبوع 8ــ15)

■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Price List
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

علاقات التطبيع من السر للعلانية

إسرائيل ردا على الإمارات: السلام فرصة عظيمة للشرق الأوسط بأكمله

اعتصامات رافضة لضم أراضي الضفة الغربية

يساوي العتيبي بين الاحتلال وضحاياه بقوله إن الإمارات عارضت العنف من الطرفين، ويعترف باتصالات بلده السرية مع إسرائيل، ويفاخر بكونه أحد السفراء العرب الثلاثة الذين حضروا إعلان صفقة القرن.

الناصرة – «القدس العربي»: وديع عواودة

تكشف محاولات الإمارات التقرب من دولة الاحتلال بالاستجداء والعلنية عن احتمال تطور علاقات التطبيع بينها وبين دول الخليج وخروجها من المرحلة لتصبح سافرة و «على المكشوف». واستذكر المحلل في القناة الإسرائيلية 12 أمنون أبرامو فيتش، كيف تبدلت لاءات الخرطوم الثلاث وانقلبت الآية بعدما صارت دول عربية تلهث خلف التطبيع مع إسرائيل التي عانت طيلة عقود من الحصار وعدم الاعتراف. أبرامو فيتش المؤيد لتسوية الدولتين تابع متسائلا بسخرية هل يؤدي الاستسلام المجاني إلى سلام؟ وقالت القناة الإسرائيلية «أي 24» مبتهجة بتورط الإمارات على التطبيع المتصاعد، إن العلاقات السرّية بين إسرائيل وبعض دول الخليج تأخذ بالتطوّر بعيدا عن الأضواء جديدة. حيث كتب مقالا باللغة العبرية في أكبر صحف إسرائيل «يديعوت أحرونوت» يوم الجمعة قال فيه أن «إسرائيل لا يمكن أن تتوقع تطبيع العلاقات مع العالم العربي إن هي ضمت أراضي الضفة الغربية».

وأضاف «أن هذه الخطوة ستكون بمثابة استيلاء غير مشروع على أراض يسعى الفلسطينيون لأن تكون داخل دولتهم المستقبلية». وقال «الضم سيقلب فورا كل المطامح الإسرائيلية لعلاقات أمنية واقتصادية وثقافية أفضل مع العالم العربي ومع دولة الإمارات العربية المتحدة». وتابع العتيبة في تسجيل فيديو مصاحب للمقال «كل التقدم الذي رأيناه والمواقف التي تشهد تغيرا باتجاه إسرائيل، حيث أصبح الناس أكثر تقبلا لإسرائيل وأقل عداء تجاهها، كل ذلك قد ينسفه قرار بالضم». وأضاف السفير الإماراتي الذي سبق والتقى عددا كبيرا من المسؤولين الإسرائيليين في الماضي في الولايات المتحدة أن الضم «سيشعل العنف ويوقظ المتطرفين». وتطرق إلى الأردن فقال في المقال الذي يتركز في الحديث عن ميزان الربح والخسارة لإسرائيل، إن الضم سيكون له تأثير كبير عليه، مشيرا إلى أن بشكل وثيق مع إدارة أوباما ومن ضمن ذلك دفعنا خطة لخطوات تهدف لبناء ثقة تمنح إسرائيل الامتيازات على شكل علاقات متطورة مع دول عربية مقابل «حكم ذاتي كبير » للفلسطينيين والاستثمار بهم. نحن في الإمارات وقسم كبير من العالم العربي كنا نريد أن نصدق بأن إسرائيل فرصة لا عدوا. نحن نقف أمام مخاطر مشتركة ونرى الفرصة الكبيرة لعلاقات حميمية أكثر وقرارها بالضمّ إشارة لا يمكن فهمها خطأ. الضم سينقلب فورا على طموحاتها ببناء علاقات تعاون في الأمن والاقتصاد والثقافة مع العالم العربي ومع الإمارات.

من جانبها حذت حذوه هند مانع العتيبة مديرة الاتصال الاستراتيجي في وزارة الخارجية والتعاون الدولي في الإمارات عبر حسابها على تويتر باللغة العبرية «في الإمـارات العربية المتحدة ومعظم العالم العربي، نود أن نعتقد أن إسرائيل هي فرصة وليست عدوا». وتابعت «نواجه الكثير من المخاطر المشتركة ونرى الإمكانات الهائلة لاتصالات أكثر قربا. قرار إسرائيل بالضم سيكون علامة لا لبس فيها، عما إذا كانت ترى الأشياء بالطريقة ذاتها».

تضاعف الاستيطان

وأعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في 28 كانون الثاني/يناير من واشنطن خطته «صفقة القـرن» بين الإسرائيليين والفلسطينيين تنص على أن تضمّ إسرائيل مستوطناتها في الضفة الغربية ومنطقة الأغوار الفلسطينية التي تشكل مجتمعة ثلث مساحة الضفة الغربية. ويقيم في الضفة الغربية أكثر من نصف مليون إسرائيلي في مستوطنات وسط 2.7 مليون فلسطيني، تضاعف تعدادهم ثلاث مرات منذ توقيع اتفاق أوسلو عام 1993 الذي استغلته إسرائيل غطاء لفرض حقائق على الأرض داخل الضفة الغربية. وكما كان توقعنا، رحبّ الإسرائيليون بخطة ترامب عدا أوساط من المستوطنين وبقايا اليسار الصهيوني، فيما رفضها الفلسطينيون رفضا قاطعا. وطالب الاتحـاد الأوروبي أيضا الحكومة الإسرائيلية بالتراجع عن مخطط الضم، مذكرا إياها بأن الاستيطان مخالف للقانون الدولي، ومحذرا إياها من أن الاتحاد سيضطر لاتخاذ موقف «صعب» في حال مضت إسرائيل في مشروعها. إلا أن الاتحاد الأوروبي لم يعلن عن كيفية الرد على مشروع الضم إذا ما أصبح واقعا، وأي عقوبة محتملة تحتاج موافقة الأعضاء الـ27. كما حذرت منظمة التعاون الإسلامي، من أن المخطط الاستعماري الإسرائيلي لضمّ أجزاء من الضفة الغربية يمثل «تصعيداً خطيراً» لإجـراءات الدولـة العبرية ضد الفلسطينيين و«إنهاء للتسوية التفاوضية».

وسبق أن أعلن رئيس الوزراء الفلسطيني محمد اشتية أن السلطة الفلسطينية قدمت إلى اللجنة الرباعية حول الشرق الأوسط (الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة وروسيا والولايـات المتحدة) «اقتـراحـا مضادا» للخطة الأمريكية.

الجزر بدل العصى

ويمضي العتيبي بقوله إن الإمارات أيدت طيلة سنوات السلام في الشرق الأوسط، وعملت لتقليص النزاعات وتقديم محفزات لأجله عن طريق تقديم «الجـزر بـدلا من العصي» لنفعة كل الأطراف. وتابع مساويا بـين الاحـتـلال وبـين ضحـاياه «عارضت الإمـارات العنـف من الطـرفـين وقمنا بتعريف حزب الله كتنظيم إرهابي ونددنا بتحريض حماس واستنكرنا الاستفزازات الإسرائيليـة وبقينا دائمـا مناصرين متحمسين للشعب الفلسطيني ومناصرين قدامى لمبادرة السلام العربية». ويعترف العتيبي بقيام الإمارات باتصالات سرية مع إسرائيل في الماضي بإشارته لـ «مداولات دبلوماسية هادئة» منوها لإرسال رسائل علنية أيضا من أجل تغيير ديناميكية التقدم، مفاخرا بكونه أحد السفراء العرب الثلاثة الذين شاركوا المؤتمر الصحافي مع رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو الذي أعلن فيه الرئيس ترامب عن «صفقة القرن» في مطلع العام الجاري. وتابع العتيبة متحاشيا استخدام كلمة «دولـة فلسطينية» عملت «استقرار الأردن، الذي يعتبر أحيانا أمراً مفروغا منه، يفيد المنطقة بأكملها، ويفيد إسرائيل على وجه الخصوص». في مقاله يحاول العتيبي التزلف لإسرائيل فيشرح لها ما ستخسره في حال قامت بالضمّ فيقول إن الإمارات تريد أن تؤمن أنها فرصة لا عدوا، فرصة لعلاقات دافئة أكثر.

القوى الإقليمية التي أشعلت الحريق الليبي تمنع رجال الإطفاء من إخماده

قوات الوفاق في ترهونة

تطرح الانتصارات التي حققتها قوات حكومة الوفاق أسئلة عن مآل الصراع العسكري مع قوات حفتر، ومدى تأثير محاولات استئناف الحوار السياسي في الحد من تدهور الوضع العسكري.

رشيد خشانة

الأرجح أن الأعمال الحربية ستستمر، لمنع قوات حفتر من التقاط أنفاسها ومعاودة تنظيم صفوفها، بُغية منع سقوط مدينة سرت في أيدي قوات الحكومة الشرعية. وترتدي سرت أهمية خصوصية، لكونها ظلت مؤيدة لعمر القذافي خلال انتفاضة 17 شباط/فبراير 2011 ما يعني وجود حاضنة اجتماعية لقوات الجنرال حفتر، وهو أحد الأسباب التي تفسر طول المعركة من أجل السيطرة عليها. إلا أن الخبير العسكري محمود مرزوغي أكد أن حرب المدن مُعقدة وصعبة، بسبب وجود أحياء آهلة بالسكان. واعتبر أن أحد العناصر التي جعلت حملة حفتر على طرابلس تُخفق، بعد أربعة عشر شهرا من القصف الجوي والمدفعي، الخسائر الكبرى في صفوف المدنيين، وما أثارته من احتجاجات وإدانات دولية.

وأوضح العميد المتقاعد مرزوغي لـ«القدس العربي» أن ميزان القوى العسكري كان متكافئا نسبيا بين الطرفين خلال حصار طرابلس، إلا أن دخول تركيا الحرب بكل ثقلها، قلب ميزان القوى العسكري لصالح حكومة الوفاق. واعتبر أن «الطرف المقابل لم يستشرف مستقبل معركة طرابلس ولم يستعد للتكيُّف مع تغيير الموازين العسكرية، في أعقاب ميلان الكفة لصالح خصمه الوفاق». وعلى الرغم من أن بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا، أعلنت الأربعاء انخراط وفدي حكومة الوفاق وحفتر بشكل كامل في الجولة الثالثة من محادثات اللجنة العسكرية المشتركة (المعروفة بـ5+5)، فإن القتال لن يتوقف على الأرجح، لأن القوى الإقليمية التي أضرمت الحريق الليبي ستمنع رجال الإطفاء الأنان من إخماده. وهذا ما لاحظته بعثة الأمم المتحدة للدعم، التي أكدت أن التقارير التي تلقتها، أظهرت «تحشيدا وتصعيدا في مدينة سرت وما حولها» ما يثير قلقها الذي تعمق بعد الكشف عن المقابر الجماعية التي تركتها قوات حفتر بعد انسحابها من ترهونة.

من هنا ربما تكون معركة سرت غير قصيرة، لأن معارك المدن شائكة ومعقدة، وتُسبب ضحايا كثيرا بين المدنيين. وإذا ما استطاعت قوات «الوفاق» استعادة المدينة، فإن السؤال الذي يُطرح هو التالي: هل ستُكمل الطريق إلى بنغازي؟ وجواب الخبراء العسكريين أن السير نحو عاصمة برقة، لن يكون سهلا بسبب طول المسافة (أكثر من 700 كلم)، الذي سيجعل خطوط التموين والإمـدادات صعبة، وسيُنهك الجُند، فضلا عن العقبة المتمثلة بالكثافة السكانية. وهذا يعني أن مسودة اتفاق وقف إطلاق النار، الذي قدمته بعثة الأمم المتحدة إلى الطرفين في 23 شباط/فبراير الماضي، يمكن أن تبقى حبرا على ورق. ويتوقع مرزوغي أن تكون معركة بنغازي عسيرة لثلاثة أسباب أولها أن القوى الإقليمية التي تقف وراء حفتر لن تقبل بسهولة بالهزيمة، بعدما استثمرت الكثير في مشروعه، وثانيها أن قوات حفتر ستسعى إلى التقاط الأنفاس من أجل إعادة تنظيم صفوفها، أملا بوقف الهروب الكبير، وثالثا لأن بنغازي قريبة من الحدود مع مصر، بما يجعل الأخيرة قاعدة خلفية تعتمد عليها قوات حفتر لمجابهة قوات «الوفاق» المدعومة تركيّا. وقد تستدرج قوات حفتر القوات الموالية لـ«الوفاق» إلى المنطقة الشرقية، حيث توجد أكبر القواعد التي يسيطر عليها حفتر، لإحداث انقلاب في مسار الحرب.

استرجاع الحقول والموانئ

بموازاة المسار العسكري الذي أبقى زمام المبادرة حتى الآن، بيد «الوفاق»، وجدت حكومة السراج نفسها أمام تحد كبير يتمثل بحاجتها لاستعادة الحقول والموانئ النفطيةً من قوات حفتر. لكن ما أن أعلنت «مؤسسة النفط الوطنية» (قطاع عام) إعادة فتح حقلي الشرارة، وهو أكبر الحقول الليبية بـ300 ألف برميل في اليوم، والفيل بـ70 ألف برميل في اليوم، حتى اقتحمتهما جماعة مسلحة وسيطرت عليهما مجددا. وتدخل السفير الألماني لدى ليبيا في الأمر، إذ أثار الموضوع في سلسلة من اللقاءات المنفصلة جمعته، في الأيام الأخيرة مع حفتر وعقيلة صالح. وصرح السفير إثرها بأنه تبادل وجهات النظر معهما حول متابعة مؤتمر برلين «سبيل رفع الحصار عن البنية التحتية النفطية ليستفيد منها كافة الليبيين». وتُعتبر معاودة تصدير النفط من أهم الأولويات لدى حكومة الوفاق حاليا لإفشال خطة الخنق المالي، إذ يُقدر خبراء اقتصاديون ما خسرته في أعقاب 142 يوما من الحصار، الذي كان مضروبا على الحقول والموانئ بأكثر من ستة مليارات دولار.

هدف روسيا

ارتدت المعارك التي تكسبُها قوات حكومة الوفاق الليبية، مُتقدمة نحو الشرق، وخاصة إذا ما استعادة مدينة سرت وقاعدة الجفرة، أهمية كبيرة، لأن استرجاعهما يقطع الطريق أمـام آمـال موسكو بإقامة قواعد فيهما، مثلما يُخطط الـروس. وأكد بيان أصدرته حكومة الوفاق في الأيام الأخيرة، لإيضاح أسباب اعتقال الروسيين مكسيم شوغالي وسامر سعيفان، أن «الهدف الإستراتيجي للعمل الجاسوسي هو الظفر بقاعدة عسكرية روسية في ليبيا، ومنع الولايات المتحدة من إقامة قاعدة لها، والسيطرة على صناعة البترول والغاز الليبي» حسب البيان. ويعمل شوغالي وسعيفان في شركة «فلنسكي استروف» المملوكة لرجل الأعمال الروسي يفغيني بريغوجين، صاحب الشركة الأمنية «فاغنر» والصديق الحميم لفلاديمير بوتين.

أما الخاسرون في الحرب، من مصر إلى الإمـارات إلى فرنسا، فيخشون من استثمار تركيا تفوقها العسكري في ليبيا، للمضي في تنفيذ مشروع التفتيش عن النفط والغاز في شرق المتوسط. وأبـدى خبراء ومحللون غربيون، وخاصة في فرنسا، مخاوف كبيرة من «تحويل المتوسط إلى بحيرة تركية»، بالنظر للعلاقات الجيدة التي تربط أنقرة بكل من الجزائر وتونس، فضلا عن إزاحتها روسا من سباق النفوذ في شرق المتوسط.

وتستثمر روسيا دعمها القوي للجنرال المتقاعد حفتر، من أجل وضع قدم ثابتة في السواحل الليبية، التي لا يقل طولها عن 1700 كلم، وهي الأطول في المتوسط، بعدما عززت حضورها في الموانئ السورية، وخاصة في قاعدة حميميم الجوية في اللاذقية، المخصصة للموروحيات. وتمتلك روسيا في سوريا قاعدتين عسكريتين، الأولى هي حميميم، والثانية قاعدة طرطوس البحرية، وهي القاعدة البحرية الوحيدة للروس في المتوسط، ولذا فهم يسعون إلى إقامة قاعدة أخرى في طبرق شرق بنغازي، القريبة من الحدود الليبية المصرية.

وكان الرئيس بوتين أصدر مرسوما، الشهر الماضي، أوعز فيه لوزيري الدفاع والخارجية الروسيين، بإطلاق محادثات مع الجانب السوري، بُغية تسليم العسكريين الروس مزيدا من المنشآت، وتوسيع حضورهم البحري في سوريا. وأتى المرسوم تكملة للاتفاقية المبرمة في آب/ أغسطس 2015 بين موسكو ودمشق، والمتعلقة بنشر قطع من سلاح الجو الروسي في سوريا.

الحصاد التركي

في المقابل كسب الأتراك من وراء انتصارات حلفائهم في حكومة «الوفاق»، على أكثر من صعيد، فهم أثبتوا فعالية الأسلحة التي تم استخدامها في معركة طرابلس، والتي تفوقت على السلاح الروسي. كما أن الحرب التي حسمت مصيرها الطائراتُ المُسيرة، أظهرت نجاعة طرازي «بيرقتار» و«أنكا» التركيين اللذين سيطرا على الأجواء الليبية. وبدا البيت الأبيض مرتاحا للدور التركي في منع الـروس من السيطرة على طرابلس، واستطرادا على ليبيا، مثلما رشح من المكالمة الأخيرة بين ترامب واردوغـان. فبالرغم من أن اردوغـان قرر خوض معركة طرابلس من دون التنسيق مع أمريكا، التي انسحبت من المسرح الليبي منذ فترة، فإن الأمريكيين لا يمكن إلا أن ينظروا بعين الرضا، لتحرير العاصمة الليبية من قبضة حفتر والـروس، بدعم حاسم من تركيا العضو في حلف شمال الأطلسي. وأتى الرفض الأمريكي المُبطن لـ«المبادرة» المصرية في مثابة دعم للدور التركي في الحرب. ومن غير المستبعد أن تلعب أمريكا دورا أكثر حيوية في المسار السياسي، لإنهاء الصراع، بتنسيق أكبر مع تركيا، مثلما رشح من التصريحات الأخيرة لمساعد وزير الشؤون الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط ديفيد شينكر، الذي قال مُعلقا على «المبادرة» المصرية، إن واشنطن تعتبر أن العملية الأممية ومنصة برلين تشكلان إطارا أكثر فعالية (من المبادرة المصرية) لإطلاق المفاوضات من أجل تحقيق تقدم في مسألة وقف إطلاق النار.

مصر والجزائر وتونس

ولوحظ أن الموقف الجزائري لم يكن بعيدا عن الموقف الأمريكي في طريقة رفض «المـبـادرة» المصرية، إذ شدد الجزائريون مجددا على استمرارهم بـ«الوقوف على مسافة واحدة من الأشقاء الليبيين» وبذل الجهود في مختلف الأصعدة من أجل التوصل إلى تسوية سياسية. هل يدل بيان الخارجية الجزائرية على أن جهودا جديدة ستُبذل للسير في طريق المفاوضات السلمية؟ وهل أن هذا الموقف الجزائري متكاملٌ مع دور محتمل لدول الجوار، وخاصة تونس التي تتولى رئاسة فريق العمل الخـاص بحفظ السلام، بمجلس الأمن، المختص بمتابعة سير عمليات حفظ السلام في العالم وتطويرها؟ من غير الممكن الحديث عن مبادرة آتية من دول الجوار (مصر والجزائر وتونس) لأن القاهرة تخلت عن المبادرة الثلاثية منذ فترة بعيدة، وهي منحازة انحيازا كاملا لأحد الطرفين المتصارعين، مثلما أكدت ذلك «مبادرتها» الأخيرة. وعلاوة على ذلك، حرّكت أخيرا رتلا من الدبابات إلى حدودها الغربية، ما يُشكل تهديدا لقوات الوفاق في حال استكملت زحفها نحو الشرق.

أما تونس التي كانت أيضا طرفا في المبادرة الثلاثية فاتجهت إلى مجلس الأمن مباشرة لتُقدم «مقترحات ومبادرات في شأن الأزمة الليبية»، قبل اجتماع المجلس، التي هي عضو غير دائم فيه. ويرأس الاجتماع وزير الخارجية الفرنسي جون ايف لودريان، المعروف بكونه مهندس الدعم الفرنسي، العسكري والدبلوماسي، لحفتر، منذ كان وزيرا للدفاع في عهد الرئيس السابق فرانسوا أولاند.

صفقة مع أمريكا؟

وفي ظل تباعد مواقف دول الجوار من الصعب أن يكون لها موقف موحد لدى مناقشة الأزمة، وهو وضع سيكون في صالح الأتراك والروس، الذين سيقبضون على مفتاح الحل، في إطار سعيهم المشترك لإخراج الأوروبيين من اللعبة، على غرار العلاقة القائمة بينهما في سوريا. وتحدث الرئيس التركي اردوغان، بشكل صريح، عن «إمكانية عقد صفقة مع الولايات المتحدة في ليبيا» خلال مكالمة هاتفية جرت يوم الإثنين بينه والرئيس الأمريكي ترامب. وحسب موقع «بلومبيرغ» لم تعترض إدارة ترامب على التدخل العسكري التركي في ليبيا، على أمل أن يؤدي إلى توجيه ضربة لطموحات روسيا في هذا البلد، حيث تُمني النفس بالحصول على موقع متقدم في مشاريع إعادة الإعمار، وغيرها من العقود المدنية والعسكرية مع الحكومة الليبية بعد نهاية الحرب.

الحوار العراقي الأمريكي فرصة الكاظمي لإنقاذ بلده من الانهيار ونفوذ إيران

لقاء عسكري أمريكي عراقي في الموصل

يأمل العراقيون أن يحافظ وفدهم في الحوار، على حد من السيادة والمصالح، وسط ضغوط أمريكية لتحجيم نفوذ إيران في البلاد، ورغبة إيرانية لإضعاف علاقة العراق بأمريكا.

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

مع انتهاء الجولة الأولى من الحوار الاستراتيجي العراقي الأمريكي لتنظيم العلاقات بين البلدين، تبدو النتائج مرضية لحكومتي البلدين، رغم ضغوط كبيرة مورست على حكومة بغداد من قبل القوى الشيعية، وسط تناقض مواقف وأهداف الساسة العراقيين، إضافة إلى وجود ضغوط قوية من الجار الشرقي الذي يأبى إلا أن يجعل الحوار صفحة ضمن سيناريو الصراع الإيراني الأمريكي في المنطقة.

وتبدو نتائج الجولة الأولى للحوار الذي جرى عبر دائرة تلفزيونية مغلقة، مرضية لحكومتي البلدين، اللتين أكدتا في بيان مشترك عقب الحوار، المبادئ المتفق عليها في «اتفاقية الإطار الاستراتيجي» عام 2008 كما تعهدت الولايات المتحدة تزويد العراق بالمستشارين الاقتصاديين لتعزيز مستوى الدعم الدولي لجهود حكومة العراق الإصلاحية، بما في ذلك الدعم المقدم من المؤسسات المالية الدولية، ومشاركة الشركات الأمريكية في مشاريع الاستثمار في قطاع الطاقة والمجالات الأخرى، إضافة إلى «مساعدة العراق في تطبيق برنامجه الحكومي والإصلاحي، لاستعادة الاستقرار، وإعادة إعمار البلد، وتنظيم انتخابات حرة وعادلة ونزيهة».

وعن القوات الأمريكية في العراق، تعهدت واشنطن بمواصلة تقليص عدد تلك القوات والحوار مع الحكومة العراقية حول وضع القوات المتبقية، مؤكدة أنها «لا تسعى إلى إقامة قواعد دائمة أو تواجد عسكري دائمي في العراق» فيما التزمت حكومة العراق بحماية القوات العسكرية للتحالف الدولي، والمرافق العراقية التي تستضيفهم. واتفق الطرفان على مناقشة تفاصيل العلاقات خلال اجتماع لجنة التنسيق العليا للحوار الاستراتيجي في واشنطن في تموز/يوليو المقبل.

ومن أجل امتصاص المواقف المعارضة للحوار أكد رئيس الحكومة مصطفى الكاظمي «أن هذا الحوار سيعتمد على رأي المرجعية الدينية العليا والبرلمان وحاجة العراق». وفيما عد الحوار إنجازا، فقد شدد على «كفى للحروب والشعارات، لأننا نريد للعراق أن يكون ساحة للسلام وليس للصراع» في تأكيد على نهج حكومته بالانفتاح على الولايات المتحدة ودول أخرى لإنقاذ اقتصاد البلد المنهار.

وقبيل انطلاق الحوار، شنت القوى الشيعية حملة ضغوط على اللقاء لتوجيهه وفق أهدافها التي تتركز على تحديد موعد لانسحاب القوات الأمريكية، حيث شن حلفاء إيران، موجة من التشكيك والتخوين للوفد العراقي المفاوض، باتهامه بمحاباة الولايات المتحدة، رغم كون أغلب أعضائه من هيئة السلطة وهم جزء من العملية السياسية بعد 2003 فيما شددوا على الالتزام بقرار مجلس النواب الصادر في كانون الثاني/يناير 2020 والداعي لإخراج القوات الأمريكية من البلد، والذي مرره النواب الشيعة فقط، بمقاطعة النواب السنة والكرد، لأنه يهدف لترك الساحة بالكامل لنفوذ الجار الشرقي.

وترافقت ضغوط الأحزاب والميليشيات الشيعية على الوفد العراقي المفاوض، مع هجمات صاروخية جديدة في محيط مطار بغداد والمنطقة الخضراء، كما تصاعدت عمليات الاغتيالات والعنف من ميليشيات مسلحة، إضافة إلى تحريك الشارع في تظاهرات رافضة لإجراءات الحكومة التقشفية لمواجهة الأزمة المالية.

وفي المقابل شكى الساسة السنة من استبعادهم من الوفد التفاوضي، وعدوه امتدادا لنهج القوى الشيعية بإقصاء المكون السني عن المشاركة في القضايا المصيرية للعراق، فيما يبدو الجانب الكردي مرتاحا لوجود وزير الخارجية الكردي (فؤاد حسين) المسؤول عن الوفد المفاوض، إضافة إلى تصريحات علنية للقادة الكرد بعدم استعداد حكومة الإقليم للتخلي عن تحالفها التاريخي مع واشنطن.

وإذا كانت مبررات السياسة السنة والكرد لدعم التعاون العراقي الأمريكي هي مواجهة تنظيم «داعش» وللحصول على المساعدات الاقتصادية والعسكرية الأمريكية، فإن الدافع الأهم هو الحرص على خلق توازن بين الدعم الأمريكي للكرد والسنة مقابل الدعم الإيراني للشيعة.

أما إيران، فإنها استبقت الحوار العراقي الأمريكي، عبر حراك متعدد الاتجاهات لزيادة التعاون مع حكومة الكاظمي، منها زيارة وفود اقتصادية وأمنية إلى بغداد وعقدها اتفاقيات جديدة لبيع الطاقة الكهربائية والغاز للعراق، إضافة إلى عقد لقاءات مع القادة الشيعة لتنظيم الموقف الشيعي من الحوار، كما اجتمع السفير الإيراني مع وزراء الخارجية والعمل والنفط والصحة الجدد، لتوسيع العلاقات بين البلدين وإعادة فتح الحدود بينهما، ولتسهيل دخول العمالة الإيرانية والزوار الإيرانيين إلى العراق رغم كون إيران بؤرة انتشار وباء كورونا.

وحسب المصادر الأمريكية فان واشنطن تسعى من خلال الحوار، الحصول على تعهد من الحكومة العراقية بحماية الدبلوماسيين والعسكريين الأمريكيين العاملين في العراق وتنظيم مستقبل وجود قواتها، مع ضبط الميليشيات المدعومة من إيران والحد من التدخل الإيراني في الشؤون العراقية، وتقليل التعاملات الاقتصادية معها عبر إيجاد بدائل عن شراء الطاقة الكهربائية والغاز الإيراني.

وفي المقابل تتعهد الولايات المتحدة بمساعدة العراق لمواجهة الأزمة الإقتصادية الناجمة عن انخفاض أسعار النفط وتفشي كورونا، إضافة إلى مجالات التعاون والدعم الأخرى.

وعدا الجانب العسكري للحوار، تعول حكومة الكاظمي على تحقيق اتفاق عراقي أمريكي يوفر لها معونات اقتصادية، هي في أمس الحاجة لها في أزمتها المالية الخانقة، كما يبعد عنها شبح عقوبات أمريكية قد تفرض عليها إذا أخفق ذلك الحوار.

ومع أفق محدود لدى العراقيين بأن يكون الحوار فرصة لتخفيف النفوذ الإيراني في العراق، ومع القناعة لديهم بأن الحوار العراقي الأمريكي لا يستند إلى قوتين متقابلتين متكافئتين، إلا أن بصيصا من الأمل يبقى بأن يحافظ الوفد العراقي في الحوار، على الحد المقبول من السيادة والمصالح العراقية، وسط ضغوط أمريكية جدية لتنظيم علاقة العراق مع إيران وتحجيم نفوذها في البلاد، وبين رغبة إيرانية لإضعاف أو تحجيم علاقة العراق بالولايات المتحدة لصالحها، فيما تأمل حكومة بغداد أن لا يكون الحوار بوابة لتصعيد الصراع الأمريكي الإيراني، بما يؤدي إلى تفاقم الأزمات الخانقة الراهنة في العراق والمنطقة.

تبديد «ملكي» أردني للتكهنات: الوباء يحسم موعد الانتخابات وحكومة الرزاز «باقية قليلا»

لدى الجميع رغبة في التجديد ورؤية مؤسسة برلمانية حقيقية ورموز شابة فاعلة تلعب دورا في استعادة المبادرة وملء الفراغات في السنوات الأربع المقبلة.

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

بدت محاولة ملكية مرجعية لتبديد الانطباعات والتقولات في البورصة السياسية المحلية بخصوص ملفات عدة أهمها موعد الانتخابات البرلمانية المقبلة ومصير الحكومة الحالية برئاسة الدكتور عمر الرزاز.

عمليا وسياسيا وجه الملك عبد الله الثاني الرسائل المبكرة في الاتجاه المضاد للجدل عندما زار مقر رئاسة الوزراء بعد ظهر الثلاثاء الماضي.

الزيارة في حد ذاتها والتوجيهات التي أعقبتها رسالة لجميع الأطراف بعدم وجود استحقاق سريع تحت عنوان التغيير الوزاري الخاطف.

بمعنى آخر ثمة شبه قرار بأن حكومة الرئيس الرزاز باقية قليلا على الأقل أو ليست بصدد الرحيل السريع، الأمر الذي يفتح الباب عمليا أمام حسم مسألة التغيير الوزاري المتسارع، وتمكين الطاقم الوزاري من العمل ثم خيارات التعديل.

لا يريد الملك ضغطا إضافيا على الحكومة، ونبه علنا من أن يعتقد الجميع بأن أزمة كورونا انتهت، بل حرص على التذكير بالدقة والعمل المتناسق جدا والبقاء في دائرة التقصي الوبائي، معتبرا أن السيناريو الأسوأ هو الاضطرار لإغلاق البلاد مجددا في إشارة مباشرة وواضحة هنا إلى الكلفة الاقتصادية.

عندما تعلق الأمر بملف الانتخابات البرلمانية أراد مركز القرار لفت نظر الجميع إلى أن العنصر الأساسي في حسم مسألة توقيت الانتخابات هو «الوضع الوبائي».

قالها ملك الأردن بوضوح معتبرا بأن الوضع الوبائي هو الاعتبار الذي سيتحكم بتوقيت الانتخابات ضمن المحددات الدستورية.

بين الأسطر رد هنا على بعض وجهات النظر التي تربط أحيانا بين الانتخابات الأمريكية أو الوضع في فلسطين وإسرائيل أو حتى أزمات المنطقة، وبين إجراء الانتخابات في الأردن حيث يشير الملك بوضوح إلى أن الاعتبارات الوطنية فقط هي التي ستحكم توقيت الانتخابات وليس أي اعتبارات أخرى، مشيرا إلى أن البلاد سبق أن اجريت فيها الانتخابات في ظل أزمات متعددة معتادة عليها.

مناخ أزمة السيولة النقدية وسلسلة تحديات القطاع الخاص أيضا من العناصر الأساسية التي يمكن أن تؤثر في البعد الاقتصادي للانتخابات البرلمانية والتي يتكلف خلالها أكثر من ألف مترشح ملايين الدنانير.

لم يتضح بعد موقف الحركة الإسلامية باعتبارها الحزب الأكثر تنظيما وترتيبا بالمسار الانتخابي حيث المراوحة ما بين المشاركة والمقاطعة وحيث بوصلة فالحديث عن مجلس نيابي بهوية متنوعة ومختلفة متواتر. والحديث بالتوازي عن إجراءات ضد المال السياسي يتزايد، وفكرة المداهمات التي تتخذ شكل التدقيق بالضريبة لمؤسسات وشركات كبرى قد تؤثر على الكثير من مجريات الترشيح بسب ارتباط العديد من المؤسسات التي دوهمت ببرلمانيين سابقين أو حتى حاليين.

تحديات القطاع الخاص أيضا من العناصر الأساسية التي يمكن أن تؤثر في البعد الاقتصادي للانتخابات البرلمانية والتي يتكلف خلالها أكثر من ألف مترشح ملايين الدنانير.

لم يتضح بعد موقف الحركة الإسلامية باعتبارها الحزب الأكثر تنظيما وترتيبا بالمسار الانتخابي حيث المراوحة ما بين المشاركة والمقاطعة وحيث بوصلة رسمية وأمنية تترسم في المحصلة بناء على تقديرات وتفصيلات حجم ومستوى ومنسوب مشاركة الإخوان المسلمين في الانتخابات المقبلة.

وإلى ان تحسم مثل هذه الاعتبارات يبقى المزاج الانتخابي في الشارع الأردني محكوما من حيث معدلات نسبة المشاركة بالقوى الاجتماعية المؤثرة حيث تجري اليوم مشاورات مكثفة خلف الستارة تحاول الموازنة ما بين هندسة هوية مجلس النواب المقبل بدون مفاجآت وبعيدا عن المال السياسي وقطاع المقاولات وبدون أغلبية تمثل المعارضة الإسلامية أو غيرها بالتوازي مع رغبة الجميع في التجديد ورؤية مؤسسة برلمانية حقيقية ورموز شابة فاعلة تلعب دورا في استعادة المبادرة وملء الفراغات في السنوات الأربع المقبلة.

تلك في كل حال قراءات مبكرة لكنها أساسية حيث رغبة في التخفيف من ثقل المركز العشائري في السلطة التشريعية وسعي لبقاء مقاعد المعارضة قيد الانضباط ومحاولة لعدم المجازفة بعودة أكثر من 40 في المئة في أسوأ الأحوال من رموز البرلمان الحالي، من دون توفير مساحات أوسع للبدلاء أو لتكرار تجاربهم المؤسفة في بعض الأحيان والمكلفة على صعيد تيارات الولاء المرهقة والتي زادت قوتها في البرلمان الماضي بنسب تتساوى مع كلفة مساهمتها في السحب من رصيد الدولة وهيبة التمثيل لدى الشارع.

تلك اعتبارات لا يتحدث عنها الجميع.

لكنها تبقى أساسية عندما يتعلق الأمر بأي مشروع يؤسس للاختراق في المساحة الانتخابية، حيث بات من المرجح الآن أن وجود برلمان وحصول انتخابات متطلب إجباري وقسري لاستقبال تداعيات مرحلة ما بعد فيروس كورونا.

رفع بعض إجراءات الإغلاق

مغامرات دياب وحزب الله تهدّد بإدخال لبنان في المجهول وفي مخاطر مالية

يحاول حزب الله فتح جبهة على حاكم مصرف لبنان، وعندما نزل الثوار إلى الشوارع، أراد تحوير أهدافهم من احتجاجي ضد الحكومة إلى ضد حاكم المصرف الذي يمانع ضخّ الدولار في السوق.

بيروت ـ «القدس العربي»: سعد الياس

ماذا تغيّر من أسبوع إلى آخر كي ينضمّ جمهور حزب الله في الضاحية الجنوبية والخندق الغميق بسحر ساحر إلى المتظاهرين على جسر الرينغ أو الشيفروليه أو جل الديب بعدما عمدوا قبل أيام إلى التهويل عليهم وإطلاق العنان لشعاراتهم المذهبية والطائفية وإثارة الفتن؟

لم يعد خافياً على أحد أن حزب الله يحاول كلما سنحت له الفرصة فتح جبهة على حاكم مصرف لبنان رياض سلامة، وهو عندما ارتفع سعر صرف الدولار قياساً إلى العملة اللبنانية بشكل دراماتيكي ونزل الثوار إلى الشوارع، أراد تحوير أهداف التحرّك من احتجاجي ضد الحكومة إلى تحرّك ضد حاكم المصرف المركزي الذي كان وما زال يمانع ضخّ الدولار في السوق، فيما الحزب وحليفه النظام السوري بحاجة ماسّة إلى العملة الخضراء لمواجهة العقوبات الأمريكية و«قانون قيصر».

وعلى هذا الأساس، جرى رفع سعر الدولار بطريقة مصطنعة حتى بلغ عتبة 6500 و7000 ليرة لبنانية لاستثارة غضب الناس واستغلاله ضد مصرف لبنان، والضغط على الحاكم للرضوخ لطلب رئيس الحكومة حسّان دياب بالتدخل في السوق وضخّ الدولار للصرّافين لانزال السعر. فيما يخشى خبراء اقتصاديون من أن يستفيد الصرّافون المدعومون من خفض سعر الدولار لشرائه وتحويله إلى سوريا، فيما مصرف لبنان كان يصدد سحب الدولارات لتأمين مخزون كاف يؤمّن من خلاله استيراد المواد والسلع الغذائية الأساسية للسوق اللبناني بسعر مدعوم حفاظاً على أسعار هذه السلع الضرورية بكلفة منخفضة.

وكان البعض اعتقد بعد إنجاز التعيينات المالية وخصوصاً تعيين نواب حاكم مصرف لبنان الأربعة وتغيير أحد الأسماء المدعومة أمريكياً وهو محمد بعاصيري، أن الوقت ملائم لاستكمال توجيه رسالة قاسية للإدارة الأمريكية من خلال إقالة رياض سلامة لولا عودة البطريرك الماروني الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي إلى التنبيه من تحميل شخص واحد مسؤولية فساد «كلّن يعني كلّن» في خلال زيارة إلى قصر بعبدا استبق فيها جلسة مجلس الوزراء، وتأكيد رئيس مجلس النواب نبيه بري «أننا بحاجة الآن إلى كل الناس وليس للاستغناء عن الناس» إضافة إلى اعتبار الرئيس سعد الحريري «أن التهويل بإقالة سلامة جنون اقتصادي وسياسي ودستوري سيذبح الاقتصاد».

في ضوء هذه الوقائع، بدا أن المتحمّسين لتغيير سلامة خفّفوا اندفاعتهم القوية مؤقتاً بعد استحصالهم على مطلب ضخّ الدولارات في السوق، ولاسيما أنهم استمعوا إلى وجهة النظر القائلة إن أي بديل عن رياض سلامة في حاكمية مصرف لبنان لن يستطيع إدارة الظهر لما تطلبه الولايات المتحدة من التزام بالعقوبات، وأي إجراء مماثل بإقالته سيُدخِل البلاد في مجهول وسيستدعي مخاطر إضافية على النقد. وإذا كان حاكم مصرف لبنان تجاوز مرة جديدة قطوعاً هو الأصعب، فإن ما تعرّض له من ضغوط كبيرة من فريق 8 آذار لضخّ الدولار في السوق هو بمثابة قرينة براءة له من التهم التي كانت تُكال له من الفريق ذاته عن رضوخه للطبقة السياسية السابقة وتنفيذ قراراتها بدل رفضه لتنفيذ تلك القرارات.

وفي ظل التشكيك بقدرة الإجراءات الجديدة على ضبط سعر الدولار ما لم تترافق مع إجراءات إصلاحية وتصحيحية حقيقية، انتقدت الخبيرة الاقتصادية فيوليت بلعة في حديث إلى «القدس العربي» المغامرات الجديدة لحكومة حسان دياب التي «اعتادت على اتخاذ قرارات من دون أن تدرس مخاطرها وكلفتها وجدواها» ورأت «أن إقالة رياض سلامة لو تمّت لكانت خطوة فارغة في المجهول ستقود البلاد حتماً نحو فوضى مالية من نوع آخر مستورد، من سوريا وإيران وفنزويلا، حيث الجوع يتهدّد المجتمعات، والفقر يسود بقوة القمع، والعقوبات تحاصر الاقتصادات وتوقعها في ركود عميق».

وأضافت «تخطئ الحكومة إذا اعتقدت أنها ستربح الحرب في حال أقالت رياض سلامة، لأنها لن تكون خاسرة فحسب بل ستجرّ خسارتها ويلات أكبر على اللبنانيين». ولم تبدُ بلعة مقتنعة بخطط الحكومة الإصلاحية والمالية. وتقول «إن مخطط الحكومة لن يوفّر النمو الاقتصادي الكفيل بتوفير فرص عمل، ولن يخفّض نسبة اللبنانيين الذين باتوا واقعين تحت خط الفقر، ولن يهدّئ تراجع العملة الوطنية».

وتتوافق قراءة بلعة مع التفاوتات الكبيرة في الأرقام بين خطة حكومة دياب والخطة المكتملة التي وضعتها جمعية المصارف في أيدي الحكومة كمساهمة للخروج من المأزق المالي. وحسب المتابعين تطرح الحكومة في خطتها مبلغ 28 مليار دولار لإعادة النهوض الاقتصادي، 10 مليار دولار مصدرها صندوق النقد الدولي، أما مبلغ 18 مليار المتبقّي فمجهول المصدر مع ترجيح سحبه من أموال المودعين والحسابات المصرفية.

أما ورقة جمعية المصارف فتتحدّث عن حاجة لبنان لـ 8 مليار دولار فقط، يُصرَف منها المبلغ الأكبر بدءاً من عام 2020 ويعيد تسديد المبلغ كاملاً خلال أربع سنوات بفائدة منخفضة تساوي 4 في المئة.

السنة الثانية والثلاثون العدد 9934 الأحد 14 حزيران (يونيو) 2020 – 22 شوال 1441 هـ

اليمن: محافظ حضرموت ينجو من

جاء اغتيال المحافظ بعد أيام من الإعلان عن ضبط خلية إرهابية تهدف إلى اغتياله، واكتفى الناطق باسم المؤسسة العسكرية بوصف العملية بالإرهابية ولم يوجه أصابع الاتهام لأي جهة.

تعز – «القدس العربي»: خالد الحمادي

كشف مصدر عسكري حكومي أن محافظ حضرموت، قائد المنطقة العسكرية الثانية أيضا، اللواء فرج البحسني نجا من محاولة اغتيال يوم أمس السبت للمرة الثانية على التوالي خلال أقل من أسبوع، بعد إحباط المحاولتين الفاشلتين لاغتياله من قبل عناصر مجهولة، وأن الأجهزة العسكرية ألقت القبض على خلية يشتبه وقوفها وراء محاولات اغتيال المحافظ.

وقال الناطق الإعلامي الرسمي باسم قيادة المنطقة العسكرية الثانية في محافظة حضرموت هشام الجابري إن محافظ حضرموت البحسني نجا من محاولة اغتيال أمس السبت بعد استهداف موكبه الرسمي، عبر زرع عبوة ناسفة شديدة الانفجار، على الطريق الرئيسي الذي يؤدي إلى مقر قيادة المنطقة العسكرية الثانية، الواقع في مدينة المكلا، والذي يداوم فيه المحافظ بحكم عمله، كقائد لهذه المنطقة العسكرية. وأوضح الجابري في بيان رسمي نشره في صفحته بموقع التواصل الاجتماعي فيسبوك ان «الفرق الهندسية التابعة لقيادة المنطقة العسكرية الثانية باشرت عملها بسرعة لإبطال العبوة الناسفة وتفكيكها».

وأضاف أن «العبوة الناسفة كانت معدّة للتفجير عن بُعد، وتحمل مواد شديدة الانفجار لاستهداف موكب المحافظ أثناء توجهه لمقر قيادة المنطقة العسكرية الثانية السبت، عند الساعة 9:40 صباحاً، حسب التوقيت المحلي، في منطقة خلف، بمدينة المكلا».

ووصف الجابري هذه المحاولة لاغتيال محافظة حضرموت بـ«العملية الإرهابية» وذكر أن الأجهزة الأمنية أفشلتها لما تتمتع به «القوات الأمنية والعسكرية من الحس الأمني العالي» وأشار إلى أنها كانت تهدف إلى «الإخلال بالملف الأمني بشكل عام وزعزعة الأمن والاستقرار بمدينة الكملا، وساحل حضرموت عموماً، بشكل خاص، لإحداث إرباك أمني وسياسي في محافظة حضرموت».

وفي الوقت الذي اكتفى فيه ناطق المؤسسة العسكرية في حضرموت بوصف هذه العملية بـ«الإرهابية» لم يوجه أصابع الاتهام لأي جهة يشتبه وقوفها وراء هذه المحاولة التي جاءت عقب أيام فقط من الإعلان الرسمي عن ضبط خلية إرهابية تهدف إلى اغتيال محافظ حضرموت، والتي تم على إثرها اعتقال بعض المشتبه بهم من المقربين للمحافظ. إلى ذلك شدد عضو مجلس الشورى اليمني وعضو رئاسة الهيئة الوطنية للرقابة على تنفيذ مخرجات الحوار الوطني الشامل صلاح باتيس، على ضرورة ضبط الأوضاع الأمنية في محافظة حضرموت، حتى يتم القضاء على ظاهرة الفلتان الأمني هناك.

وأوضح في تغريدة له بصفحته الرسمية في «تويتر» أن التجاوب الحكومي مع المطالب المجتمعية بتكليف لجنة أمنية قامت السبت بالنزول الميداني للاطلاع على الوضع الأمني بوادي وصحراء حضرموت يعد «خطوة في الاتجاه الصحيح» إزاء ضبط الأمن في هذه المحافظة الشرقية لليمن. وأكد باتيس أن هذه اللجنة الأمنية الحكومية جاءت لإعداد تقرير عن الوضع الأمني وتبني حلول عملية لذلك ورفعه إلى الرئيس عبدربه منصور هادي «لإعادة بناء المنظومة الأمنية والتحقيق لكشف الحقائق وعدم السماح باستمرار الانفلات وضبط الأوضاع الأمنية في محافظة حضرموت».

وكانت محافظة حضرموت شهدت خلال الفترة القليلة الماضية العديد من حالات الاغتيالات، التي شكلت تهديدا لأمن وسلامة المحافظة من بينها اغتيال شقيق صلاح باتيس العام الماضي بعبوة ناسفة استهدفت سيارته، وأسفرت عن وفاته على الفور من شدة الانفجار وسجلت هذه الحادثة ضد مجهول على الرغم من انكشاف خيوط اللعبة والتوصل إلى بعض من يقف وراءها.

ويعتقد بعض المحللين أن دولة الإمارات المتحدة ربما تقف وراء هذه الأحداث الأمنية في محافظة حضرموت، لزرع الرعب في قلوب السكان البسطاء في المحافظة.

وأرجعوا أسباب هذا الاتهام إلى أن أبو ظبي في صراع مستميت مع الرياض بشأن السيطرة العسكرية على محافظة حضرموت، وكانت القوات الإماراتية سيطرت عسكريا على مطار الريان الدولي، الذي يعد الأكبر في المحافظة.

Volume 32 - Issue 9934 Sunday 14 June 2020

محاولة اغتيال للمرة الثانية خلال أسبوع

مشيرين إلى أن السعودية حاولت مرارا انتزاع السيطرة على محافظة حضرموت من القوات الإماراتية التي تتمركز في مطار الريان، بمدينة المكلا، عاصمة حضرموت، غير أن الطرفين لم يصلا إلى نقاط التقاء بشأن السيطرة عليها، ما اضطر الرياض إلى محاولة السيطرة العسكرية على محافظة المهرة، المجاورة لها، الواقعة على الحدود مع سلطنة عمان، وهو ما أثار حفيظة سكان محافظة المهرة والذين اعتبروا وصول القوات السعودية إليها احتلالا، وهو ما شجع الكثير من السكان المحليين في المهرة إلى مواجهة القوات السعودية بطرق سلمية، عبر التظاهر المستمر ضدها والمطالبة برحيلها.

تونس: تغييرات منتظرة في المشهد الحكومي والبرلماني

الاختلافات الإيديولوجية بين حركة النهضة وحركة الشعب تجعل من المستحيل أن يتعايش الطرفان طويلا في حكومة واحدة والجبهات العربية مفتوحة على مصراعيها أمام صراعات المحاور.

تونس – «القدس العربي»: روعة قاسم

يسير عقد التحالف الحكومي في تونس، مثلما كان متوقعا إلى الانفراط، بعد أن بات البلد أمام خيارات حاسمة بشأن موقفه الرسمي من القضايا العربية وفي مقدمتها الملف الليبي الذي يعني تونس بالدرجة الأولى. فالاختلافات الإيديولوجية بين حركة النهضة وحركة الشعب التي تنتمي إلى التيار القومي العروبي تجعل من المستحيل أن يتعايش الطرفان طويلا في حكومة واحدة والجبهات العربية مفتوحة على مصراعيها أمام صراعات المحاور.

ولعل ما زاد من اتساع الهوة بين الطرفين هو تخندق حركة الشعب مؤخرا في صف الحزب الدستوري الحر ورئيسته عبير موسي في ما يتعلق بموضوع اللائحة التي تقدمت بها والتي تهم التدخلات الخارجية في الملف الليبي والمكالمة الهاتفية التي جمعت رئيس البرلمان التونسي راشد الغنوشي ورئيس حكومة الوفاق في ليبيا فائز السراج. وأثناء الجلسة البرلمانية التي تواصلت لوقت متأخر تعرض رئيس البرلمان إلى انتقادات واسعة من نواب حركة الشعب منهم سالم الأبيض وهيكل المكي وهو ما يبدو لأزمج حركة النهضة وجعلها تراجع خياراتها.

ويتوقع أن تزداد الهوة اتساعا مع الاضرابات التي يحركها الاتحاد العام التونسي للشغل في مختلف القطاعات وفي بعض المدن على غرار صفاقس والنفيضة، والتي تنوي المركزية النقابية التصعيد فيها خلال الفترة المقبلة بسبب عدم استجابة الحكومة لاتفاقيات سابقة. فحركة الشعب لديها امتدادات داخل الاتحاد وخصوصا في نقابة التعليم الثانوي فيما يبدو أن أنصار حركة النهضة لا يستسيغون كثيرا تدخل المركزية النقابية في الشأن السياسي ويرغبون في أن يقتصر دورها على الدفاع على حقوق العمال في مختلف القطاعات.

اضراب العاطلين عن العمل

وخلال الفترة المقبلة سيدخل أعوان الصحة في اضراب عام بقرار من الهيئة الإدارية القطاعية بعد يوم غضب بسبب عدم استجابة وزارة الصحة لمطالب الجيش الأبيض الذي أبلى بلاء حسنا خلال أزمة فيروس كورونا، كما ستدخل مدينة النفيضة في اضراب عام محلي احتجاجا على تدهور الأوضاع الاجتماعية والمهنية واستهداف النقابيين في عدد من المؤسسات الخاصة والعمومية وذلك بدفع من المكتب المحلي لاتحاد الشغل. كما أن صفاقس تتواصل فيها اضرابات عمال قطاعات الصحة والبلديات والولاية والكيمياء والنفط والفوسفات والنقل والسكك الحديدية والموانئ والماء والكهرباء والطريق السيارة والبريد والاتصالات والإعلام والعدلية والمالية والبنوك والفلاحة والضمان الاجتماعي وغيرها، وهي القطب الصناعي والفلاحي والخدماتي الجنوبي شديد التأثير في الاقتصاد الوطني.

ومن المتوقع أن تكون المواقف متباينة من هذه الإضرابات داخل الائتلاف الحكومي بين حركتي النهضة والشعب وهو ما سيزيد من الانقسام بين الإسلاميين والقوميين في تونس. فتوجه حركة النهضة اقتصادياً، وبالنظر إلى السياسات في السنوات الأخيرة، هو ليبرالي رأسمالي، في حين أن حركة الشعب ومن خلال مبادئها وعلاقتها المتينة بالاتحاد العام التونسي للشغل تبدو اجتماعية داعمة لدور الدولة في توجيه الاقتصاد والبحث عن العدالة الاجتماعية.

ائتلاف متصدع

ولعل الحوار الأخير الذي أجراه رئيس مجلس النواب راشد الغنوشي في قناة «نسمة» المملوكة من رئيس حزب قلب تونس والمرشح الرئاسي السابق نبيل القروي، يقيم الدليل على أن الائتلاف الحكومي ليس بخير وأنه مهدد بالتصدع وأن هناك تغييرات عديدة ستحصل في الأيام المقبلة. فقد عبر الغنوشي عن أسفه من تصويت حركة الشعب مع عبير موسي خلال الجلسة التي تم فيها التصويت على اللائحة المتعلقة بالملف الليبي والتي تقدمت بها رئيسة الحزب الدستوري الحر. كما اعتبر أن التباين في مواقف مكونات الفريق الحاكم من عديد القضايا أمر غير طبيعي ولا يجب أن يستمر ووجب تصحيحه قريبا وهو ما فهم منه أن هناك رغبة في إزاحة حركة الشعب من الحكومة بسبب مواقفها الأخيرة. كما أن حزب «تحيا تونس» الذي يرأسه رئيس الحكومة السابق يوسف الشاهد يبدو بدوره مستهدفا من رئيس حركة النهضة وهناك رغبة في إخراجه من الائتلاف الحكومي خلافا لرغبة رئيس الجمهورية قيس سعيد ورئيس الحكومة إلياس الفخفاخ اللذين دعما تواجده خاصة وأن الفخفاخ كان خيار حزب الشاهد حين طالب قيس سعيد الأحزاب بعده بمقترحاتها حول الشخصية التي ستترأس الحكومة بعد فشل مرشح حركة النهضة الحبيب الجملي في نيل التزكية من البرلمان للتركيبة الحكومية التي تقدم بها.

ويبدو أن هناك ملاحقات قضائية قد تطال أشخاصا على علاقة بحكومة الشاهد السابقة حول قضية المنازل التي تم اقتناؤها في إسبانيا وهو ما قد يعجل برأي البعض باستبعاد حزب «تحيا تونس» من الائتلاف الحكومي. ناهيك عن أن هذا الحزب شأنه شأن حركة الشعب تتباين مواقفه مع حركة النهضة في الملف الليبي وقد اصطف مع عبير موسي في التصويت وانتقد نواب له مواقف رئيس البرلمان في هذا الملف الشائك الذي يحظى باهتمام التونسيين.

عودة إلى الصندوق

ولعل البديل الذي يرغب رئيس حركة النهضة في ضمه إلى الائتلاف الحكومي هو حزب قلب تونس برئاسة نبيل القروي وهو ما يفسر لدى البعض اختيار الغنوشي لقناة «نسمة» ليجري حواره، وذلك بالرغم من أن هذا الحزب اصطف أيضا مع عبير موسي وصوت مع اللائحة التي تقدمت بها الأخيرة والمتعلقة بالملف الليبي. ولعل ما يدعم هذا الرأي هو حديث الغنوشي في الحوار عن أن الحزب الثاني في الانتخابات يجب أن يكون في الحكم مثلما حصل في 2011 و2014 والحزب الثاني في الانتخابات التشريعية الأخيرة هو حزب قلب تونس الذي أبعد عن الحكم من قبل رئيسي الحكومة والجمهورية رغم أن حزب الفخفاخ أي التكتل من أجل العمل والحريات مني بهزيمة نكراء.

وقد رأى البعض في إصرار الغنوشي على تشريك حزب قلب تونس في الحكومة رغبة في العودة من جديد إلى الصندوق والإرادة الشعبية التي انتخبت حزبا فوجد نفسه في المعارضة فيما ترأس الحكومة إلياس الفخفاخ الذي حصد هو وحزبه نتائج هزيلة سواء في الانتخابات التشريعية أو الرئاسية، وهي مفارقة قد لا يوجد لها مثيل في دول العالم. وبالتالي كان لا بد من تصحيح الوضع السائد وتشويك حزب قلب تونس في الائتلاف الحكومي.

أما البديل عن حزب «تحيا تونس» (حزب الشاهد) فسيكون ائتلاف الكرامة، أقرب الأحزاب فكريا وإيديولوجيا ومن حيث التوجهات العامة من حركة النهضة خاصة وقد أشار الغنوشي في حواره إلى أن الأحزاب الأربعة الأولى في الانتخابات هي التي يجب أن تحكم، أي النهضة وقلب تونس وائتلاف الكرامة والتيار الديمقراطي. وبالتالي ستتغير الخريطة السياسية التونسية إذا ما تم ذلك وستتشكل المعارضة من الحزب الدستوري الحر وحركة الشعب وتحيا تونس.

بالمقابل يرى البعض أن حركة الشعب ستبقى في الحكومة ولن يدعم بها الغنوشي معارضة تقودها عبير موسي وأن الهدف بالأساس من توسعة الائتلاف الحكومي هو إضعاف المعارضة وحشر الحزب الدستوري الحر في الزاوية. فلو استمر الحال على ما هو عليه ستكون المعارضة على درجة كبيرة من القوة وهو ما قد يعطل سير دواليب الدولة في ظل دستور يجبر الحزب الأول على البحث على أكبر قدر ممكن من التوافقات لتمرير مشاريع القوانين التي تقتضي لتمريرها نصابا مرتفعا.

ولعل السؤال الذي يطرح هل سيقبل التيار الديمقراطي (أحد تفرعات حزب المرزوقي بعد انقسامه) بوجود حزب قلب تونس في الائتلاف الحاكم وهو الذي رفض سابقا وجوده رفضا قاطعا؟ وهل سيقبل بذلك رئيس الجمهورية قيس سعيد الذي دفع باتجاه أن تتشكل الحكومة من الأحزاب التي دعمته في الانتخابات الرئاسية؟ أي ضمنيا إقصاء حزب منافسه في الدور الثاني من الانتخابات الرئاسية نبيل القروي. وهل سيترأس الفخفاخ الباحث عن حكومة من روح الثورة تشكيلة حكومية فيها ممثلون من حزب قلب تونس؟ هل سيرفض أم أن إغراء المنصب والسلطة أكبر بكثير من المبادئ والقيم؟

بعد تقليص الامتيازات والميزانية

القضاء الأوروبي يدق أبواب الأنظمة الملكية لمحاكمة أفرادها

التطور الحقيقي الذي تشهده حاليا الأنظمة الملكية هو خضوعها للقانون والمحاكمات بعدما كانت في الماضي تعتبر من التابوهات.

لندن – «القدس العربي»: حسين مجدوبي

تشهد الدول الأوروبية خلال السنوات الأخيرة محاكمة بعض أفراد العائلات الملكية الحاكمة وبلغت ذروتها مع المحاكمة المرتقبة للملك الأب خوان كارلوس بسبب ملفات فساد مرتبطة بالعربية السعودية. وهذه المحاكمات تشير إلى تطور في الممارسة الديمقراطية في هذه الدول، وتحاول الأنظمة الملكية التكيف مع المطالب لتفادي نهايتها في ظل قوة المطالب بالجمهورية.

وتوجد في أوروبا أغلبية الأنظمة الملكية في العالم، من شمالها في السويد والنرويج إلى جنوبها في إسبانيا مرورا بهولندا وبلجيكا والدنمرك وبريطانيا وإمارات صغيرة مثل لكسمبورغ وموناكو. وهي أنظمة ملكية تختلف في التقاليد والانفتاح، فهناك فرق بين ملكية متشبثة بالتقاليد القديمة على الأقل في بروتوكولها وهي البريطانية والإسبانية وملكية منفتحة مثل السويد أو الدنمارك.

تقليص الامتيازات

وفي ظل التطور السياسي وخاصة ميل المواطنين الأوروبيين إلى النظام الجمهوري والتخلي عن نظام يعتبرونه وريثا لحقب متخلفة مثل النبلاء والفيودالية، تحاول الملكيات التأقلم والتكيف. ويأتي هذا عبر بدء التخلي عن البروتوكول مثل اختلاط الملوك وأبنائهم مع عامة الشعب سواء في الأسواق بين الحين والآخر أو الدراسة، ثم الزواج من عامة الناس. في هذا الصدد، تزوج ملك إسبانيا الحالي ليتيسيا، وهي صحافية مطلقة كانت تعمل في القناة الأولى مقدمة للأخبار، وتزوج الأمير هاري من ميغان وملوك وأمراء آخرون من نساء أو رجال لا ينتمون إلى العائلات الملكية، عكس ما كان يحدث في الماضي عندما كان الزواج محصورا في أفراد العائلات الملكية أو النبلاء أو الطبقة الأرستقراطية العليا.

وفي خطوة أخرى، قامت الكثير من الملكيات بالخضوع للضرائب مثل باقي المواطنين والتقليص من ميزانية التسيير بشكل ملفت، إذ تبقى دون عشرة ملايين يورو في حالة إسبانيا وبلجيكا والسويد، وأعلاها لا تتجاوز 50 مليون يورو في حالة بريطانيا. وتعد ميزانيات دون ميزانيات الأنظمة الملكية العربية، إذ تتجاوز المغربية 250 مليون يورو، وتعد بعشرات المليارات في حالة السعودية علاوة على التحكم في خيرات البلاد.

البداية مع الأميرة كريستينا

لكن التطور الحقيقي الذي تشهده حاليا الأنظمة الملكية هو خضوعها للقانون والمحاكمات بعدما كانت في الماضي تعتبر من التابوهات، ويجري التستر على المخالفات التي تصل إلى مستوى الجرائم. وعملت المؤسسات مثل العسكرية والاستخباراتية على طمس جرائم الأنظمة الملكية في الحرب الباردة لأن هذه الأنظمة كانت عامل استقرار وضامنة له أمام التقلبات السياسية وخاصة التخوف من وصول أحزاب يسارية إلى الحكم. وتحاول الأنظمة الملكية الاستفادة من الحصانة التي يوفرها الدستور لها مثل اعتبار عدم مسؤولية الملك في القرارات السياسية بسبب تولي الحكومة القرارات والاستشارة فقط مع الملك أو الملكة، ولهذا توجد مطالب بمحاكمة رئيس الحكومة البريطانية السابق توني بلير عن مشاركته في الحرب ضد العراق سنة 2003 ولا تمتد المطالب إلى الملكة إليزابيث الثانية رغم مصادقتها على القرار. لكن عندما يتعلق الأمر بملفات مثل الاعتداءات الجنسية والفساد المالي، هنا تضعف الحصانة الخاصة بالقرارات السياسية وتتقوى فرضية المحاكمة.

ويمكن اعتبار السنوات الأخيرة بمثابة المنعطف، لأنها شهدت محاكمات لأفراد من العائلة الملكية، والبداية مع الأميرة كيرستينا ابنة خوان كارلوس الملك الأب وشقيقة الملك فيليبي السادس، حيث قرر القضاء الإسباني يوم الجمعة 17 تشرين الثاني/نوفمبر 2014 توجيه اتهام إلى الأميرة بالتورط في الاستيلاء على أموال عمومية رفقة زوجها إنياكي أوندنغرين، وجرت المحاكمة لاحقا وانتهت بتبرئتها وإدانة زوجها بالسجن. وكانت كريستينا أول أميرة أوروبية تخضع للاستنطاق ثم المحاكمة بعد جدل سياسي وقانوني حول أهلية الدستور الحالي استنطاق الأمراء، إذ تبين في آخر المطاف عدم حماية الدستور للأمراء بل فقط لشخص الملك الذي تتحمل الحكومة مسؤولية القرارات السياسية.

ويعتبر المنعطف الثاني هو ما جرى في بلجيكا طيلة سنوات حتى كانون الثاني/يناير الماضي، عندما أجبر قضاء هذا البلد الأوروبي الملك الأب البير الثاني على تقديم حمضه النووي لإجراء التحاليل عليه لمعرفة أبوته من عدمها لمعرفة هل دليفن بويل ابنته أم لا، وتبين في آخر المطاف أنها ابنته. وكتبت الصحافة البلجيكية أنه لو كان قد حصل في السبعينيات والثمانينات لما تحرك القضاء ولكن الأمور تتغير.

القضاء الأجنبي وراء المحاكمات

وفي ملكية أخرى، وهي البريطانية المعروفة بعدد من الفضائح السياسية والمالية، لم ينجح القضاء البريطاني رغم سمعته الكبيرة في محاكمة أي فرد من العائلة رغم الشبهات التي يرددها الكثير من الباحثين حول تورط فرد من هذه العائلة في مقتل الأميرة ديانا. وتأتي محاولة استنطاق أول عضو من العائلة عن طريق القضاء الأجنبي، ويتعلق الأمر بالقضاء الأمريكي الذي يرغب في سماع الأمير أندرو ابن الملكة إليزابيث وعلاقته بالمليونير المنتحر إبستين الذي يعتقد أنه كان يدير الدعار الراقية للقاصرين لصالح عدد من النافذين والأغنياء ومنهم أندرو. وتفيد جريدة «ذي صن» مؤخرا أن الأمير أمامه خيارين، التصريح الطوعي أمام القضاء الأمريكي أو التصريح أمام النيابة العامة في بريطانيا. ويحاول الأمير حتى الآن المراوغة عبر الدفاع عن نفسه أمام الصحافة. وإذا استمر الوضع على ما عليه، لا يمكن استبعاد إصدار القضاء الأمريكي مذكرة اعتقال دولي في حقه.

الأمير البريطاني أندرو

ويقف القضاء الأجنبي وراء تحريك ملف محاكمة الملك الأب في إسبانيا بينما تقاعس القضاء الإسباني في البدء. فقد بدأ القضاء السويسري التحقيق في تلقي الملك خوان كارلوس سنة 2014 مبالغ مالية تتراوح ما بين الثمانين والمئة مليون دولار من طرف العربية السعودية، وذلك مقابل وساطته في حصول شركات إسبانية على صفقة ضخمة لإنشاء القطار السريع بين مكة والمدينة، وهي أكبر صفقة في تاريخ الشركات الإسبانية بما يفوق ستة مليارات يورو. وعمل الملك على تبييض الأموال ما بين سويسرا وبنما. وعندما نجح القضاء السويسري في رصد خيوط عملية التهريب، تحرك القضاء الإسباني لمحاكمة الملك خوان كارلوس لجعل الملف وطنيا.

وهكذا، قررت النيابة العامة الإسبانية يوم 8 حزيران/يونيو 2020 إحالة الملك الأب على التحقيق والمحاكمة. ويشمل الملف فقط تبييض الأموال سنة 2014 بينما تطالب الأحزاب ومنها بوديموس والحزب القومي الباسكي بضرورة التحقيق معه حول ملفات كثيرة من الوساطة في صفقات ومنها الأسلحة. وتعد محاكمة خوان كارلوس بمثابة إنقاذ للملكية الإسبانية في ظل ارتفاع مطالب جزء من الطبقة السياسية بضرورة إرساء النظام الجمهوري.

في غضون ذلك، وبعد زمن طويل، بدأ أفراد العائلات الملكية يخضعون للتحقيق القضائي والمحاكمة، وتلعب عوامل كثيرة في هذا الشأن لتعزيز هذا التوجه ومنها:

في المقام الأول، ظهور طبقة سياسية جديدة في الدول الأوروبية ترغب في إلغاء الامتيازات التي يتمتع بها أفراد العائلة الملكية ومنها الحصانة في مواجهة القضاء. وكتكملة، ظهور رأي عام قوي في الدول الأوروبية يعتقد في نفس الأطروحة، ويطالب بضرورة إلغاء كل الامتيازات للعائلة الملكية.

في المقام الثاني، قيام قضاء دول أجنبية بالتحقيق في ملفات تورط فيها أعضاء العائلة الملكية مثل حالة الأمير البريطاني أندرو والملك الأب في إسبانيا خوان كارلوس، حيث ستعمل الدول على الالتفاف وجعل هذه الملفات تخضع لتحقيق القضاء وطنيا بدل التحقيق الدولي.

حدث الأسبوع

العقوبات تطارد شبكاته الاقتصادية

سيف قانون قيصر على عنق النظام السوري

تظاهرات ضد الحكومة في السويداء

منهل باريش

يدخل قانون قيصر حيز التنفيذ في 17 حزيران (يونيو). واستباق موعد تطبيقه انهيار كبير في أسعار صرف الليرة السورية، والذي وصل إلى حد غير مسبوق (3000 ليرة للدولار الواحد) قبل أن يعود ويتراجع إلى سعر 2650 ليرة للدولار. ودفع الوضع الاقتصادي الضاغط بعدة احتجاجات في مناطق سيطرة النظام، أبرزها محافظة السويداء، حيث تدخل المظاهرات أسبوعها الثالث.

وتلاقي حركة احتجاجات السويداء صدى إيجابيا وترحيبا عالياًلدى أغلب السوريين في مناطق المعارضة، فيما تشهد مناطق في حلب الشرقية ودمشق اعتراضات شعبية يومية تتطور للاصطدامات خصوصا بين الميليشيات والمدنيين، بسبب سرقة مخصصاتهم اليومية من مادة الخبز.

ولم تقتصر الاحتجاجات على مناطق النظام، وانتقلت إلى محافظة إدلب بسبب رفع سعر ربطة الخبز إلى 600 ليرة سورية، رغم أن أغلب الطحين في الشمال يأتي عبر المساعدات الإنسانية الدولية والتركية.

وعن شكل تأثير قانون قيصر على المناطق السورية، ميز الباحث الاقتصادي، مناف قومان بين المناطق المتأثرة بتطبيق قانون قيصر، واعتبر في اتصال مع «القدس العربي» أن التأثير الأكبر سيطال مناطق النظام، لأن العقوبات تمس «أي جهة أو شخص يساهم في تعويم الأسد ومساعدته على إعادة الإعمار» وهذا سيصب في المحصلة بآثار سيئة على المواطنين. فعدم تمكن النظام من استيراد النفط جراء العقوبات عليه وعلى إيران سيخفض كمية المحروقات في البلد وهذا سيحيل النظام لأزمة محروقات قاسية وتقنين متزايد على الكهرباء. ومن ثم عدم قدرة النظام على الولوج للنظام المالي العالمي جراء العقوبات على المركزي، ومع شح الدولار في الأسواق والأزمة المالية في لبنان سيحيل هذا إلى أزمة في الواردات وبينها المواد الأساسية من قمح وسكر وأرز وغيرها، ونقص هذه المواد في الأسواق سيؤدي إلى ارتفاع أسعارها، وهذا من شأنه أن يقلص من قدرة المواطن الشرائية مع تدني الأجور وتآكل قيمة الليرة.

بالنسبة لمناطق شرق الفرات يرجح أن تكون نتائج القانون أقل وطأة مقارنة بمناطق النظام، بسبب الدعم الأمريكي ووفرة الموارد ونسبة غير كبيرة من السكان. ونوه قومان «إذا تمكنت الإدارة الذاتية من انتزاع استثناء من العقوبات على بيع النفط لمناطق النظام هذا يعني استمرار تدفق الإيرادات للإدارة الذاتية». وفي حال الرفض الأمريكي، سينعكس ذلك سلبا على موارد قوات سوريا الديمقراطية، ويضعها ذلك في مواجهة سياسية مع النظام، تجنبتها مرارا وحاولت تزوير الزوايا في كل المشاكل العالقة.

بالتأكيد، سيؤدي انخفاض قيمة الليرة إلى ضغط كبيرة على السوريين الذين يقبضون بالعملة السورية، والذين أصبحت رواتبهم تعادل بين 13–20 دولارا في الشهر، مثل موظفي القطاع الحكومي في مناطق سيطرة النظام. وسيؤدي عدم استقرار سعر الصرف إلى فوضى في تسعير السلع والمواد والخدمات وإبقائها في حالة اضطراب مستمر لا يتوقف.

وتوقع أن تكون مناطق سيطرة المعارضة هي الأقل ضرراً بسبب «نفاذها على تركيا وجراء استبدال الليرة السورية بالليرة التركية» ووصف الخطوة بـ «صمام أمان للتجار والأفراد من تكبد خسائر وتذبذب الأسعار».

ويعيش الغالبية من السوريين في الداخل تحت خط الفقر حسب بيانات الأمم المتحدة، ويرجح ازدياد الأمور سوءا مع ارتفاع الأسعار بنسبة 130 في المئة عن شهر أيار (مايو) الماضي، حسب برنامج الغذاء العالمي.

وقال نائب المنسق الإقليمي للشؤون الإنسانية حول سوريا في الأمم المتحدة، مارك كاتس في تغريدة له على موقع تويتر، يوم الثلاثاء، «أكثر من تسعة ملايين شخص يعانون من انعدام الأمن الغذائي، في وقت تواصل أسعار المواد الغذائية ارتفاعها، وتنخفض قيمة الليرة السورية بمعدل قياسي». ويؤثر الانخفاض على أسعار المواد الغذائية والتي أصبح أغلبها مستوردا عدا الخضار فهي إنتاج محلي.

معاناة كبيرة

أعاد الانهيار الأخير في سعر صرف الليرة السورية صورة حصار العراق قبل الغزو الأمريكي إلى الذاكرة، وهو الحصار الذي جوع أهله وحرمهم حتى الدواء. ويخشى كثير من السوريين بينهم معارضون من انزلاق الأمور في سوريا إلى معاناة كبيرة، بحجة الضغط على النظام وحصاره عسكريا. وذهب البعض إلى تبني آراء غير حقيقية كتحويل المبالغ الصغيرة من المغتربين إلى أهاليهم، والواقع أنها مجرد شائعات تبناها البعض بدون أي أس من الصدقية. إلا أن قانون قيصر يتجنب اللجوء إلى عقاب جماعي لسوريا أو للدولة السورية. على العكس من ذلك، فقد نهجت أمريكا منذ عام 2011 بمعاقبة شخصيات ومؤسسات داعمة للنظام السوري ومتورطة في تعذيب المحتجين وتمويل ميليشيات عسكرية.

وفي شروحات تطبيق القانون الأمريكي، لفت المحامي والمعارض السوري محمد صبرا، في تصريح لـ«القدس العربي» إلى أن القانون محكوم بضابطين، الأول هو موضوع النشاط وحدده القانون بخمسة مجالات، هي: توفير الدعم المالي والتقني للنظام السوري أو لأي من الميليشيات والمرتزقة الذين يقاتلون في سوريا ويتبعون الحكومتين الروسية الإيرانية. أو أن يقدم خدمات تكنولوجية في قطاع النفط والغاز، وتقديم قطع تبديل الطائرات التي تستخدم لأغراض عسكرية من قبل النظام والميليشيات المقاتلة إلى جانبه، ويقدم بشكل مباشر خدمات بناء أو خدمات هندسية.

الضابط الثاني: هو شخصي محدد في أن ينخرط أي شخص بصفقة مالية أو من أي نوع آخر مع حكومة النظام أو مع شخصية سياسية رفيعة في النظام. وأن يتعاقد أي شخص في صفقة مع مقاول عسكري أو مرتزق أو قوة شبه عسكرية. أو أن يتعاقد أي شخص مع آخر خاضع للعقوبات الأمريكية فيما يتعلق بسوريا.

وتدلل الضوابط على أن المعاقبين سيندرجون في إطار الشخصيات السياسية البارزة أو يتعاقدون مع الميليشيات والمرتزقة. وسيحرم المنتهكون من دخول الولايات المتحدة الأمريكية والحصول على التأشيرات.

ورغم الضغط الهائل للرئيس الأمريكي دونالد ترامب، فقد حفظ القانون طريقا سريعا لوقف العمل بالقرار خلال مدة ستة أشهر (180) يوما، شريطة أن يتوقف النظام السوري عن قصف المدنيين بالبراميل المتفجرة والأسلحة الكيمائية، وإطلاق سراح المعتقلين والمختفين قسريا، والسماح لمنظمات حقوق الإنسان الدولية بإجراء التحقيقات اللازمة، والتزام النظام بالاتفاقيات الدولية وعدم إنتاج وتخزين واستخدام السلاح الكيميائي، والتوقيع على اتفاقية حظر إنتاج السلاح البيولوجي، وسماح النظام للاجئين بالعودة الآمنة والطوعية والكريمة.

ويرجح أن تزيد قوائم المعاقبين اقتصاديا من رجالات النظام السوري، وبالطبع ستتوسع القائمة لتشمل آخرين في بلدان مثل لبنان الذي يعتبر مصدرا هاما للمحروقات السورية والمواد الغذائية، والسوق السوداء التي تمد النظام السوري بالدولار. ويعتبر العراق ثاني بلد متوقع أن تطاله العقوبات الاقتصادية بسبب قانون قيصر كونه المورد للمحروقات والأغذية والسلاح للمليشيات الإيرانية.

وقبل أسبوع من موعد بدء تطبيق قانون قيصر، عقد المبعوث الأمريكي الخاص إلى سوريا جيمس جيفري، مباحثات مع نائب وزير الخارجية الروسي، سيرجي فيرشينين، الخميس الماضي.

وأوضحت الخارجية الأمريكية في بيان لها أن جيفري «ناقش العملية السياسية السورية مع فيرشينين، في إطار قرار مجلس الأمن الدولي رقم 2254». وتطرق الطرفان إلى آخر التطورات في إدلب، وفي شمال شرقي وجنوب غربي البلاد.

وأعلنت الخارجية الروسية موعد زيارة مرتقبة، لوزير الخارجية الإيراني، جواد ظريف إلى موسكو، حيث يجتمع بنظيره الروسي فلاديمير بوتين. وقالت المتحدثة باسم الخارجية الروسية ماريا زاخاروفا أن المباحثات ستجري يوم 16 من حزيران (يونيو) الجاري، قبل يوم من بدء تطبيق قانون قيصر على النظام السوري.

وتسعى أمريكا من خلال زيادة الضغط الاقتصادي على أن تتبنى روسيا سياسة مغايرة لسياسة الحسم العسكري التي انتهجتها منذ تدخلها في سوريا إلى جانب النظام في أيلول (سبتمبر) 2015. والتي توقفت بشكل مؤقت في آذار (مارس) الفائت. وتضغط من أجل فرض عملية التسوية، من خلال السلال الأربع المعطلة بسبب سلة الدستور، حيث شكلت اللجنة الدستورية لكتابة دستور جديد للبلاد، إلا أن النظام السوري يعطل عقد جلسة اللجنة المصغرة ويضع العصي في دواليب عقده في جنيف أو حتى عبر الدائرة التلفزيونية، ومن الواضح أن الاستراتيجية الأمريكية تعتزم على إنهاك النظام وعصره اقتصادياً، وربط تخفيف القيود عنه بمسألة التقدم في الحل السياسي.

وعلى الضفة الأخرى، تتعالى صيحات الانتقاد في أوساط الخبراء والمحللين في روسيا لنظام الأسد، وتدعو الصحافة الروسية بين الفينة والأخرى إلى أن التخلي عن شخص بشار الأسد هو النتيجة الحتمية والأقل تكلفة على موسكو ومصالحها في روسيا. وسيورط قانون قيصر الشبكة المالية والاقتصادية للكرملين بعقوبات إضافية بسبب محاولة إمداد النظام المستمرة.

«قانون قيصر»: الشعب ضحية والنظام باحة خلفية

صبحي حديدي

من حيث منطوق الحيثيات ونطاق التطبيق، يختلف «قانون قيصر لحماية المدنيين السوريين» عن كثير من أنساق العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة، سواء بقرار من البيت الأبيض أو بتشريع من الكونغرس، على العديد من الأنظمة؛ في الشرق الأوسط بصفة خاصة، ولكن أيضاً على قوى عظمى مثل روسيا على سبيل المثال. ذلك لأنه يستكمل، في المقام الأوّل أغلب الظن، سلسلة سياسات استهداف إيران عبر أذرعها في المنطقة؛ وهذه خيارات اعتمدتها إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب منذ البدء، وصادق عليها بقوّة صقور الحزب الجمهوري في الكونغرس. كما يتابع القانون، على نحو أو آخر، تلك «الفلسفة» التي أطلقها الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما، ولم ينقضها تماماً خَلَفه ترامب، حول دفع الكرملين إلى مزيد من الغرق في أوحال «المستنقع السوري».

في عبارة أخرى، صحيح أنّ القانون يسمّي سوريا البلد، ويعلن حماية «المدنيين السوريين» على وجه التحديد، إلا أنّ النظام السوري ليس سوى الباحة الخلفية التي تتصدرها ستراتيجيات واشنطن ضدّ باحتيّ طهران وموسكو في قلب المعادلة السورية؛ التي لا تنفصل، إلا عند السدّج، عن باحات لبنان والعراق، وربما اليمن وليبيا استطراداً. وصحيح، من جهة ثانية، أنّ الضغط على النظام عبر بوّابة الاقتصاد هو العنوان الإجرائي المعلن للقانون، مثل غالبية العقوبات التي تفرضها الولايات المتحدة هنا وهناك؛ إلا أنّ اقتصاد النظام، في حالته الراهنة، لا يتطلب المزيد من التركيع لأنه راكع أصلاً وشبه منهار، خاصة في الآونة الأخيرة حين فقدت العملة الوطنية نحو 70 في المئة من قيمتها أمام غالبية العملات الصعبة.

وأمّا من حيث مقادير الأذى التي يُلحقها القانون بالشعب السوري ذاته، أو بالأحرى «المدنيين» الذين يزعم حمايتهم، فإنّ «قانون قيصر» لا يختلف كثيراً عن أيّ طراز من العقوبات التي تُفرض للضغط على الأنظمة؛ فتؤذي ـ بالدرجات الأولى والثانية والعاشرة ـ الشعوب ذاتها، قبل إيذاء رؤوس الأنظمة ومجرمي الحرب ومؤسساتهم الأمنية والعسكرية. وفي مثال الشعب السوري تحديداً، وربما أكثر من الشعب الإيراني اليوم، أو الشعب العراقي في زمن صدّام حسين؛ ثمة في «قانون قيصر» ابتداع لطرائق جديدة من حشر المواطن السوري بين مطرقة نظام الاستبداد والفساد والتبعية للخارج وأهوال احتلالات متعددة الأطراف والجبهات، وسندان الغلاء وجنون الأسعار والبطالة القصوى وعطالة الاقتصاد وانهيار العملة وانسداد سُبُل العيش الأبسط...

ولا يُدهش المرء إزاء تصريحات جيمس جيفري، مبعوث الإدارة الأمريكية الخاصّ إلى سوريا، من أنّ انهيار الليرة السورية «يثبت أنّ روسيا وإيران لم تعودا قادرتين على تعويم نظام الأسد»؛ متناسياً أنّ وكالات الأمم المتحدة ذاتها، بعلم الولايات المتحدة والسادة الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن الدولي، مكّنت النظام السوري من التنعّم بما قيمته 30 مليار دولار من «المساعدات الإنسانية»؛ وتلك كانت واحدة من أكثر عمليات القرصنة الدولية وضوحاً وانكشافاً و... صفاقة! تلك المليارات لم تقدّم رغيف الخبز أو علبة الدواء للمواطن السوري، بل ضخّت المزيد من الملايين في جيوب رؤوس النظام وفاسديه وصيارفته، وأمدّت أجهزته الأمنية والعسكرية بأكثر من شريان حياة.

وفي نهاية المطاف، ألا يتواصل تعويم نظام الأسد منذ بدء الانتفاضة الشعبية السورية، في ربيع 2011؛ ليس من جانب إيران وروسيا وحدهما، بل كذلك في أكثر من عاصمة على نطاق العالم، في واشنطن كما في تل أبيب، وفي الرياض أسوة بالقاهرة؟ وأيّ نظام ذاك الذي أسقطته العقوبات الاقتصادية، أممية كانت أم أمريكية، و«ذكية» قاسية كانت أم «غبية» متسامحة؟ ألم يحدث العكس في الواقع، إذْ أتقنت الأنظمة المعاقَبة استغلال تلك العقوبات من أجل فساد أكثر واستبداد أشدّ، فضلاً عن انتهاج نفاق أعلى وقاحة في ادعاء دور الضحية؟

«قانون قيصر» محاولة أخيرة من واشنطن لخنق النظام السوري وتحقيق تحولات سياسية

واشنطن ـ «القدس العربي»: رائد صالحة

يتفق الرئيس الأمريكي دونالد ترامب وأعضاء الكونغرس، في مشهد نادر، على شيء واحد يتعلق بالشأن السوري، وهو الحرص على تنفيذ قانون قيصر لحماية المدنيين، الذي يعاقب أي شخص يدعم قطاعات الجيش والطاقة والهندسة السورية ما لم تقم دمشق بسلسلة من الإصلاحات في مجال حقوق الإنسان، ومعاقبة البنك السوري المركزي، الذي وصفته واشنطن بأنه «مصدر قلق رئيسي لغسل الأموال».

ومن المتوقع، خلال أيام، أن تعلن وزارة الخزانة الأمريكية عن الشريحة الأولى من العقوبات المرتبطة بالقانون، وهو التشريع الأكثر توسعاً حتى الآن في حملة خانقة بالفعل للعقوبات الأمريكية التي تستهدف النظام السوري.

وتبدو طموحات القانون مغرية تماماً في واشنطن، حيث اقترح صناع السياسة تصعيد الضغط الاقتصادي على نظام الأسد بطرق من شأنها معاقبة مجرمي الحرب وتحقيق التنازلات السياسية والمساعدة في تحقيق انتقال سياسي طال انتظاره.

وأوضح العديد من المحللين الأمريكيين أن الإطار السياسي لقانون قيصر يبدو واضحاً، وأشاروا إلى أن القانون ليس معقداً، حيث تراكمت العقوبات الأمريكية على سوريا منذ عام 1979 وتسارعت بشكل كبير مع بداية الثورة السورية والحملة القمعية التي تلت ذلك في عام 2011 وضمن هذه السلسلة تكمن حداثة القانون في نطاقه الواسع.

وأضافوا أن التدابير السابقة استهدفت مزيجاً من الجهات الفاعلة الفردية وقطاعات مختارة، في حين يتعهد قانون قيصر، على النقيض من ذلك، بفرض ما يسمى بالعقوبات الثانوية على الشركات من مختلف الجنسيات، التي تتعامل مع الجهات الخاضعة للعقوبات في قطاعات متعددة من الاقتصاد السوري، خاصة في قطاعات البناء والطاقة، وهكذا يهدف المشروع إلى تعميق عزلة دمشق عن طريق ردع الاستثمار من

قوات من الجيش الأمريكي والروسي في الشمال السوري

قبل أي شركة من بيروت إلى دبي إلى بكين.

وأصر مؤيدو القانون على أن العقوبات الجديدة ستمنح صناع السياسات في واشنطن شكلاً، يحتاجونه بشدة، من أشكال النفوذ، حيث لا يمتلكون سوى القليل، في حين قال بعض النقاد إن أنصار العقوبات يبالغون بالفعل في تقدير قوتها كأداة سياسية، بينما يتم تجاهل تأثير العقوبات على المدنيين.

وتتردد، أيضاً، أسئلة في واشنطن بشأن قدرة العقوبات على تغيير سلوك الأسد، وهناك توقعات متشائمة في أن القانون سيدفع الاقتصاد السوري المدمر إلى عمق البؤس، ولكن هناك اتفاقا على أن القانون سيمنع النظام السوري من تحقيق أي نوع من أشكال التعافي الاقتصادي، مع إشارات إلى ضرورة وضع آليات عالية للرصد والتطبيق تتجاوز تلك المطلوبة في التدابير السابقة.

وأوضح خبراء أن القوة الحقيقية لقانون قيصر تكمن في أن تداعياته ستظهر على المدى الطويل وليست بشكل مباشر، وتعني فقرة «الغروب» في القانون أنه سيبقى صالحاً لمدة 5 سنوات، وربما لفترة أطول، ويمكن للرئيس الأمريكي أن يوقف تنفيذ القانون إذا استجاب النظام لسبعة معايير، من بينها الإفراج عن المعتقلين السياسيين، واتخاذ خطوات يمكن التحقق منها لتثبيت مساءلة ذات مغزى. وحرص الكونغرس الأمريكي في المجلسين من الحزبين الديمقراطي والجمهوري على إظهار إجماع بشأن تشديد العقوبات الأمريكية، حيث جددت مجموعة من المشرعين الدعوة لإدارة ترامب لتطبيق حزمة عقوبات صارمة على نظام الأسد.

وتعاون رؤساء وأعضاء لجان العلاقات الخارجية في كلا المجلسين على إصدار بيان في هذا الشأن قبل الموعد النهائي في 17 حزيران/يونيو لإصدار العقوبات بموجب قانون حماية المدنيين، الذي أصبح قانوناً في كانون الأول/ديسمبر 2019 وكان من بين الموقعين النائب إليوت إنجل والسيناتور جيمس ريش وبوب مينينديز.

وأكد المشرعون في البيان على أنه يجب على الإدارة أن تنخرط في تطبيق صارم ومستدام لقانون قيصر من أجل إرسال رسالة إلى النظام وعناصره مفادها أن الأسد لا يزال منبوذاً، وأضافوا: «لن يستعيد مكانته كرئيس شرعي، يجب على النظام ومن يرعاه أن يوقفوا ذبح الأبرياء وأن يمدوا للشعب السوري طريقاً نحو المصالحة والاستقرار والحرية».

وظهرت تأكيدات في العاصمة الأمريكية بأن الإدارة تسير في الطريق الصحيح للوفاء بالموعد النهائي، وأن البنك المركزي السوري سيحكم عليه أن يكون مؤسسة مالية ذات أهمية أساسية في غسيل الأموال.

وردد العديد من المشرعين الأمريكيين شهادة المصور «قيصر» أمام لجنة العلاقات الخارجية في وقت سابق من العام الجاري، حيث قال إن القانون هو «شعاع الأمل الأخير للشعب السوري في غياب أي حل سياسي أو إنساني».

ويعاقب قانون قيصر الأجانب الداعمين للنظام السوري من أشخاص وشركات ودول اقتصادياً وعسكرياً ومعلوماتياً، ويفرض القانون، الذي يدوم لمدة خمسة أعوام، عقوبات على البنك المركزي السوري، في حال احتمال ما وصفته الإدارة الأمريكية بأنه «مصدر قلق رئيسي لغسل الأموال» كما يعاقب منتهكي حقوق الإنسان والمتواطئين معهم، وينص على مساعدة الشعب السوري، ويبحث في سبل حمايته، ويدعم جميع الأدلة والتحقيق لمحاسبة مجرمي الحرب، وهو يربط رفع العقوبات بالتزام النظام السوري بحقوق الإنسان وإيقاف الانتهاكات والإفراج عن المعتقلين.

وعلى الرغم من الحماس الأمريكي لتنفيذ قانون قيصر، إلا أن بعض المخاوف ظهرت في واشنطن بشأن تداعيات القانون على المدنيين، حيث أكد خبراء على أن «جهود إحياء التعليم والإسكان والمستشفيات ستشل بشكل كامل تقريباً» وقالوا إن القانون سيخيف الاستثمار الصيني والروسي والاستثمارات المقبلة من بعض دول الخليج في البلد الذي مزقته الحرب.

وأشار العديد من المحللين إلى أن تطبيق جزء صغير من القانون قد يؤدي إلى تدمير كامل للاقتصاد السوري، حيث يتجاوز الأمر إعادة الإعمار ليصل إلى قضايا فرعية. وعلى سبيل المثال كان للعقوبات ضد إيران تأثير مدمر على إمدادات الوقود في العام الماضي.

وامتدح صانعو السياسات القانون باعتباره خطوة نحو المساءلة عن جرائم نظام الأسد، ولكن هناك اعتقادا بأنه، بدون ضمانات قوية وسياسة أمريكية متماسكة، فإن القانون قد يؤدي إلى انتقال سياسي إلى طرد القوات الإيرانية، وعلى أي حال، تداعيات القانون لا تزال غامضة، ولكن الكثير من المدنيين يعتقدون أن الأمور تسير من سيء إلى أسوأ ولا يرون أي أمل في أي تغيير للأفضل.

المناطق التي يسيطر عليها الأسد، ستعني إعادة البناء في ممتلكات أولئك الذين هاجروا للدول الأوروبية، وهذا يعني تدميرها نهائياً، كما أنها قد تؤدي في نهاية المطاف إلى نوع من التطهير العرقي.

وأعرب صانعو السياسة في واشنطن عن أملهم في أن يزيد قانون قيصر من معاناة البلاد بطرق قد تخلق تشققات داخل النخبة الحاكمة أو تزيد من الضغط الروسي على الأسد للإصلاح، على أمل جذب دولارات المساعدات الغربية، في حين أشار بعض الخبراء إلى أن موسكو غير قادرة على استخراج تنازلات ذات معنى من عميلها في دمشق، ولا يوجد سبب مقنع يدعو للقول إن هذا النمط سيتغير.

والعقوبات، هي المصدر الرئيسي لنفوذ واشنطن في سوريا، ولكنها، حسب ما قال العديد من الباحثين، لن تكون رافعة مفيدة إلا إذا اقترنت باستراتيجية شاملة وواضحة وواقعية، ولكن واشنطن ما زالت تتحدث بلغة أهداف غير محددة وغير قابلة للتصديق، من تأمين انتقال سياسي إلى طرد القوات الإيرانية، وعلى أي حال، تداعيات القانون لا تزال غامضة، ولكن الكثير من المدنيين يعتقدون أن الأمور تسير من سيء إلى أسوأ ولا يرون أي أمل في أي تغيير للأفضل.

> البنك المركزي السوري مؤسسة لغسيل الأموال

السوريون يترقبون «ساعة الصفر» الأمريكية وتكاليف الحياة تزداد قساوة

دمشق ـ «القدس العربي»: كامل صقر

يسيطر قانون العقوبات الأمريكية «قيصر» على مُجمل النقاشات داخل سوريا، في الشارع وأحاديث الناس، في الوسط الإعلامي، بين الاقتصاديين والأكاديميين وحتى داخل الأجهزة الرسمية للحكومة السورية.

يسأل الجميع بعضهم البعض ويسألون أنفسهم سؤالاً جوهرياً: ما الحل لمواجهة قيصر؟

النقاشات أيضاً في سوريا تطال البحث في دور الحليفين الروسي والإيراني في كبح آثار القانون على الاقتصاد السوري المنهك أصلاً، وماذا يستطيع الحلفاء فعله في هذا الشأن. وبينما كان السوريون يقلبون احتمالات «قيصر» ونتائجه المرتقبة، جاءهم تصريح من السفير الروسي والمبعوث الخاص للرئيس بوتين في دمشق الكسندر يفيموف يقول فيه أن بلاده تعتزم ألا تتخلى عن نهجها المبدئي من أجل دعم الشعب السوري. وأن روسيا لن تترك سوريا في هذه الأيام العصيبة.

وانتشر تصريح المسؤول الروسي على حسابات وصفحات التواصل الاجتماعي في سوريا بسرعة كبيرة وسط سؤال عما إذا كان يقيموف يقصد في عدم التخلي عن سوريا تقديم الدعم الاقتصادي الذي سيُنقذ الموقف أم أن عدم التخلي يشمل الشأن السياسي والميداني فقط؟

الزيادات الحاصلة في أسعار مختلف المواد الغذائية والاستهلاكية والخدمية والتي بلغت 200 في المئة خلال الأيام الماضية، تبدو صادمة بالنسبة للسوريين بسبب فداحتها وقلّتها الذي لا تحتمله جيوبهم. معظم السوريين يربطون تلك الزيادات الهائلة في الأسعار بقانون «قيصر» وقرب تطبيقه على الأرض والذي تسبب بانخفاض قيمة الليرة أمام الدولار خلال أسبوع واحد بنسبة تزيد عن مئة في المئة.

إعادة هيكلة الأولويات الحياتية والمعيشية صارت السلوك الأميز بين السوريين، والواضح أن انزياحات وتغييرات كبيرة حصلت في أنماط معيشة السوريين خلال عدة أيام فقط وهي الأيام التي شهدت ارتفاع سعر صرف الدولار أمام الليرة من 1400 إلى 3000. وهو ارتفاع خطير للغاية بدأ يترك انعكاساته في الأسواق والخدمات وكل أشكال الحياة السورية.

وزير المالية السوري مأمون حمدان قال في آخر تصريح له، أن سبب ارتفاع سعر الدولار أمام الليرة بجزء كبير منه ليس اقتصادياً، لأن حجم الإنفاق لم يزد بل تم تخفيضه، وكذلك حجم المستوردات، قلّ ولم يزد. واعتبر حمدان أن سبب الارتفاع يعود إلى التلاعب في سعر الصرف، وحالة الهلع لدى المواطنين، والعامل النفسي الذي يعمل عليه المروّجون، ما يدفع المواطنين إلى البحث عن شراء القطع الأجنبي أو الذهب أو العقارات للحفاظ على مدخراتهم.

لكنه قال إن «الحكومة لن تبقى متفرجة بأي شكل من الأشكال». موضحاً أن الحكومة لم تتدخل حتى الآن بطرح الدولار في الأسواق. لكن ثمة أسئلة في أوساط المراقبين للشأن الاقتصادي حول ما إذا كانت السلطات السورية تملك القدرة والكمية الكافية من الدولار لضخه في السوق وتخفيض سعره.

أسعار المواد الغذائية داخل سوريا حالها حال أسعار النفط العالمية تتقلب صعوداً وهبوطاً مع ارتفاع أو انخفاض سعر صرف الدولار، يُمسي السوريون على قائمة أسعار لمواد أساسية كاللحوم والدجاج والزيوت والبيض والأرز وغيرها من المواد، ويصبحون على أسعار أخرى مفاجئة. هذا الأمر أربك الأسواق والأسَر السورية في إمكانية التخطيط المعيشي وتدبُّر أمورها وحاجاتها اليومية.

عامة السوريين وإن كانوا يجهلون اللائحة التنفيذية لقانون العقوبات الأمريكية «قيصر» إلا أنهم يتخوفون كثيراً من موعد البدء بتطبيقه بعد أيام قليلة وما الذي سيحصل بعد تطبيقه وكيف سيُصبح حال الأسواق، وهل ستفقد الأسواق جزءاً من المواد المستوردة بسبب القانون، هل ستخلو الأسواق من مواد ضرورية تأتي من الخارج، ما هي البدائل والاحتمالات؟

بشكل مفاجئ أعفى الأسد رئيس الحكومة عماد خميس وكلف الوزير أحمد عرنوس ليقوم بمهامه ريثما يحصل تغيير حكومي في البلاد بعد شهرين. رئيس الحكومة الجديد الذي يشغل أيضاً منصب وزير الموارد المائية ذهب نحو محاصرة التهريب وقطع معابره على اعتبار انه يستنزف الكثير من القطع الأجنبي.

في الشارع السوري الآن، ثمة مطالبات بإعادة ضخ السيولة في الأسواق عبر مِنَح مالية تقدم للموظفين لثلاثة أشهر أو أكثر، مع إغلاق تام لمنافذ التهريب، وكذلك إعادة العمل بنظام البونات التي كانت توزع شهرياً على كل أسرة سورية لشراء المواد الأساسية بأسعار رمزية.

ثمة مَن يقترح أن تقوم المصارف العامة بتقديم قروض معفاة من الفوائد لمدة سنة للمشاريع الصغيرة، بضمانات عقارية، بدلاً من تجميد مئات الملايين من العملة السورية التي تخسر يومياً قيمتها.

إضافة إلى مطالبة السلطات المالية بوضع تسعيرة منطقية وواقعية لسعر صرف الحوالات الدولارية القادمة من الخارج والتي يُرسلها السوريون المقيمون في الخارج لأسرهم وأهاليهم.

مواجهة لبنان لقانون قيصر وصفة انتحار جماعي والجوع ينتظر

بيروت ـ «القدس العربي»: رلى موفق

يروي أحد اللصيقين بـ«حزب الله» أن الحزب أبلغ الفرنسيين بأنه إذا تمّت محاصرته كلياً من قبل الأمريكيين في لبنان، فإنه سيقلب الطاولة. قطع الشريان الحيوي بين لبنان وسوريا هو أحد أدوات الإطباق الأمريكي عليه الذي سيدخل في 17 حزيران/يونيو الجاري مرحلة متقدمة مع بدء تنفيذ «قانون قيصر». باتت الساحة اللبنانية مسرح مواجهة مباشرة ومُعلنة ومفتوحة بين واشنطن وذراع إيران العسكرية الأقوى في المنطقة.

سوريا خط الإمداد العسكري لـ«الحزب» ولبنان رئتها الاقتصادية في ظل العقوبات المفروضة عليها. هذه المعادلة ما عادت ثابتة اليوم، واهتزازها لن يُصيب خط الإمداد، فالمعابر «الاستراتيجية» التي يعرفها الأمريكيون والإسرائيليون جيداً ستبقى مفتوحة، وسيستمر «حزب الله» حتى إشعار آخر–بتمرير السلاح تحت نظر ما تلتقطه الأقمار الصناعية وطائرات الاستطلاع المتعددة الاتجاهات، ووفق قواعد الاشتباك بينه وبين إسرائيل. الأمر يتعلق بالشريان الاقتصادي الذي يُشكّله لبنان لنظام بشار الأسد. فرغم كل التحذيرات الأمريكية للقطاع المصرفي اللبناني والعقوبات التي فرضتها واشنطن على كيانات وأفراد من «حزب الله» ونظام الأسد الذين يشكّلون المنفذ لسوريا، بقيت بيروت تُشكّل منصّة التعامل بالعملات الأجنبية وفتح الاعتمادات لشراء المواد الأساسية، ولا سيما القمح بديلاً عن دمشق.

ومع تزايد سيطرة «حزب الله» على مفاصل الدولة اللبنانية، كان الحصار المالي والاقتصادي على البلاد يزداد هو الآخر، إلى أن أضحى الدولار عملة نادرة في «سويسرا الشرق» التي شكّل نظامها الاقتصادي الحر ومصارفها ومؤسساتها التعليمية والطبية وانفتاحها علامة فارقة في محيطها العربي.

ما أن شحّ الدولار الأمريكي في سوق بيروت حتى تراجعت قيمة العملة اللبنانية ومعها قيمة العملة السورية، وكرّت سُبحة انهيار العملتين. كان الرهان دائماً لدى السياسيين أنه ليس من مصلحة العرب والغرب التخلي عن لبنان وتركه للانهيار الاقتصادي–المالي، نظراً للتداعيات التي قد تترتّب أمنياً من الفوضى مع وجود ما يزيد على مليون نازح سوري على الأراضي اللبنانية، والحاجة إلى توفير المناخات الإيجابية لضمان أمن القوات الدولية العاملة في جنوب لبنان المنتشرة على الحدود مع إسرائيل، والرغبة في إبقاء الساحة اللبنانية بعيدة عن حرائق المنطقة. لكن هذا الرهان ما عاد يستقيم. فلن تكون هناك من مظلة عربية ودولية على لبنان قبل الخروج من عباءة إيران إلى موقع «النأي بالنفس» وسيطرة الدولة على مقدراتها، وضبط المرافئ البرية والجوية والبحرية، ووقف مزاريب الفساد والقيام بإصلاحات مالية وإدارية وقضائية. وسُلّم المفتاح إلى صندوق النقد الدولي، حيث لا سبيل إلى الالتفاف والتذاكي والابتزاز.

بعد طرقة الصندوق، جاء سندان «قانون قيصر». أيام قليلة ويدخل حيّز التنفيذ. بعد السابع عشر من حزيران/يونيو لن يكون كما قبله بالنسبة للبنان وسوريا. سيُقطع حبل السرّة بين لبنان الرسمي بكل رئاساته ومؤسساته الدستورية، التي يُديرها «حزب الله» من الخلف، وبين النظام السوري. وإذا أراد الأمين العام لـ«الحزب» السيد حسن نصرالله أن يُلحقه بسوريا، فهو يعلم أن مصيره سيكون شبيهاً لمصير سوريا، وما عاد هناك أصلاً من مقوّمات كثيرة لدى لبنان لمد النظام السوري.

في الأيام الماضية، شهد الوسط التجاري ارتدادات «قانون قيصر». تحوّل إلى صندوق بريد. جرى إحراق قلب بيروت عمّ قلب واشنطن يلين. سبق ذلك انقلاب على النظام المالي نفذته حكومة حسان دياب عكسته التعيينات في مصرف لبنان، التي هيمن عليها اللون السياسي لـ«محور إيران» وجرى استبعاد «رجل واشنطن» محمد بعاصيري منها، في رسالة تحدٍ مباشرة للأمريكيين. وبعده، تمت محاصرة حاكم المصرف رياض سلامة والتهويل عليه بسلاح الإقالة لإجباره على ضخ الدولار في السوق، بعد تلاعب مدروس بسعر الصرف رفع الدولار الواحد إعلامياً وافتراضياً إلى 7 آلاف ليرة، وفعلياً إلى ما يزيد عن 5 آلاف، ليتبعها نزول فوضوي إلى الشارع وتخريب وتكسير وإحراق لمصارف ومحلات تجارية في بيروت وطرابلس. في الأولى كانت بصمات جمهور «الثنائي الشيعي» والشيوعيين من حلفاء «الحزب» واضحة وجليّة. وتُرك الفعل في طرابلس لـ«سرايا المقاومة» وهي مجموعات سنيّة تنخرط تحت لواء «الحزب» في إطار السرايا.

كان سلامة كشف في مؤتمر صحافي عقده قبل أسابيع بعد هجمة عليه، أنه جرى خلال السنوات الخمس استيراد ما قيمته سنوياً 4 مليارات دولار بما يزيد على حاجة لبنان، قاصداً أنه جرى تمويل النظام السوري بـ20 مليار دولار من المواد السيادية، ولا سيما القمح والمشتقات النفطية، وهذا جاء على حساب احتياطي البنك المركزي.

ما عاد سراً أن الدولار الذي يُضخ في السوق يتمّ سحبه من قبل شبكة صيارفة، لا يمكن إلا أن تكون مغطاة سياسياً، إلى سوريا. وجفاف الدولار مع غياب التحويلات الخارجية، وتوقف البنك المركزي عن الضخ، يتطلب من «حزب الله» – عبر حكومته – وضع سلامة أمام خيارين: إما الاستقالة – الإقالة وإما الانصياع لطلب مدّ السوق بالعملة الصعبة. فكان أن تقرّر أن تبدأ عملية الضخ للجم تدهور الليرة. قيل إن المبلغ سيصل إلى 300 مليون دولار، وسط اقتناع بأنه سيصبّ في نهاية المطاف في خزانة الأسد، على حساب استنزاف ما تبقى من احتياط مصرف لبنان الذي خُصّص لتمويل فاتورة استيراد المواد السيادية من قمح ومحروقات ودواء دون سواها على أساس سعر صرف الدولار الرسمي الذي ما زال يقف عند عتبة الـ1500 ليرة. عملية الضخ، كل استحقاق. فما أن وزّعت وزيرة الدفاع زينة عكر على الوزراء في جلسة حكومية نسخة عن «قانون قيصر» للسير بين أسطره تفادياً لعقوبات قد تطال وزارات تتعامل مع نظيراتها السورية، حتى انهالت عليها الحملات. ذهبت رئاسة الحكومة إلى التبرير بأن مجلس الوزراء لم يدرس القانون بل شكّل لجنة من اختصاصيين لتحديد مفاعيله على لبنان. ولكنها مهما درست، فإنها أمام احتمالين لا ثالث لهما: إما الامتثال لبنود القانون أو تحمّل تبعات خرقه.

باتت المناورة ضيّقة، والخيارات محدودة. فبموجب «القانون» الذي أقرّه الكونغرس الأمريكي لحماية المدنيين في سوريا، سيُطلب من الرئيس الأمريكي فرض عقوبات جديدة على الدول التي تدعمها، أو أي شخص أو جهة تتعامل مع الحكومة السورية أو يوفر لها التمويل، بما في ذلك أجهزة الاستخبارات والأمن السورية، أو المصرف المركزي السوري أو مَن يشارك في مشاريع البناء والهندسة التي تسيطر عليها الحكومة السورية. وهذا يضع لبنان بأكمله تحت سيف قيصر إنْ أراد مواجهة واشنطن أو خرق القانون أو الالتفاف عليه. وما عاد ينفع أصبع نصر الله الذي يرفعه في وجه اللبنانيين بعدما طوّع خصومه وشلّ قدراتهم، وقرروا الاكتفاء بالجلوس على ضفة النهر بانتظار ما ستُسفر عنه الحرب الأمريكية–الإيرانية الدائرة على الأرض اللبنانية.

مواجهات في لبنان

قانون قيصر «كابوس» ينتظر النظام

الأسد يتنفس من الرئة الروسية ويتغذى عبر السوق السوداء

حسام محمد

في السابع عشر من حزيران/يونيو الجاري، يدخل «قانون قيصر» لمعاقبة النظام السوري والدول والجهات والأفراد حيز التنفيذ، ليصبح ذلك التاريخ مفصليا في الحياة السورية التي تشهد منذ أيام انتفاضات شعبية وعودة للتظاهرات المناهضة لرئيس النظام بشار الأسد ضمن المناطق الخاضعة لسيطرته، جراء تدهور الأوضاع المعيشية وانهيار العملة المحلية الليرة، أمام العملات الأجنبية.

تعرض النظام السوري خلال السنوات الماضية لسلسلة من العقوبات الدولية، إلا أن روسيا وإيران وبعض الدول العربية قدمت كل ما في جعبتها لانقاذ الأسد وتعويم سلطته فوق الدمار والتهجير، فأطالت تلك الإجراءات من أمد الأزمة في البلاد من دون استقرار سلطة النظام رغم استعادته السيطرة على مساحات كبيرة من الجغرافية السورية، ليأتي قانون قيصر «وهو قانون مخصص من قبل من الحزبين في الكونغرس الأمريكي لحماية المدنيين في سوريا، كما يستهدف الأفراد والشركات الذين يقدمون التمويل أو المساعدة للأسد ونظامه». منظمة الطوارئ السورية، وهي الجهة الأمريكية التي تعتبر المساهمة والمشرفة في ملف قانون قيصر، قال مديرها التنفيذي معاذ مصطفى لـ «القدس العربي»: «قانون قيصر سيبدأ تطبيق أولى بنوده في 17 من شهر حزيران/يونيو الجاري، حيث سنشهد تطبيق القانون بشكل تدريجي، وليس كحزمة عقوبات شاملة في دفعة واحدة، وسيكون هناك خطاب من قبل مسؤول رفيع المستوى في الولايات المتحدة الأمريكية للحديث عن هدف قانون قيصر الذي سيطبق على المدى الطويل».

إيران وروسيا

العقوبات، وفق مصطفى، ستعترض على مجرمي الحرب وداعميهم، وتستثني أي حراك إنساني و«دواء، غذاء» بما في ذلك النظام السوري، كما يأمر القانون بزيادة الدعم الإنساني إلى سوريا، والبند الأخير يأمر بدعم كل الجهات العاملة على محاكمة بشار الأسد وأعوانه ممن شاركوا في الانتهاكات وجرائم الحرب.

كذلك ستشمل العقوبات وضمن صياغة القانون كلا من إيران وروسيا والنظام بطبيعة الحال بما فيه من جيش وأفرع أمنية، وتصل العقوبات إلى حزب الله والميليشيات الأجنبية بما فيها فاغنر الروسية، وإلى أي مقاتل دخل سوريا لمساندة الأسد وبقية الحلف الداعم له.

تغيير سلوك الأسد

القانون يتناغم وينسجم وفق ما قاله مدير وحدة تحليل السياسات في مركز الحوار السوري محمد نذير سالم، مع المناخ الإقليمي وسياسة الإدارة الأمريكية الحالية بعد انسحاب واشنطن من الاتفاق النووي الإيراني وفرض العقوبات على المحور الإيراني عموماً.

كما يمكن للقانون، أن يكون له أثر سلبي كبير على النظام السوري، ما قد يدفع الداعم الروسي له للضغط على النظام بشكل أكثر جدية للوصول إلى مخرج تفاوضي بناء على حل سياسي.

ويرى سالم في تصريحات أدلى لـ «القدس العربي» أن النظام السوري اليوم بحاجة كبيرة لدعم حليفه الروسي، وهو غالباً الأمر المعول عليه كآلية لإحداث تأثير ما للقانون والضغط في تغيير سلوك النظام، مستبعدا أن النظام السوري هو من النوع الذي يغير سلوكه بمثل هذه العقوبات بدون الضغط الروسي.

الاقتصاد والقدرة المالية

شهدت الليرة السورية انهيارات متتالية قبيل بدء تطبيق قانون قيصر، حيث وصلت قيمة العملة المحلية إلى مستويات منخفضة لم تشهدها من قبل، بعد أن سجلت ما يزيد عن 3300 ليرة للدولار الواحد، الأمر الذي أدى لعجز في القدرة المالية على الشراء، وهو ما نتج عنه احتجاجات في السويداء جنوب غربي البلاد ومناطق أخرى.

من جانبها، سارعت المعارضة السورية إلى تفادي الانهيار الكبير للعملة المحلية، حيث شرعت الحكومة المؤقتة شمالي البلاد إلى استبدال الليرة السورية بالتركية، فيما سارعت الحكومة التركية إلى ضخ مبالغ نقدية كبيرة في الشمال السوري.

ولطالما أنّ قانون قيصر، يستهدف تقييم دور البنك المركزي الخاضع لسيطرة النظام السوري والذي يعتمد عليه الأخير في تمويل الحرب، فإنّ العقوبات سوف تطال من وجهة نظر تحليلية للبحث في مركز «جسور» للدراسات عبد وهاب عاصي، حركة النقد العام في سوريا، وبالتالي تقييد أو عرقلة تعامل الجهات الدولية معه، وهذا سينعكس بالضرورة سلباً على سعر صرف الليرة ويزيد من انهيارها على نحو مضاعف. كما يُفترض أن يتأثر استهداف الحرب والموازي أيضا عبر استهداف أنشطة الأشخاص والكيانات التي يثبت تعاملها مع النظام السوري أو لصالحه، وهذا يعني تقويض شبكة المحسوبية الاقتصادية وقدرتها على تقديم الدعم المالي، أي توسيع قائمة العقوبات التي بدأتها الولايات المتحدة قبل أعوام وسد الثغرات التي كانت تعتريها.

أمّا فيما يخص القطاع العسكري، فإنّ القانون يهدف إلى تقويض قدرة المؤسسات الأمنية الدولية مثل فاغنر وغيرها على تقديم الدعم للنظام السوري، وكذلك الشركات العسكرية التي توفّر الإمدادات اللوجستية له ولحلفائه، بحيث يصبح غير قادر على الاستمرار بخيار الحسم العسكري خصوصاً مع الصعوبة البالغة التي يواجهها في تأمين الوقود للآليات العسكرية.

وعبوراً نحو القطاع الحكومي، يقول الباحث عبد الوهاب عاصي لـ «القدس العربي»: القانون يستهدف بشكل أو بآخر قدرة النظام السوري على الاستجابة للاتفاقيات المبرمة مع الشركات الأجنبية في مختلف القطاعات الحكومية الاقتصادية والعسكرية والاتصالات والبناء وغيرها، بحيث تصبح الشركات غير قادرة على تقديم استشارات هندسية أو الشروع بالتنفيذ.

صحيح أنّ الآثار التي قد يلقيها قانون قيصر على بنية عمل النظام السوري يُفترض أن تكون بالغة وعميقة، إلّا أن تحقيقها يحتاج إلى مدة زمنية طويلة، ولا يعني ذلك أيضاً عدم قدرة النظام وحلفائه على الاستمرار بأنشطتهم، أو إسقاطه اقتصادياً أو سياسياً، لكن قد يدفع القانون حلفاء النظام السوري والكيانات والأفراد المرتبطة معه لإعادة النظر من جدوى الاستمرار طويلاً في حال أخفقت الجهود الدبلوماسية والعسكرية في توطيد بقائه.

الملف العسكري أولوية

لا ينحصر التأثير الذي سيخلفه قانون قيصر على الوضع الاقتصادي للنظام السوري فحسب بل سيكون له تأثير على جميع المفاصل والملفات الحيوية في البلاد، ومن أبرزها الملف العسكري، حيث سيؤثر القانون على الإمدادات العسكرية من الذخائر والأسلحة المتنوعة التي هو في حاجتها، فلا يوجد لدى جيش النظام السوري مصانع لتصنيع الأسلحة ولا للذخائر الثقيلة وينحصر إنتاجه على الذخائر الناعمة كذخيرة البنادق والمسدسات.

وحتى على مستوى الذخائر الناعمة يرى القيادي في المعارضة السورية المسلحة، العقيد فاتح حسون، أن النظام يفتقر إلى المواد الأولية الخاصة بإنتاجها، ولن يبقى أمامه سوى التعامل مع هذا الملف إلا عن طريق السوق السوداء الذي سيفتح أبوابه بشكل أكبر بمساعدة الحلفاء تهربا من المسؤولية.

تجاوزات متوقعة

وقال المصدر العسكري لـ «القدس العربي»: حتى هذه اللحظة لا يزال النظام السوري تأتيه المعونات العسكرية بشكل منتظم سواء من روسيا عبر طائرات اليوشن التي تحط بشكل مستمر في حميميم أو من خلال الخط المباشر مع حزب الله في لبنان أو من خلال الخط الإيراني العراقي.

كما من المتوقع مشاهدة تجاوزات في الأيام التي تلي القانون وأبرز المتجاوزين هي روسيا بحجة أمنها القومي وحماية مصالحها في المنطقة. فقاعدة حميميم تعتبرها موسكو أرضا روسية، وصراحة لا أعلم كيف سيكون التعاطي مع هذه النقطة بالذات، والتي تشبه إلى حد بعيد مسمار جحا الذي سيكون متنفسا للنظام من ناحية الملف العسكري، وهذا ما يحتاج لتركيز أمريكي.

كما أن حاجة النظام لدفع رواتب موظفيه في جيشه وميليشياته سيصعبها قانون قيصر، وسيجعل هؤلاء غالبا يعانون من انقطاعها، ويحاولون إيجاد مصادر دخل خارجها.

التداعيات الإقليمية لتطبيق «قانون قيصر»

صادق الطائي

«قانون قيصر» هو حزمة عقوبات جديدة ستطلقها إدارة الرئيس ترامب منتصف حزيران/يونيو 2020 لمعاقبة شخصيات، وهيئات، ومؤسسات رسمية، وشبه رسمية، وأهلية في سوريا. كما ستطال العقوبة الشخصيات والمؤسسات والشركات الأجنبية والإقليمية التي ستتعامل مع النظام السوري. اسم القانون الذي أصبح يعرف رسميا في الولايات المتحدة الأمريكية بـ«قانون قيصر لحماية المدنيين السوريين» ارتبط بالاسم الرمزي أو«الكودي» لأحد ضباط قوى الأمن السوري الذي عرف باسم «قيصر» الذي عمل في معتقلات وسجون النظام، وقد كانت مهمته تصوير جثث الضحايا من معتقلي الرأي في السجون السورية. وقد انشق هذا الضابط عام 2013 وهرب خارج سوريا، واستطاع تهريب 55 ألف صورة لضحايا التعذيب والقتل من المعتقلين في مختلف المعتقلات والسجون السورية.

لماذا الآن؟

وصل المدعو «قيصر» إلى الولايات المتحدة، وعرض ما لديه من وثائق، حيث قامت لجنة مستقلة بفحص الصور وتأكدت من مصداقيتها وابتدأ التحرك منذ عام 2014 وتحركت بعض أطراف المعارضة السورية باتجاه استصدار قانون يسعى لتقديم كل المسؤولين عن انتهاكات حقوق الإنسان في سوريا إلى العدالة، سواء كانوا سوريين أو من المتعاونين معهم إقليما ودوليا.

تعرض مشروع القانون إلى العرقلة حسب رأي بعض المراقبين، ولم يتم تمريره في مجلس النواب الأمريكي إبان الحقبة الرئاسية الثانية للرئيس باراك أوباما، إذ كانت إدارته تعمل حينها على إنجاز اتفاق استراتيجي مع إيران، والذي عرف بـ «الاتفاق النووي مع إيران». وقد تخوفت إدارة أوباما حينها من التأثيرات السلبية التي قد يحدثها قانون «قيصر» في حال إقراره على «الاتفاق النووي الإيراني» لذا تم عرقلة تمريره في مجلس النواب الذي كانت ترأسه النائبة الديمقراطية نانسي بيلوسي.

كذلك أشار بعض المراقبين إلى دور السيناتور الجمهوري عن ولاية كنتاكي راند بول، المعروف بعلاقاته مع روسيا ودعمه الرئيس بشار الأسد، وقد تمكن بول من عرقلة تمرير قانون «قيصر» في مجلس الشيوخ، لأن طبيعة هذا النوع من القوانين لا يمكن أن تمر من دون حصولها على الموافقة بالاجماع في مجلس الشيوخ. وهكذا تم تعطيل تمرير قانون «قيصر» في مجلس الشيوخ لمدة ثلاث سنوات.

هذه العرقلة دفعت بالناشطين السوريين والقانونيين الأمريكيين إلى أدراج القانون ضمن موازنة الدفاع الأمريكية لعام 2020 لتفادي أي عرقلة جديدة في الكونغرس بعد أكثر من خمس سنوات على كتابته وصياغته. وبذلك تمكنوا من تمرير التصويت في مجلس النواب، كما أنه في هذه الحالة لم يعد قانونا مستقلا بحاجة إلى موافقة مجلس الشيوخ بالاجماع، وبالفعل مر القانون، ووقعه الرئيس ترامب في كانون الأول/ديسمبر 2019 وقد حدد موعد تنفيذه منتصف شهر حزيران/يونيو الجاري.

إيران وقانون قيصر

سعت إدارة الرئيس دونالد ترامب ومنذ يومها الأول على تحجيم القدرات الإيرانية عبر سياسة «تقليم أظافر إيران إقليميا» وذلك بدءا من الانسحاب الأمريكي من الاتفاق النووي، وإطلاق حزم العقوبات الاقتصادية، وتصعيد التوتر الذي وصل في بعض مراحله إلى المواجهة العسكرية والضربات المتبادلة التي تمت في أرض بديلة، مثل الضربات التي نفذتها الطائرات الأمريكية على معسكرات وقواعد فصائل الحشد الشعبي العراقي المقربة من إيران في مختلف مدن العراق وسوريا، أو الغارة التي اغتال بها الولايات المتحدة الجنرال قاسم سليماني قائد فيلق القدس، وأبو مهدي المهندس نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي العراقي ورجل إيران القوي في العراق. من جهتها ردت إيران بضربات صاروخية على قواعد عراقية في محافظتي أربيل وصلاح الدين استهدفت بها القوات الامريكية المتواجدة في العراق ضمن قوات التحالف الدولي لمحاربة «داعش».

لكن المعروف إقليميا إن أخطر وجود لإيران خارج حدودها حاليا هو تواجدها في سوريا، سواء عبر مقاتلي وضباط الحرس الثوري الإيراني الذين يقاتلون دفاعا عن النظام السوري، أو عبر تواجد ميليشيات حزب الله اللبناني وبعض الميليشيات الشيعية العراقية التي تأتمر بأوامر قادة فيلق القدس الإيراني. وكل هذا التواجد الإيراني في سوريا كان عرضة للضربات العسكرية المتكررة من الطيران الإسرائيلي، من دون أن ترد سوريا أو حلفاؤها الإيرانيون أو حتى الروس على ذلك، ربما بسبب صرامة قواعد الاشتباك المفروضة على الجميع. كما تجدر الملاحظة إن تواجد القوات الأمريكية في قواعدها في شرق الفرات قرب مناطق البترول السورية، والقوات الروسية الموجودة في قواعدها في الساحل السوري، والقوات التركية المتواجدة شمال سوريا، وقوات الحرس الثوري الإيراني والميليشيات الشيعية في مختلف مناطق سيطرة النظام لم تؤد إلى خرق قواعد الاشتباك بين مختلف هذه الأطراف حتى الآن.

لذلك يجد المراقبون إن دخول قانون قيصر حيز التنفيذ سيوجه ضربات اقتصادية واستراتيجية للوجود الإيراني الداعم لنظام بشار الأسد، وسيمثل محاولة جادة لقطع ما بات يعرف بـ«طريق الحرير الإيراني» أو طريق محور المقاومة الممتد من طهران مرورا ببغداد ودمشق ليصل بيروت ويتموضع على الحدود الإسرائيلية.

كما يرى بعض المحللين في قانون قيصر، امكانية تقليم أظافر إيران في الإقليم؛ وذلك عبر إضعاف المنظمات التابعة لها، وخصوصا ميليشيا حزب الله اللبناني، كما يُتوقع أن تضغط الولايات المتحدة الأمريكية على العراقيين لسحب الميليشيات العراقية، أو كشف الغطاء والحماية الحكومية الرسمية المتمثلة بمظلة الحشد الشعبي، كما يسعى الأمريكان إلى إغلاق بعض المؤسسات التي تدار من قبل الحرس الثوري المصنف أمريكيا كتنظيم إرهابي؛ وستزداد العقوبات والضربات الاقتصادية على إيران بعد تطبيق قانون قيصر ما سيدفعها لا ولد موجة تضخم جديدة دفعت بالأسعار إلى الاشتعال، ودفعت المصالح الاقتصادية والتجارية إلى الشلل، كل ذلك قبل أن يدخل قانون قيصر حيز التنفيذ.

وربما نظرت دمشق عبر بوابة حلفائها الإيرانيين صوب بغداد علها تجد لديها الدعم المنشود مع واشنطن، وحينها سيتم حل الكثير من العقد الإقليمية التي يقف في مقدمتها تحييد النشاط النووي والصاروخي الإيراني، وإيقاف ما يمثله هذا الملف من تهديد للأمن القومي الإسرائيلي.

كما ستسعى واشنطن وحلفاؤها إلى الضغط على طهران لإغلاق أكثر من ملف ساخن مفتوح في المنطقة، من ملف الحرب في اليمن، والأزمة الحكومية اللبنانية وملف الصراعات الداخلية في العراق، إذ سيكون هناك بالتأكيد نقلات شطرنجية متبادلة على رقعة الشرق الأوسط في الدست الذي تلعبه طهران ضد واشنطن.

الحوار الأمريكي العراقي

يبدو الانهيار الاقتصادي السوري اليوم واضحا، وربما كان أوضح هذه المؤشرات انهيار الليرة السورية التي وصل سعر صرفها مقابل الدولار إلى مستويات غير مسبوقة من التدني، ما ولد موجة تضخم جديدة دفعت بالأسعار إلى الاشتعال، ودفعت المصالح الاقتصادية والتجارية إلى في أن تعد بد المساعدة لدمشق بعد أن بحثت مع الطرف الأمريكي تزويد العراق بالمستشارين الاقتصاديين، الذين سيكونون بالمرصاد لمثل هذه الإجراءات. إذ من غير المتوقع أن يسمح المستشارون الأمريكيون الذين سيعملون بشكل مباشر مع حكومة الكاظمي بخرق قانون قيصر، وستنصب جهود بغداد على الحصول على المساعدة في تعزيز مستوى الدعم الدولي لجهود حكومة بغداد الإصلاحية، بما في ذلك الدعم المقدم من المؤسسات المالية الدولية فيما يخص الخطط الجدية لتشريع إصلاحات اقتصادية جوهرية تحاول إنقاذ العراق من الكارثة الاقتصادية التي يمر بها.

لكن بعض المحللين يرون إن الضغط الإيراني سيستمر بالدفع باتجاه حصول الشركات السورية والإيرانية على حصة من كعكة الإعمار الذي ستفتتح في المناطق العراقية المدمرة نتيجة الحرب ضد تنظيم «داعش» لكن يبقى ذلك رهنا بتوازنات رقعة الشرق الأوسط، ومناورات الأطراف المتنازعة فيه، فقد ترك مشرعو قانون قيصر الباب مفتوحاً للحل الدبلوماسي، فالقانون الجديد يسمح للرئيس الأمريكي رفع العقوبات في حال لمس جدية في التفاوض من قبل النظام السوري، بشرط وقف الدعم العسكري الروسي والإيراني له. كما يمكّن للرئيس الأمريكي أن يرفع العقوبات لأسباب تتعلق بالأمن القومي الأمريكي.

قصف الطيران الروسي والحكومي على إدلب

هل سينقذ الكرملين الاقتصاد السوري من تداعيات قانون قيصر؟

فالح الحمراني

على خلفية اقتراب دخول العقوبات الأمريكية على سوريا المسماة بـ«قانون قيصر» حيز التطبيق، ومؤشرات تداعياتها، حتى قبل أن تكون سارية المفعول على اقتصاد البلاد، عرضت روسيا على واشنطن الدخول في حوار موضوعي حول الأزمة السورية، ولمحت إلى مخاطر الإرهاب التي مازالت قائمة واحتمالات تهديدها للغرب. ومن المرتقب أن تطال العقوبات مصالح الدول التي تتعاون مع سوريا، وترتبط بها بعلاقات اقتصادية، وستكون من بينها روسيا، فضلا عن إيران ولبنان.

ولفت تقرير لمؤسسة «بارى» الإخبارية أن سوريا الحليف الرئيسي لروسيا في الشرق الأوسط، تشهد أزمة عملة. منوها بأنه حتى الشركات الروسية بدأت بسبب العقوبات ترفض الصفقات في سوريا. وانخفضت تدفقات العملات الأجنبية إلى البلاد بشكل حاد في أوائل حزيران/يونيو. والمشكلة الهامة في سوريا، كما يرى التقرير، هي استيراد الحاجات الأساسية. فسوريا تستورد حتى الأرز والمعكرونة والعدس. وتأمل الولايات المتحدة في أن تتسبب الأزمة الاقتصادية في اضطرابات اجتماعية وبالتالي رحيل بشار الأسد. ومن غير المرجح أن تساعد الدول العربية والإسلامية سوريا. فتركيا والمملكة العربية السعودية ضمن أعداء الحكومة السورية الحالية. وأضاف التقرير: يبقى الكرملين، لا أحد يعرف ما هو القرار الذي سيتخذه فلاديمير بوتين.

ووفقا لنائب وزير خارجية الاتحاد الروسي سيرجي ريابكوف أثناء مناقشة نظمها «مجلس الشؤون الخارجية» عبر الإنترنت في التاسع من الشهر الجاري بصدد العلاقات الروسية-الأمريكية، فإن روسيا تجري حوارا مهنيا ومكثفا مع الولايات المتحدة بشأن سوريا، ويتم من خلال القنوات الأمريكية تشغيل آلية حل النزاعات، وهذه تجربة جيدة جدا لروسيا، ويمكن استخدامها لاحقا في حالات أخرى.

وقال ريابكوف: «نؤكد من جديد اهتمامنا بتحسين الاتفاقية الثنائية مع الولايات المتحدة بشأن منع الأنشطة العسكرية واتفاق تجنب الحوادث العسكرية الخطيرة، وسيكون من المفيد أيضا استخدام التجربة السورية». وعلق الدبلوماسي على العلاقات الحالية بين روسيا والولايات المتحدة في سوريا، وأبدى استعداده للحوار، قائلا: «سنبذل قصارى جهدنا لضمان فهم الولايات المتحدة بشكل صحيح لماذا ومماذا نفعل هناك». مؤكدا «سوف نوسع الحوار مع الولايات المتحدة إذا ردت بالمثل، وإذا أرادت ذلك. من جانبنا نحن مستعدون لذلك». وسيتم عرض مبادرة الحوار في الأيام المقبلة، قبل دخول العقوبات الجديدة على سوريا حيز التنفيذ.

وعلى حد تقييم وكالة أنباء «نوفوستي» الرسمية فإن الوضع الاقتصادي في سوريا أصبح معقدا بشكل حاد مع اقتراب العقوبات الأمريكية الجديدة التي يؤثر على جميع مجالات الاقتصاد السوري تقريبا. وستنطبق العقوبات أيضا على الشركات والأفراد الأجانب الذين يتعاونون مع الحكومة السورية. وهناك العديد من الشركات والمشاريع الروسية التي ستشملها العقوبات.

ولا تستبعد بعض التقارير أن تكون روسيا قد اتخذت تدابير لدعم الليرة السورية التي أظهرت مؤخرا انخفاضا سريعا بسبب حزمة العقوبات الأمريكية الجديدة، التي وصفتها الحكومة السورية بأنها حرب اقتصادية. ومن المحتمل أن تضطر موسكو إلى إعادة تنسيق تفاعلها مع دمشق ومساعدتها على تجنب المخاطر.

ولفت المحللون الانتباه إلى أن العملة السورية، بعد انخفاض حاد تمكنت قليلا من التعافي، وارتفعت الليرة بنسبة 20 في المئة تقريبًا مقابل الدولار. ودفعهم ذلك إلى الذهاب بأن الجانب الروسي استخدم أدوات لتحقيق الاستقرار، على سبيل المثال، ضخ العملة الصعبة في البنك المركزي السوري. وإذا صح هذا فإن موسكو تحاول إعادة النظر في سياستها بموجب «قانون قيصر» والذي على الرغم من أنه لم يدخل حيز التنفيذ، فقد أصبح بالفعل أحد العوامل في انخفاض قيمة الليرة الحالي إلى جانب إجراءات المضاربة من قبل الصيارفة المحليين. وضمن هذا السياق ربطت بعض التقارير قرار إقالة الرئيس بشار الأسد عماد محمد خميس من منصبه كرئيس لمجلس الوزراء الخميس 11 حزيران/يونيو الجاري. وذكرت بوابة «نيوز رو» الإخبارية أن القانون ينص على عقوبات ضد القوات السورية وغيرها من المسؤولين المتورطين وفقا للقوانين الأمريكية بارتكاب فظائع خلال الحرب الأهلية السورية، فضلا عن تمويل التحقيقات والملاحقات القضائية في جرائم الحرب. ويفرض أيضا عقوبات على أولئك الذين يدعمون «الجهود العسكرية لنظام الأسد» في الحرب، ويخول وزير الخارجية الأمريكي دعم منظمات جمع الأدلة بشأن أولئك الذين ارتكبوا جرائم حرب في سوريا. والعقوبات الجديدة تسمح أيضا بمقاضاة الشركات الأجنبية إذا اتضح أنها تدعم القمع. وتقف روسيا في صف الدول التي تدعم الأسد عسكريا. ويعتقد الخبراء أن اعتماد القانون يمنح الولايات المتحدة طريقة أخرى لمعاقبة بشار الأسد وحلفائه.

وذكروا أيضا بأن مشروع القانون سيدفع سوريا وروسيا للتوقف عن استخدام المجال الجوي لضرب المدنيين، وتوفير ضمانات وصول البعثات الإنسانية إلى المناطق «المحاصرة من قبل الحكومة السورية» والإفراج عن السجناء السياسيين وضمان التحقيق في الجرائم في هذه المنطقة. والأكثر إثارة للاهتمام في مشروع القانون كما يراه محللون روس هي التدابير ضد الدول، حيث يعاقب قانون قيصر التعاون مع نظام الأسد في عدد من المجالات، وليس فقط المشاركة في العمليات العسكرية، ولكن أيضا في سياقات أخرى. لذا فإن الدول والمنظمات الأجنبية مهددة بالعقوبات للمشاركة في إعمار البنية التحتية في سوريا.

ويزعم أن تشديد العقوبات سيحرم نظام الأسد من الأموال، بما في ذلك من المستثمرين الأجانب، ولن يسمح له بالاستفادة من مشاريع البناء. بالإضافة إلى ذلك فإن استعادة المرافق الاجتماعية والحياة السلمية في المناطق المحررة عامل مهم في نتائج الصراع السياسي.

وكتبت صحيفة «روسيسكايا غازيتا»: أن القانون الموجه للحماية المدنية لعام 2019 المعروف باسم قانون قيصر، والذي سيدخل حيز التنفيذ في 17 حزيران/يونيو، وفقًا للوثيقة، التي تلقت دعمًا من الحزبين في الكونغرس الأمريكي، فإن العقوبات لن تنطبق فقط على الحكومة السورية والجيش السوري، وحسب ولكن أيضا على أي دولة تدعم النظام السوري». ووضع هذا القانون لبنان في موقف صعب. وترى الصحيفة أن الإجراءات التي ينص عليها قانون قيصر، يفرض القيود على الأطراف المتعاونة مع النظام السوري أثارت قلقا شديدا لدى لبنان، الذي يحتاج حاليًا إلى مساعدة جادة من صندوق النقد الدولي.

وأضافت: سيجبر قانون قيصر بيروت على تنفيذ سلسلة من الإصلاحات لتحسين النظام الأمني على الحدود مع سوريا.

السنة الثانية والثلاثون العدد 9934 الأحد 14 حزيران (يونيو) 2020 – 22 شوال 1441 هـ

«قانون قيصر» يخلط الأوراق الإماراتية في سوريا ويهدد أحلامها التوسعية في المنطقة

سفارة الإمارات في دمشق

الدوحة ـ «القدس العربي»: سليمان حاج إبراهيم

تغوص الإمارات العربية المتحدة مجدداً، في مستنقع أزمات المنطقة، وهذه المرة في وحل المياه السورية الراكدة، بعد نسف قانون قيصر الأمريكي، الذي يستهدف حلفاء وداعمي نظام بشار الأسد، آمال شركاتها وأذرعها الطامحة للتوسع والباحثة عن نفوذ لم يعد متاحاً تحقيقه في أي مكان.

وتجد أبو ظبي نفسها في مأزق صعب، تبحث لها عن مخرج من مغامرتها الجديدة، بالتزامن مع ورطتها في ليبيا، واحتراق أوراق حليفها المشير خليفة حفتر.

وخلط قانون قيصر، أوراق الإمارات التي كانت تسارع الخطى لتطبيع شامل للعلاقات مع النظام السوري، وتخطط سراً لسحب عواصم أخرى لحروفها، أملاً في تثبيت دعائمه والاستثمار بقراره، خدمة لأجندتها.

الخطة الإماراتية في التغلغل في بلاد الشام لم تدرس بعناية تفاصيل المشهد الملغوم، وغابت عن صانع قراراها تحولات الملف لأولوية حيوية للرئيس دونالد ترامب الذي يبحث بدوره عن متنفس لأزماته الداخلية.

مغامرة أبو ظبي في سوريا خرجت للعلن مع الاتصال الذي أجراه ولي عهدها حاكم الإمارات الفعلي الشيخ محمد بن زايد مع رئيس النظام السوري بشار الأسد، وهو أول اتصال علني من زعيم خليجي منذ بدء الأزمة السورية قبل 9 سنوات. لكن قبل الاتصال لم تكن العلاقات بين أبو ظبي ودمشق انقطعت خلال السنوات الماضية؛ بل كانت على قدر عالٍ من التنسيق المتبادل والدعم السياسي والمالي الذي قدمته الإمارات للنظام السوري.

التقارب الإماراتي السوري العلني، كان يستند على مناورات سرية بدأت تفاصيلها تكشف علناً، لتتضح خبايا دور أبو ظبي في تمويل جزء كبير من الحملات الروسية، والدعم المادي للنظام الذي كان يعاني عزلة دولية. وحافظت الإمارات على التبادل المالي، مع أركان النظام، وكانت بنوكها تشكل متنفساً لبشار الأسد.

ولم تجد أبو ظبي حرجاً في التأكيد أن علاقاتها مع النظام السوري ظلت قائمة حتى في ذروة التصعيد الدولي ضد جرائمه المرتكبة ضد المدنيين.

وأعلن القائم بأعمال دولة الإمارات العربية المتحدة في دمشق، المستشار عبد الحكيم إبراهيم النعيمي "أن العلاقات بين بلاده وسوريا متينة ومتميزة وقوية".

وأضاف خلال حفل استقبال سابق، بمناسبة العيد الوطني للإمارات العربية في سفارتها بدمشق «علاقات البلدين تقوم على أسس واضحة وثابتة قاعدتها لم الشمل العربي عبر سياسة مُعتدلة».

الرياض في مفترق طرق

انتقال الأذرع الإماراتية من طرابلس الغرب نحو الشام، يتم في ظاهره العلني، من دون أي توافق مع حليفتها السعودية التي تجد نفسها في مفترق طرق، ومأزق صعب، يجعلها تخشى الانغماس في لعبة أبو ظبي والتماهي مع خطواتها. وتخشى الرياض أن تلتهمها نيران واشنطن على ضوء ملفاتها المتراكمة. وحتى الآن، فإن المملكة وإن كانت ترغب في تطبيع العلاقة مع نظام الأسد «نكاية» في تركيا حليفة غريمتها الدوحة، إلا أن هذه الرغبة لا يمكنها أن تقفز على الإرادة الأمريكية، خصوصاً وأن ملف اغتيال جمال خاشقجي في قنصلية الرياض في اسطنبول، لا يزال مفتوحاً. مندوب السعودية لدى الأمم المتحدة، عبد الله بن يحيى المعلمي، لم يغلق الباب في تصريح صحافي، في وجه إمكانية إعادة بلاده فتح سفارتها بدمشق على غرار الإمارات. لكنه تدارك الأمر بالتأكيد أنه لا توجد حالياً أي نية لدى الرياض لاتخاذ خطوة مشابهة لما فعلته دولة الإمارات بإعادة فتح سفارتها بدمشق، موضحاً أن الوقت لم يحن بعد.

وأضاف أن «العلاقات السعودية السورية يمكن أن تعود ببساطة في أي يوم وأي لحظة؛ إذا انتهت الأزمة السورية وتم التوافق بين الشعب السوري على التوجهات المستقبلية في البلاد»، مشيراً إلى أن «سوريا لا بد أن تعود يوماً إلى جامعة الدول العربية وهذا بحاجة لعدة خطوات» وفق تعبيره.

تحول الموقف السعودي حول الملف السوري، تزامن مع وصول الملك سلمان بن عبد العزيز إلى الحكم في المملكة، ومن لحظتها تغيرت لهجة السعودية بشأن الرئيس السوري بشار الأسد ومصيره.

وبدأ ذلك في جلية آب/اغسطس 2017 حيث دار الجدل حول ما إذا كانت المملكة ماضية ضغطا على المعارضة أثناء اجتماعها مع وزير الخارجية السابق عادل الجبير الذي طلب – حسب تسريبات المعارضة – التنازل عن الثوابت الأساسية المتعلقة بضرورة رحيل الأسد قبل أي عملية انتقالية.

وهو ما يتناقض والتصريحات السعودية السابقة ونبرة الرياض الحادة، والتي أكدت مراراً وتكراراً في وقت سابق بأنه لا مكان للأسد في سوريا.

التردد السعودي حيال نظام الأسد، لم يثن أبو ظبي التي تريد الذهاب بعيداً في خطتها الرامية لإنقاذ الأسد، وتراهن عليه، خدمة لأجندتها وبحثاً عن موطئ قدم في المنطقة الملغومة، ولتكون دوماً ندا لأنقرة.

وتفتش الإمارات بعد تصاعد لهجة واشنطن مع سريان قانون قيصر، عن أي ثغرة من شأنها الولوج من خلالها، وتغادي أي حرج أو عتب من الإدارة الأمريكية. وتقوم استراتيجيتها أساساً على تطويع «القانون الجديد» والتأكيد على الفرق بين الشركات التي لها أنشطة عسكرية، وتلك المتخصصة في أعمال البناء والهندسة المدنية أو التكنولوجيا.

هذه الخطوات أثارت حفيظة وزارة الخارجية الأمريكية، التي عبرت عن علمها بزيارة وفود اقتصادية لدمشق في تغريدات صدرت من حساب تويتر الخاص بموقع السفارة الأمريكية في سوريا.

وتسوق اللوبيات الإماراتية في واشنطن أن هدف تحركاتها في سوريا، مبعثه تشييد سد في وجه روسيا، وإيران، ومناكفتها، طالما أنها حليف موثوق للولايات المتحدة.

وحسب تقرير لموقع Responsible Statecraft الأمريكي، فإنه عند «التأمل في المصالح الإماراتية التي دفعت أبو ظبي إلى إعادة دعم حكومة الأسد بهذا الوضوح، فثمة العديد من العوامل التي يجب أخذها في الحسبان». وشدد المصدر على أن الإمارات مقارنة بالسعودية وقطر على الأقل، لم تكن أبداً متمسكة بالإطاحة بالنظام البعثي في سوريا، وباعتبارها دولة مجلس التعاون الخليجي الأكثر عداءً لجماعة الإخوان المسلمين وقوتها الإقليمية، أدرك المسؤولون في أبو ظبي رغم كل خلافاتهم مع حكومة الأسد حول مجموعة من الملفات (إيران، وحزب الله اللبناني، إلخ) أن انهيار النظام السوري كان سيفيد على الأرجح جماعة الإخوان المسلمين السورية.

ووفقاً لتقارير إعلامية تركية، نسقت الإمارات مع دمشق لمساعدة جيش الأسد لقتل بعض قادة الجماعات المناهضة للنظام في الفترة بين عامَيْ 2012 و2014 مثل زهران علوش وحسان عبود وأبو خالد السوري، وعبدالقادر صالح. وفضلاً عن ذلك، طوال الحرب الأهلية السورية، لم يكن سراً أن الإماراتيين تركوا أبوابهم مفتوحة لرجال الأعمال السوريين الأثرياء المرتبطين بالنظام وأفراد عائلة الأسد.

حامي الثورات المضادة

توجه للسلطات الإماراتية منذ بداية الربيع العربي، أصابع الاتهام، لكونها تعمل على وأد التجارب الديمقراطية في المنطقة، وتقف في وجه تطلعات الشعوب المطالبة بالحرية. وحتى الآن تنظر أبو ظبي إلى نظام الأسد على أنه أحد الناجين منه. وبعد أن شهد المسؤولون الإماراتيون سقوط الحكومات المتحالفة معهم في تونس والقاهرة عام 2011 خلال موجة الانتفاضات الشعبية التي أدت إلى صعود الأحزاب الإسلامية المحلية إلى السلطة، أصبحوا لا يرغبون في رؤية نظام إسلامي سني يسيطر على دمشق. وحاليا، في فترة ما بعد الربيع العربي، تروج الإمارات لنموذج «الاستقرار السلطوي» المناهض للإخوان المسلمين في الشرق الأوسط، وأكدت دعمها للجنرالات المستبدين «العلمانيين» في القاهرة وشرق ليبيا، حسب ما يرى الموقع الأمريكي.

وتروج أبو ظبي في واشنطن عبر قنواتها غير الرسمية، أن خطواتها في دعم شرعية نظام الأسد، تحت شعار مكافحة «الإرهاب» و«التطرف» وهي تدغدغ بذلك مشاعر التيار اليميني في البيت الأبيض.

عقدة تركيا

الانغماس الإماراتي في مستنقع الأزمة السورية، تدفعه عدد من المحددات الأساسية، إضافة إلى عامل محاربة التيارات الإسلامية، يأتي منها الدور التركي، الذي تحول لمتلازمة للسياسة الخارجية الإماراتية.

ويبهمس المسؤولون الإماراتيون المقربون من دوائر صنع القرار في البيت الأبيض في آذان نظرائهم الأمريكيين، أن «السياسة الخارجية الطموحة لتركيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تشكل تهديداً خطيراً لا لمصالح الإمارات فحسب، بل لمصالح الولايات المتحدة أيضاً».

وتراهن أبو ظبي على دعم علني وسري لنظام الأسد، وتعتبره خطوة من الضروري أن تتخذها الدول العربية لمواجهة هذا «التهديد» المفترض.

ويتباحث ساسة أبو ظبي تزامناً مع تفعيل قانون قيصر الأمريكي، في البدائل المتاحة للالتفاف عليه، من دون إغاظة واشنطن ولا رئيسها الذي يخطط لإبعاد الأنظار عن الضغوط الداخلية التي يواجهها وتنسف خطته للظفر بولاية ثانية.

ولا تزال الإمارات تحلم بالليوم الذي تجرى فيه لقاءات رسمية بين بشار الأسد محمد بن سلمان في العاصمة السورية دمشق، لمناقشة خطط إعادة الإعمار، وتحقيق انتصار وهمي يراود أذهان الإماراتيين منذ فترة.

لكن المجريات الميدانية، تؤكد جميعاً أن الأحلام الإماراتية ستظل بعيدة المنال، وتزيد من متاعب ولي عهد أبو ظبي الذي احترقت كل أوراقه في المنطقة، مع احتمال أن تكون المغامرة السورية الأخيرة، في سلسلة الإخفاقات التي تكبدها في كل مكان.

Volume 32 - Issue 9934 Sunday 14 June 2020

الأسد على الحافة: موعد قصاص قيصر وغضب الموالاة واقتصاد منهار فأين المفر؟

إبراهيم درويش

مع وصول «قيصر» إلى سوريا وبالتبعية إلى لبنان، رد الاقتصاد في البلدين على قرب سريان مفعوله بفقدان الليرة السورية نسبة 60 في المئة من قيمتها بشكل يفتح المجال إلى تضخم مفرط ومعاناة للسوريين الذين يعانون منذ تسعة أعوام حربا أهلية قتلت أكثر من 700.000 شخصا وشردت 12 مليون نسمة من سكان سوريا البالغ عددهم قبل الحرب حوالي 23 مليون نسمة.

وأصبح «قانون قيصر لحماية المدنيين السوريين» الذي أقره الكونغرس الأمريكي عام 2019 وأدمج في قانون إقرار الدفاع الوطني عام 2020 جزءا لا يتجزأ منها ولن يكون قابلا للمراجعة. وجاء اسمه من شخص مجهول رمز إليه بـ «قيصر» وهو مصور عسكري في السجون السورية استطاع تهريب صور لتعذيب وجثث سجناء في أقبية السجون السورية ما بين 2011–2014 إلى خارج سوريا، يقترب عددها من 50.000 صورة وتم عرض بعضها في متحف الهولوكوست التذكاري في واشنطن والأمم المتحدة.

وعلى خلاف العقوبات الأخرى التي فرضتها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي في الماضي والتي استهدفت أفرادا وكيانات في نظام بشار الأسد أو داعميه داخل البلاد، فإن قانون قيصر يستهدف بالإضافة للأفراد والكيانات التابعة للنظام، صناعات البنى التحتية والطاقة وشبكات وكيلة تابعة لروسيا وإيران، وهما الطرفان الداعمان اللذان عملا على بقاء الأسد في السلطة طوال سنين الحرب الأهلية الدموية. ووسعت صلاحيات القانون لتشمل العواصم القريبة من سوريا ودول الخليج والدول الأوروبية وغيرها ممن احتفظت بعلاقات تجارية مع نظام الأسد، فهو يعاقب الهيئات والشركات التي ستقوم بالتعامل تجاريا مع الأسد. ومن يخرق القانون فستكون أمواله عرضة للتجميد وحظر السفر بل والاعتقال، بعبارة أخرى خنق النظام وقطع الموارد عنه تحت ذريعة إجباره على الدخول في مفاوضات حقيقية وبعدها يتم النظر في العقوبات ورفعها.

ومن المعروف أن فرض العقوبات على الدول أسهل من رفعها، وتعلمت إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب أن أفضل طريقة للحصول على أوراق نفوذ ضد أعدائها هي فرض العقوبات على كل من لا يخضع لها. ويمكن النظر إلى تطبيق «قانون قيصر» في 17 حزيران/يونيو على أنه مواصلة لحرب الولايات المتحدة ضد نظام الجمهورية الإسلامية وسياسة الضغط الأقصى التي يرعاها صقور الإدارة خاصة وزير خارجيته مايك بومبيو. ويأمل الداعون لقلب النظام الإيراني الراعي الأكبر لنظام بشار الأسد باستخدام ما تبقى لهم من أشهر في الإدارة قبل انتخابات الرئاسة في تشرين الثاني/نوفمبر لتدفيع طهران الثمن وتفكيك النظام السوري.

تذمر في السويداء

مع أن العقوبات لا تصيب إلا الناس العاديين والذين ستزداد معاناتهم أكثر، فقد بدت إشارات التذمر والغضب في التظاهرات التي اندلعت في معاقل النظام التقليدية، فقد شهدت محافظة السويداء تظاهرات غاضبة لعن فيها المتظاهرون بشار الأسد وهتفوا بشعارات الثورة «الشعب يريد إسقاط النظام» و«ارحل ارحل يا بشار» وقالوا إن سوريا هي لهم وليست لعائلة الأسد. ونفس المتظاهرون في السويداء عن مخاوفهم وحالتهم الاقتصادية. وفي شهادات نقلتها صحيفة «وول ستريت جورنال» (2020/6/12) وقالت إن الاحتجاجات كسرت «محرم» عدم انتقاد النظام في معاقله. ورد المتظاهرون المؤيدون للنظام باحتجاجات أخرى حملوا فيها الولايات المتحدة المسؤولية. ونقلت الصحيفة عن ناشط في طرطوس قوله «قيمة راتبي الشهري هي بطيخة». بل وأصبحت طبخة «المجدرة» المكونة من العدس والأرز مكلفة للكثير من السكان.

وقال ناشط في حزب الشباب الوطني «هناك حصار على سوريا وبقانون قيصر ستزيد الأمور سوءا». واضطرت الكثير من المحلات التجارية إغلاق أبوابها بسبب تراجع العملة لحين تحسن قيمتها. ونقلت صحيفة «الغارديان» (2020/6/12) عن فؤاد شبانة من مدينة تدمر قوله «المسألة ليست في توفر المواد» ولكن «لا أحد يمكنه شراء أي شيء، فكل راتبي الشهري يوفر لي كيلو لحم. وهو يعادل 14 دولارا». وتقول إلزابيث تسكورف من معهد أبحاث السياسة الخارجية: «ترتفع أسعار المواد في سوريا بما فيها المنتج محليا مع مستوى سعر الفائدة». وقالت إن «التضخم يتسارع بدرجة تكون فيه أسعار البضاعة أقل في الصباح منها في المساء». مشيرة إلى ارتفاع الأسعار بنسبة 50 في المئة وهو ما يضع سوريا في نادي الدول التي عانت من تضخم مفرط.

الليرة التركية

وفي شمال–غرب سوريا التي يتلقى الموظفون العاملون فيها رواتبهم بالليرة التركية تفكر السلطات هناك بالتحول عن الليرة الوطنية واستخدام العملة التركية، خاصة أن مناطق في حلب وتلك القريبة من الحدود التركية خاضعة للسيطرة التركية أو الجماعات الوكيلة عنها بالإضافة لإدلب التي يعيش فيها 3 ملايين نسمة، مما يعني فصل ثلث سكان سوريا عن الليرة، في ضربة قوية لاقتصاد يتراجع بشكل سريع.

لبنان

ويرى المراقبون أن تدهور الاقتصاد مرتبط بالأحداث في لبنان التي انهار فيها النظام المصرفي. وكانت المصارف هي المكان الآمن للأرصدة السورية التي مكنت النظام من شراء المواد الأساسية، إلا أن الظروف الاقتصادية وتداعيات فيروس كورونا على الاقتصاد في البلدين فاقمت من معاناة سكان البلدين وأخرجت اللبنانيين إلى الشوارع رغم قيود الحركة لمنع انتشار كورونا. وتعيش دول المنطقة أزمات متعددة من الحروب والفساد وسوء الإدارة وعدم الاستقرار وأخيرا وباء فيروس كورونا الذي قالت مجلة «إيكونوميست» (2020/6/11) إنه عاد في موجة ثانية سواء في السعودية وإيران وإسرائيل ولبنان. وتكشف الاحتجاجات السورية عمق الغضب على الحكومة السورية التي فشلت في تخفيف المعاناة الاقتصادية على المواطنين. وأجبرت الأوضاع المعيشية والغضب العام في قواعد النظام الأسد على عزل رئيس الوزراء عماد خميس الذي حمل في آخر ظهور له في مجلس الشعب السوري الولايات المتحدة والعقوبات التي فرضتها على سوريا. وحاول الأسد الحصول على أموال لدعم اقتصاده المتردي عبر ملاحقة الأثرياء الذي تربحوا من الحرب الأهلية، وتابع السوريون خلال الفترة الماضية مسلسلا دراميا كشف عن الخلافات في داخل عائلة الأسد وشكوى رجل الأعمال رامي مخلوف الذي دعم النظام خلال فترة الحرب الأهلية إلا أن الرئيس وهو ابن خالته بات يطالبه بالمزيد. وتم اعتقال عدد من موظفيه خاصة في شركته الكبرى سيريتال، ولم يشفع له تمويله للحرب ولا توفيره المكالمات الهاتفية المجانية للقوات السورية أو أجهزة الأمن. فالأسد المحاصر لا يمكنه الطلب من روسيا الدعم ولا من إيران التي تئن تحت كاهل العقوبات الاقتصادية التي طالت كل مفصل من مفاصل الدولة وحتى المصدر الرئيسي للمال وهو النفط، أضف إلى هذا أن إيران كانت البؤرة الرئيسية لفيروس كورونا لوقت طويل ولا يزال الفيروس يحصد أرواحا من المدنيين الإيرانيين وعلى قاعدة يومية. وفي سوريا تحذر المنظمات الإنسانية من مجاعة قادمة خاصة أن 85 في المئة من سكان سوريا يصنفون فقراء. وقالت إن العقوبات عادة ما تصيب الناس العاديين ولا تحقق هدفها المنشود. وقدر برنامج الغذاء العالمي في نيسان/إبريل أن نسبة السوريين الذي باتوا يفتقدون الأمن الغذائي ارتفعت بنسبة 22 في المئة خلال العام الماضي، أي 7.9 مليون سوري باتوا يتناولون وجبتين في اليوم بدلا من ثلاث وجبات.

ساحة بالوكالة

وتبدو سوريا التي دمرت مدنها وأنهك اقتصادها غير قادرة على تلقي صدمة جديدة، ستترك آثارا بعيدة المدى لا على مستقبل النظام ولكن على السكان والمنطقة بشكل عام، كما تقول صحيفة «الغارديان» (2020/6/12). فالقانون كما تشير هو جزء من الحرب الأمريكية على إيران ووكلائها في المنطقة، وبدلا من استخدام الذريعة السياسية ها هي تعطي الحرب صبغة قانونية في محاولة لسحق طرفين رئيسين داعمين للنظام وهما إيران وحزب الله. ولكن الإستراتيجية الأمريكية أدت إلى سلسلة من الأزمات بالمنطقة حيث يواجه لبنان حالة من الانهيار الاقتصادي واضطرابات مدنية. أما العراق فيعيش ظروفا اقتصادية صعبة بسبب قلة الموارد المالية الناجمة عن انخفاض أسعار الطاقة. وقال وزير لبناني «في تعجيلهم للإطاحة بشار وخامنئي نسي (الأمريكيون) أصدقاءهم» و«جعلهم الهوس الأيديولوجي غير مبالين لمعاناة الناس الحقيقيين». وقال مصرفي لبناني «هذه كارثة على الحكومة» اللبنانية. و«سيفرضون عقوبات على المصارف والتجار اللبنانيين. وهبطت العملة في بلدنا مثل عملتهم، وواحد من الأماكن التي نستطيع جيمس جيفري أن خسارة العملة السورية قيمتها جاء بسبب التحركات الأمريكية. وقال «يثبت انهيار العملة السورية أن روسيا وإيران لا تستطيعان الحفاظ على نظام الأسد الذي لم يعد قادرا على إدارة سياسة اقتصادية فاعلة أو تبييض الأموال في المصارف اللبنانية». ويقول جوليان بارنز–ديسي مدير برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في مجلس الأطلسي الأوروبي للعلاقات الخارجية، إن الأسد هو العامل الأول في الدمار الذي تشهده سوريا إلا أن الموقف الأمريكي قائم الآن على سياسة لعبة الأمم وضرورة منع روسيا وإيران الفوز في الحرب. و«ما أخشاه أن يقود قانون قيصر إلى عكس الأهداف التي شرع من أجلها، أي تغذية النزاعات السيئة للنظام ولنزاع واسع. فالهدف الأمريكي المعلن من سياسة الضغط الأقصى هو تركيع النظام وإجباره داعميه للاعتراف بالهزيمة، لكن النظام يعرف كيف يتمسك بالسلطة وكذا من يدعمونه». وقال إن الشعب السوري عانى ولوقت طويل وتم تدمير البلاد بسبب النزاع حيث ننظر الآن إلى الحافة ومرحلة خطيرة من النزاع الذي سيحمل معه دمارا جديدا.

لم ينتصر إذا

ويبدو أن الأسد يدفع استحقاقات قراره مواجهة الثورة السلمية بالسلاح، فهو وإن «انتصر» لكنه يقف اليوم على ركام المدن المحطمة وهيكل من دولة كان اسمها سوريا، تسخر إسرائيل كل يوم من سيادتها بالغارات المستمرة ضد ما تقول إنها أهداف إيرانية. ولم يعد قادرا حتى على التحكم بالمناطق التي استعادها مثل محافظة درعا «مهد الثورة» في الجنوب التي شهدت في الفترة الأخيرة عودة مسلحة. أما بادية الشام فقد أعاد تنظيم «الدولة» المهزوم نفسه. ويبدو أن هوس الأسد في استعادة السيطرة على إدلب جعله يتعامى على مشاكل مناطقه الاقتصادية. ويرى تشارلس ليستر من معهد الشرق الأوسط في مقال بمجلة «بوليتيكو» (2020/6/11) أن الوطرحة التي يعيشها الأسد تعطي الولايات المتحدة ورقة نفوذ للعب دور إيجابي بحل الأزمة. مع أنه يستبعد هذا في ظل إدارة ترامب القائمة على النزوات. وأشار إلى أن معظم أسباب الثورة عام 2011 لا تزال قائمة وعميقة إن لم تكن أسوأ، فلا انتصار للأسد بهذا المعنى. وبالتأكيد فالحياة في سوريا عام 2020 تعتبر أسوأ من الظروف الأسوأ التي مرت على البلاد في الفترة ما بين 2014–2015. وقام الأسد من خلال التمسك بالسلطة بتدمير بلاده واقتصادها. وتحدث ليستر عن ثلاثة سيناريوهات تتراوح من العزلة على طريقة كوريا الشمالية إلى التحلل بطريقة تمس الأزمة كل مفصل من مفاصل الحياة السورية ولا يمكن لأحد تخيلها، مما يفتح المجال لبؤس جديد ومجاعات وجرائم. أما السيناريو الثالث، فهو حدوث تغيير في قمة الهرم الحاكم، وهو ما اقترحه عدد من الموالين القدامى للنظام. ومن الصعب التكهن بحيوية أي من هذه السيناريوهات، ولكن هناك سيناريو آخر يمكن للولايات المتحدة أن تديره بالتعاون مع الأوروبيين وشركائها في الشرق الأوسط. أي الضغط على رعاة النظام والتوصل لتسوية. ورغم ما تعرض له النفوذ الأمريكي في سوريا فأمريكا لا تزال مهمة هناك والعالم ويمكنها والحالة هذه تشكيل نتيجة أي تسوية. وفي الحقيقة يوفر ضعف الأسد الحالي فرصة. ويرى أن سوريا مهمة للمصالح الأمريكية والشرق الأوسط وما بعد. فقائمة الآثار التي تركها النزاع السوري على مسار العالم خلال العقد الماضي متعددة؛ موجات اللجوء من سوريا إلى أوروبا التي ساعدت بزيادة الشعبوية في السياسة الأوروبية. وكذا صعود تنظيم «الدولة» المفاجئ ورد المجتمع الدولي. ولا نبالغ بالقول إن انتخاب ترامب عام 2016 قد أسهم بالفوضى في سوريا. وعادت روسيا بتحد إلى الشرق الأوسط. وحققت طهران من داخل الفوضى السورية حلمها بإنشاء ممر بري يبدأ من إيران وينتهي بلبنان.

حوار

النائب الكردي العراقي جمال كوجر: الأحزاب لا ترغب في انتخابات مبكرة نزيهة

حاوره: مصطفى العبيدي

عضو اللجنة المالية في مجلس النواب العراقي جمال كوجر، من النواب الكرد النشيطين في تقييم الأوضاع السياسية والاقتصادية في العراق والإقليم، وتحديد مكامن الخلل فيها، وقد كشف لـ«القدس العربي» عن جوانب من المشهد العراقي منها، أن الأحزاب الكبيرة لا ترغب لا في انتخابات مبكرة ولا انتخابات نزيهة، وأن التظاهرات على الأبواب، وكورونا هي الملاذ الآمن للأحزاب والحكومات الفاسدة، والدولة العميقة متغلغلة في أنحاء الدولة، والميليشيات تتحكم بثروات العراق، كما أن الحزبين الكبيرين تقاسما إقليم كردستان وفيهما من يدق طبول الحرب في كردستان، وأي مجتمع بلا معارضة فهو مريض. وفيما يلي نص الحوار:

○ باعتبارك عضو اللجنة المالية لمجلس النواب الاتحادي، ما هي آفاق حل الأزمة الاقتصادية في العراق؟

● آفاق الحل محدودة جدا، لأن هناك أمورا خارج سيطرة الدولة، ومنها أسعار النفط، وجائحة كورونا، والأزمة الاقتصادية العالمية، وكذلك الصرف الأمريكي الإيراني، والذي أصبح فيه العراق ساحة تصفية حسابات، فالدولة العراقية ليست لديها خيارات كثيرة، وكلها لها أثر مباشر على الأزمة الاقتصادية.

أما الحلول الداخلية هي أيضا محدودة لأسباب، منها وجود دولة عميقة في داخل الدولة، وهي المتنفذة والمسيطرة على كل مفاصل الدولة تقريبا، ووجود ميليشيات مسلحة لديها نفوذ عسكري وأمني واجتماعي وسياسي وبرلماني، تستطيع أن تواجه أي قانون أو قرار يمس مصالحها، إضافة إلى قلة مشجعي الإصلاح وكثرة الضالعين بالفساد، وأنا أرى ان رئيس الحكومة مصطفى الكاظمي أمام خيارين لا ثالث لهما، أما أن يواجه إرادة الشعب ويكون مصيره كمصير سلفه عادل عبد المهدي، بعجزه عن مواجهة الفاسدين، وأما أن يبدأ بعقلانية وهدوء بضرب أوكار الفاسدين والدولة العميقة، والبدء في الإصلاحات التي تدر على الدولة مبالغ هائلة بدون أي صراع أو مواجهة مباشرة مع شخصيات رئيسية في الفساد أو ميليشيات مسلحة. وعلى الحكومة أن تضع موازنة الدولة أمام عينيها وأن تنظر إلى أبواب الصرف والموارد ومكامن الفساد فيها، وأن تبدأ بأكبر أبواب الصرف وهي الرواتب، ومعالجة الخلل فيها، مثل عدم وجود قاعدة بيانات دقيقة بمن يستلمون الرواتب في الدولة العراقية، حيث هناك فوضى تقودها الأحزاب، ووجود فضائيين بالآلاف، ثم هناك المتعددي الرواتب، إذ يوجد من يستلم ثلاثة وأربعة وخمسة رواتب، ولحد تسعة رواتب، وهناك أيضا الترهل الإداري، ووجود مصانع وشركات حكومية متوقفة بالكامل عن الإنتاج، هذه المشاكل بعضها يحتاج إلى تشريعات جديدة وقوانين خاصة.

أما الموارد فتكمن الآن في النفط، هل استطعنا استثمار النفط بشكل صحيح؟ انها تحتاج إلى مراجعة جديدة، وهناك جولات تراخيص الاستثمار التي كان الهدف منها رفع إنتاج النفط إلى 12 مليون برميل يوميا بحلول عام 2017 ونحن الآن في عام 2020 وما زلنا في حدود أربعة ملايين. وفي قضية المنافذ الحدودية لدينا ستة منافذ خارج سيطرة الدولة، وحتى تلك التي تحت سيطرة الدولة فيها شبهات فساد.

○ هل لديكم تصور في اللجنة المالية عن كيفية معالجة الثغرات القاتلة في الاقتصاد العراقي؟

● اللجنة المالية لديها تصور للحل ولكنها لجنة نيابية وليست جهازا تنفيذيا، ونحن ناقشنا أبرز الحلول للأزمة المالية، وتم تقديم المقترحات لأهم المعالجات الممكنة على المدى الحالي والمتوسط والبعيد، واللجنة تحتاج إلى الدعم المباشر من الحكومة، كما تحتاج من مجلس النواب ان يكون لديه مجموعة خبراء اقتصاديين وأساتذة جامعات ووزراء سابقين للاستفادة من خبراتهم وآرائهم.

○ هل لمستم جدية لدى حكومة مصطفى الكاظمي في إيجاد حلول جدية لأزمات العراق الاقتصادية المزمنة؟

● الحكومة جديدة والوزراء جدد، ولكننا لمسنا وجهين للكاظمي، وجه إيجابي كما في إعلانه نيته إعادة النظر في متعددي الرواتب وسلم الرواتب ورواتب لاجئي رفحاء، وحصر السلاح في يد الدولة، ولا ندري مدى جديته أو قدرته على القيام بذلك.

أما النقاط التي نتخوف منها فمنها تحويل العقود إلى تعيينات دائمة، ووعد بتثبيتهم كلهم، وهذا شيء مخيف لأنه يحتاج إلى تخصيصات مالية إضافية مما يثقل كاهل الحكومة أكثر. ولذا نأمل أن يقدم الكاظمي حلولا جذرية وليس حلولا ترقيعية. ولذا نقول له، أمامك خياران لا ثالث لهما، أما أن تواجه الفساد أو ستواجه الشعب في النهاية، لأن الموارد قليلة جدا وآثار كورونا وأسعار النفط خلال هذا الشهر والشهر المقبل ستظهر على الدولة العراقية.

○ صرحت أن «الأزمة الاقتصادية التي يعاني منها العراق مفتعلة، وأن الأحزاب السياسية وفصائلها المسلحة هي من تدير الأموال» فماذا تعني بذلك؟

● نعم أقول إن الأزمة مفتعلة، والأحزاب هي التي تدير الأموال وهناك أمثلة كثيرة، مثلا مطار النجف وموارد ستة منافذ حدودية أين تذهب، ومزاد العملة الصعبة من المستفيد منه؟ معامل ومصافي نفط كانت قادرة على الإنتاج تم تفكيكها وبيعها بثمن بخس، من قام بذلك؟ كنت عضوا في لجنة النفط والطاقة، وجرى وقتها تفكيك وتهريب مصفى بيجي، طالبنا أن نذهب في زيارة ميدانية ولكننا قوبلنا بإجابات صادمة بأن لا اللجنة النيابية ولا وزير النفط يستطيع الذهاب إلى مصفى بيجي لأن هناك ميليشيات تسيطر عليه ونهبت معداته وهربتها وباعتها بثمن بخس، كانت قيمتها بالمليارات ولكنها باعتها بـ 200 مليون دولار فقط.

وهكذا لدينا موارد غنية جدا ونحن دولة غنية، ولكن ينقصنا قيادة حكيمة نزيهة وطنية تنظر لمصلحة البلد قبل المصالح الأخرى، وإرادة حقيقية لقطع الأيادي الخارجية التي تتدخل في الاقتصاد العراقي وتدمره باسم ولاءات مذهبية وطائفية.

المعارضة الكردية

○ الاتحاد الإسلامي الكردستاني الذي تنتمون إليه أعلن عدم الاشتراك في حكومة الإقليم، ما السبب؟

● هناك أسباب لعدم المشاركة في حكومة الإقليم، فالوزارة ليست تحت سيطرة الوزير الذي سيصبح مجرد موظف وأوامره لا تنفذ في الوزارة، فالأحزاب الكبيرة تضع وكلاء الوزراء ومدراء عامين جميعهم تابعون لهما، بالتالي لا يستطيع الوزير فعل شيء مهما كان ونشيطا ونزيها. ثانيا أن الحزبين الرئيسيين يستغلان مشاركة بقية الأحزاب من أجل إسكات صوت الحق، وكانوا يطلبون منا كنواب وكحزب، أن نسكت لأننا جزء من السلطة، وهذا ينافي سياسة الحزب، وبالمشاركة في الحكومة كانت أيادينا مكبلة. وثالثا، أن أي مجتمع ليست فيه معارضة فهو مجتمع مريض، وكانت كل الحكومات ذات القاعدة العريضة، فاسدة وفاشلة، لأن الكل كان مشاركا في الحكومة، لذا ذهبنا إلى خيار المعارضة

لكي يكون هناك صوت معارض يدعم الشارع والإصلاحيين ومراقب لخطوات الحكومة.

○ هل تعتبرون أنفسكم ضمن المعارضة الكردية في الإقليم؟

● نعم نحن ضمن المعارضة الكردية في الإقليم، وخلال الدورة البرلمانية الحالية نحن معارضون في الحكومتين، الإقليم وحكومة بغداد، وليس لدينا أي وزراء فيهما، وقد طلبوا منا المشاركة في حكومة الإقليم ولكننا فضلنا خيار المعارضة على خيار المشاركة.

○ هل تتوقع تجدد التظاهرات المطالبة بالإصلاح في الإقليم؟

● في اعتقادي ان التظاهرات على الأبواب، لأن الحكومة مفلسة وتنتظر الاتفاق بينها وبين حكومة بغداد التي هي الأخرى لديها أزمة اقتصادية، وإذا طالت أزمة أسعار النفط وكورونا، فإن الإقليم لا يستطيع الاعتماد على بغداد فقط لتأمين الرواتب. أن فساد الأحزاب وشره الأحزاب على الأموال، وقرارها أن تكون أكبر من الحكومة لا يبشر بالخير أبدا. ليست هناك نية حقيقية للإصلاح وبالتالي ليست هناك حلول جدية للمشاكل، لذا الشارع سيبقى متأزما والأعمال متوقفة والقطاع الخاص يتهاوى، والخريجون العاطلون أصبحوا بالآلاف، والحكومة تصرح أنها لا تستطيع أن تعين شخصا واحدا ولو بعد خمس سنوات. أكيد أن الوضع سينفجر، والكل مترقب والأحزاب الكبيرة خائفة جدا من تجدد المظاهرات ونعتقد ان كورونا هي العائق الأكبر، وكورونا هي الملاذ الآمن للأحزاب والحكومات الفاسدة.

ولأن الوضع الاقتصادي متأزم جدا والحكومة خزائنها خاوية تماما، فإنها أمام خيارين، أما إجراء إصلاح حقيقي أو مواجهة التظاهرات، ولا نرى جدية في ملف الإصلاح، ويجب أن يبدأ الإصلاح من رؤوس الهرم للحزبين الرئيسيين ونزولا إلى قواعدهم، وهم غير مستعدين للبدء بالإصلاحات.

○ ما رأيك في تصريح عضو كتلة المستقبل الكردية النائب سركوت شمس الدين، بأن «حكومة مسرور بارزاني تقوم بتهريب النفط» ودعوته الحكومة الاتحادية إلى عدم تسليمها أية أموال لحكومة الإقليم؟

● نحن في الحزب الإسلامي ومنذ دورتين نقدم مقترحا لانشاء صندوق لواردات النفط، لتحديد عدد الآبار النفطية في الإقليم والكميات المنتجة والكميات التي تباع وأسعارها والعقود النفطية مع الشركات، والنفط المصدر عن طريق تركيا وإيران. الآن ليست هناك شفافية في هذا الملف، ولكن للأسف لم توافق الحكومة على المقترح، واكتفت بالوعود.

الانتخابات المرتقبة

○ كيف تقيم وضع مفوضية الانتخابات في العراق وقدرتها على إجراء انتخابات مبكرة نزيهة؟

● مجلس المفوضية هم قضاة جدد لم يأخذوا أي دورات خاصة بالانتخابات، وهم يحتاجون إلى تدريب وخبرات، ومعظم مكاتبها تحتاج إلى كوادر جديدة مدربة، وسجلات الناخبين تحتاج إلى تحديث ومراجعة، الانتخابات تحتاج إلى وضع أمني مستقر وهو غير متوفر حاليا، بسبب عودة نشاط «داعش» ووجود الميليشيات، وقانون الانتخابات الجديد عليه اعتراضات وصاغته حيتان الفساد، والأحزاب الكبيرة وحدها المستفيدة منه، وفي كل الأحوال لا أعتقد أن الظرف سيكون مواتيا لإجراء انتخابات مبكرة نزيهة، لأن نفس الآليات التي حدث فيها تزوير كبير في الانتخابات السابقة ستتكرر.

○ هل أنت مع دعوات حل البرلمان لإجراء انتخابات مبكرة؟

● لا أعتقد أن الحكومة بصدد حل البرلمان لأن ذلك يعني توقف التشريعات، وهي تحتاج مجلس النواب لإصدار التشريعات والقوانين في مجال الإصلاح الاقتصادي، لذا لا أعتقد أن حل البرلمان سيكون هو الخيار الأفضل للحكومة إلا في حالة واحدة، عندما يتحول البرلمان إلى عائق لبرامج رئيس الوزراء. وطبعا الأحزاب الكبيرة لا توافق على حل البرلمان لأنها غير قادرة على الحصول على نفس نسبة المقاعد التي لديها الآن، لأن الظروف الشعبية والسياسية تغيرت بالكامل، والشعب غاضب منها، لذا فإن الأحزاب لا ترغب لا بانتخابات مبكرة ولا انتخابات نزيهة. واختتم النائب جمال كوجر الحوار بالقول إنه «كان المفروض ان تبنى الحكومات في الإقليم على نتائج الانتخابات وليس على إدارتين. الحزبان الرئيسيان قسما الإقليم مناصفة بينهما وهناك حد فاصل بين الحكومتين، ومتى ما حصلت خلافات بين الحكومتين فالحدود بينهما واضحة جدا لهم وللجميع، وبهذا الشكل فالحكومة لا تستطيع أبدا أن تخدم مواطنيها والإقليم، فخدمة الإقليم تكون بإقليم موحد وحكومة واحدة وبيشمركه واحدة وبسيطرة كاملة للحكومة وليس للأحزاب على المحافظات والمنافذ الحدودية والموارد، وتفرد الحزبين نتائجها واضحة جدا، فقد مررنا بفترات عصيبة كان هناك قتال داخلي ثم كان هناك فساد مشترك وفقدنا كل شيء والآن طبول الحرب تدق من قبل بعض القيادات من الحزبين، ونتمنى ان لا نشهد تلك الأيام الدامية المؤلمة، ولكن للأسف تفرد الحزبين أدى إلى هذه النتائج الكارثية بالتالي الإقليم والعملية السياسية والنظام الديمقراطي كلها على المحك».

ويذكر أن إقليم كردستان شهد مؤخرا خروج تظاهرات في عدة مدن من السليمانية ودهوك، للمطالبة بتوفير مستلزمات الحياة الضرورية، بعد تدهور الأوضاع المعيشية جراء توقف صرف الرواتب وتبعات فرض حظر التجوال بسبب كورونا.

السليمانية في ظل إجراءات كورونا

حريات

هيلينا مالينو: إسبانيا والمغرب يفتقران إلى شجاعة المبادرة لتسوية قضايا المهاجرين

الهجرة بين ضفتي المتوسط كابوس أوروبا وحلم بلوغ الفردوس

الرباط ـ «القدس العربي» سعيد المرابط

لطالما كان المغرب، شماله على وجه الخصوص بوابة العبور نحو أوروبا، خصوصًا للقادمين من دول جنوب الصحراء، ولكن الأرقام الرسمية المغربية والإسبانية، تقول بارتياح أن أرقام الهجرة غير النظامية، قد انخفضت بشكل كبير منذ كانون الثاني/يناير الماضي، حتى يومنا هذا، وأنها هبطت إلى مستويات أقل من تلك المسجلة في العام الماضي.

هذه الهجرة التي تشكل كابوس أوروبا وهاجس وأحلام المهاجرين، جعلت من إسبانيا الباب الرئيسي للفردوس، وهذا الانخفاض الملحوظ، سواء في الوصول عن طريق البر أو عن طريق البحر، لا يفسر فقط بالحجر الصحي بسبب انتشار فيروس كورونا وحال الطوارئ على ضفتي المحيط، ولكن بدور المغرب الفعال الذي طالما تغنت به إسبانيا.

ففي عالم يتغنى بالحريات والتقدم والازدهار، لا يزال هناك من يفضلون المخاطرة بحياتهم في البحر ويعرضون أنفسهم للمخاطر بدلاً من الفقر والحرب والبؤس في بلدانهم الأصلية، حتى لو سيقوا عبيدا كما حدث في ليبيا، أو رحلوا للحدود وتم الخلي عنهم كما حدث للمغرب، أو حتى لو تركوا لمصيرهم بين لجج البحر كما حدث بين ساحلي المغرب وإسبانيا، فعالم الهجرة دراما لا تنتهي فصولها، وأينما اتجهت وجدت فصلا يختلف عن غيره، فما يرويه المهاجر ليس هو ما يرويه النشطاء الحقوقيون، المدافعون عن حقوق هؤلاء المهاجرين في عبور الحدود، وليس هو ما تقوله المحاضر التي ترقن لدى الأجهزة الأمنية والتقارير الرسمية.

في المحصلة، تكتسب «الهجرة غير النظامية» أو «السرية» أو «غير القانونية» وفق اختلاف المسميات، التي ظلت تتطور في العقد الماضي، أهمية فريدة في منطقة البحر الأبيض المتوسط ، خاصة بين إسبانيا والمغرب.

إصرار السلطات المغربية والإسبانية، على الحد من تدفق المهاجرين، يقابله تشبث المهاجرين بتحقيق حلمهم في بلوغ الفردوس الأوروبي، وتلك معركة مرافعات حقوقية لا تنتهي، بينما يظل المهاجرون هم الضحايا في «الحرب على الهجرة» التي تخصص لها الدول الـ28 ملايين اليورورهات، وتضرب فيها المملكة بيد من حديد، ما يجعل القضية مفتوحة أمام احتمالات الشد والجذب بين السلطات الراغبة في القضاء على الهجرة، وسعي النشطاء لتحقيق مقتضيات القانون وحقوق الإنسان.

وبعد قرار الملك محمد السادس بدء حملتين منظمتين لتنظيم المهاجرين كجزء من استراتيجيته الجديدة للهجرة، ابتداء من عام 2013 قام المغرب بخوض تجربة تغييرات اجتماعية عميقة، كانت في شرعنة إقامة المهاجرين غير النظاميين القادمين من بقية القارة الأفريقية لدى الرباط، عبر وضع قوانين جديدة تسمح بدمجهم، يراها حقوقيون غير شاملة أو كافية.

وحتى كبلد عبور للمهاجرين من دول جنوب الصحراء، فقد أصبح المغرب أيضًا أرض استقبال ووجهة لتدفقات الهجرة من غرب أفريقيا، الأمر الذي أعطاه موقعه الجديد، في مجال الهجرة، والذي سمح لها بالتأثير على القارة الأفريقية، وأعاد تحديد مكانته كعنصر مؤثر في الجغرافيا السياسية الإقليمية للبحر الأبيض المتوسط، ونوع تحالفاته الاستراتيجية حتى الآن التي تركز على أوروبا في قضايا الهجرة.

الدفاع عن الحقوق ليس جريمة

وفي هذا الإطار، وفي بحث «القدس العربي» عن انطباعات وتقييمات الخبراء الإسبان والمغاربة حول الهجرة غير النظامية بين الحدود الجنوبية لأوروبا (جنوب الأندلس) وشمال أفريقيا (شمال المغرب) لتحليلها في البلدين، وتقريب الاستنتاجات، كان هذا الحوار مع هيلينا مالينو، الناشطة الحقوقية الإسبانية والباحثة المتخصصة في قضايا الهجرة والإتجار بالبشر، ومُؤسِسَة منظمة «كاميناندو فرونتيراس» غير الحكومية، التي تعمل من طنجة (شمال المغرب) على الاعتراف بحقوق المهاجرين.

في عام 2002 قررت مالينو الاستقرار في المغرب، لتعمل من بوابة أفريقيا المطلة على أوروبا على إدانة انتهاكات حقوق المهاجرين، حصلت على العديد من الجوائز التي تعترف بعملها، بما في ذلك جائزة حقوق الإنسان لعام 2015 من المجلس العام للمحامين الإسبان، وجائزة «الصحافة الوطنية» لعام 2018 من الجمعية الإسبانية لحقوق الإنسان، وجائزة «غرنيكا للسلام والمصالحة» سنة 2018 وجائزة أخرى عام 2019 بالمهرجان الدولي للصحافة المدنية في إيطاليا.

ولدت هيلينا مالينو سنة 1970 في مدينة إلْ إخيدو محافظة ألميريا (جنوب شرق إسبانيا) وكرست سنوات عمرها لخدمة حقوق المهاجرين، من خلال تقارير، وتغريدات «تويتر» ورسائل الدعم للعائلات.

وبعد عقد ونيف من الزمن نذرته لإنقاذ حياة آلاف الأشخاص الذين حاولوا عبور البحر من أجل حياة أفضل، واضطهدوا

من قبل الحكومتين المغربية والإسبانية، نشرت الناشطة كتابها الأول، الذي عنونته بـ«امرأة الحدود... الدفاع عن الحقوق ليس جريمة» والصادر هذا العام عن دار النشر الإسبانية «إديسيون بينينسولا» ويروي حكاية امرأة حقوقية قررت النضال من أجل الذين يخاطرون بحياتهم لعبور المضيق.

وفي هذه المقابلة الأولى لها مع وسيلة إعلام عربية، تروي مُؤَسِسَةُ «كاميناندو فرونتيراس» لـ«القدس العربي» حكايتها الخاصة، التي عبرت فيها ضفتي المحيط والحدود، من أجل إنقاذ الأرواح التي تمخر عباب المحيط نحو الفردوس الأوروبي، وهي الحكاية التي قادتها للمتابعة القضائية في المغرب بتهمة بالإتجار بالبشر، قبل أن تتم تبرئتها قبل بضعة أشهر فقط، في عام 2019.

○ كيف كانت تجربة الانتقال للعيش في المغرب؟

● هي تجربة أعطتني الكثير من الأشياء، أغلبها إيجابي، كعدم وجود العنصرية وعدم الخوف مما يسمى «الإسلاموفوبيا» وتعلمت فيها الكثير مما غير في شخصيتي وأفكاري، كذلك أعطاني المغاربة دفء العائلة، التي وجدتها في جاراتي وجيراني، وأصدقاء أبنائي، أبنائي الذي وهبهم المغرب ثقافة أخرى ولغة أخرى، فهم يشعرون أنهم طنجاويون حد النخاع.

○ كيف دخلت إلى عالم الهجرة كمدافعة عن حقوق المهاجرين؟

● في مدينة ألميريا كانت البداية، عندما بدأت اكتشف الطريقة غير الإنسانية التي يعامل بها المهاجرون هناك، كان أغلبهم مغاربة، وجزائريون ومن شمال أفريقيا وجنوب الصحراء، الذين يبدأون عملهم مُسْتَغَلّون بطريقة أقرب إلى العبودية، من هناك بدأتُ أكتشف قضايا المهاجرين وما يجري في الحدود، والوضع الاستراتيجي للدول الواقعة شمال أفريقيا، وسياسة الدول في التعامل مع قضايا الهجرة، وهكذا اكتشفت جرائم الدول التي من بينها بلدي إسبانيا في حق هؤلاء المهاجرين بمن فيهم نساء وأطفال.

الجرائم والانتهاكات

○ هل تجدين صعوبات في عملك كحقوقية أجنبية تدافع عن حقوق المهاجرين في المغرب؟

● الدفاع عن حقوق الإنسان، خصوصا قضايا المهاجرين في السنوات الأخيرة أصبح صعبًا ومعقدًا وغير مرغوب فيه لدى الدول التي لا تعتبر بلد عبور للهجرة، أو التي تعتبر وجهة المهاجر، لأن عملي يفضح الجرائم والانتهاكات التي يتعرض لها المهاجرون، ولكن هذه الدول لا تريد أن تعترف بحقنا في الدفاع عن حقوق المهاجرين، ناسيةً أو متجاهلةً أن العدالة الاجتماعية والديمقراطية لا يمكن تحقيقها إن لم تضمن حقوق الجميع فوق أراضيها.

○ ما تقييمك لوضع المهاجرين في المغرب؟

● على المغرب توفير الحقوق الأساسية لهؤلاء المهاجرين، على سبيل المثال الحق في الصحة، تسجيل أبنائهم في سجلات الحالة المدنية (السجل المدني) الحق في الحصول على وثيقة تثبت وفاة المهاجر في حالة توفي في البحر، لأن هذا المهاجر في المحصلة هو إنسان ومن حق عائلته التأكد من وفاته في حالة وقوعها. هذا من جهة ومن جهة أخرى لهؤلاء المهاجرين الحق في الحياة، فنسبة تعرضهم للموت أثناء عبور الحدود تفوق الـ50 في المئة، والمغرب وإسبانيا ملزمتان بموجب اتفاقية «الأمم المتحدة لقانون البحار» بإنقاذ المهددين بالخطر في عرض البحر سواءً أكانوا بحارةً أو مهاجرين، وعليهم بذل كل الجهود الممكنة لكي لا يموت أحد، وعملنا نحن هو إعلام السلطات بالقوارب المعرضة لخطر الغرق والموت بعد توصلنا بنداءات الاستغاثة.

○ كيف ترين تعامل السلطات الإسبانية والمغربية مع المهاجرين غير النظاميين؟

● هذه الدول تفتقر حكوماتها إلى شجاعة المبادرة لتسوية قضايا المهاجرين، فإسبانيا هي الدولة الأوروبية التي بدأت بعسكرة الحدود عبر الاستعانة بدول خارجية مقابل المال؛ للحد من تدفقات الهجرة، وهذه الأموال التي أصبحت تعطى للدول من الاتحاد الأوروبي مقابل توقيف الهجرة، أفرزت لنا ما يسمى عسكرة الحدود، وهذا يصب في صالح الشركات التي تبيع الأسلحة لهذه الدول من أجل مراقبة الحدود. وحين نتحدث عن قضايا الهجرة لابد من الوقوف على أمرين مهمين؛ أولهما السياسة التي تطلبها أوروبا من المغرب والجزائر مثلا مقابل الدعم، هي سياسة عسكرية بكل ما في الكلمة من معنى، والثانية هي توفير شروط الحياة في هذه الدول حتى تكون دولًا للوجهة بدل العبور، وهذا ما يجعل هذه الدول تعيش حالة معقدة في قضايا الهجرة، فهي مجبرة بالعمل على تطبيق سياسة أوروبا والحد من الهجرة نحوها، كما أنها ملزمة بتوفير الحقوق لهؤلاء المهاجرين على أرضها، وتسوية أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية.

○ في عرض المحيط تخلت سلطات البلدين عن إنقاذ مهاجرين غير نظاميين، وتعرضوا للغرق، ما هي معلوماتك حول تلك القضية، وهل ذلك صحيح؟

● نعم حدث ذلك مرات عديدة. وكما ذكرتُ لكَ سابقًا المغرب وإسبانيا ملزمتان بموجب اتفاقية دولية على حماية الأرواح البشرية في البحر، والدولة الإسبانية تمتلك واحدة من أفضل خدمات الإنقاذ البحري في العالم، «سالباميتو ماريتيمو» تتوفر على قوارب وعلى طائرات وأطباء وكل شروط الإنقاذ، ولكن مدريد بدأت في خفض معداتها وميزانيتها، عكس المغرب الذي ليست لديها خدمة إنقاذ بحرية، بل هي موكلة إلى «البحرية الملكية» التي لا تتوفر على معدات كافية لذلك، وما حدث لهؤلاء المهاجرين هو أنه يتم التوصل بنداء الاستغاثة الذي أطلقوه ولم يتم التنسيق بين الجانبين.

مهاجرون مغاربة في اسبانيا

○ يمكن أن تروي لنا قصتك مع الاعتقال في المغرب، وهل أثر ذلك على حياتك الخاصة وعلى عملك الحقوقي؟

● بدأ ملفي منذ 2012 والمتلئ بتهم جنائية ثقيلة موجهة إلي، ولكن لم أعلم حتى سنة 2017 حين استدعيت من طرف العدالة المغربية، في سنة 2012 معلومات بعثتها شرطة مراقبة الحدود الإسبانية، إلى المغرب؛ تقول بأنني متورطة في تهريب المهاجرين من التراب المغربي، وتطلب من المغرب التحقيق في ذلك، وفي سنة 2014 السلطات المغربية ترد على نظيرتها الإسبانية بأن لا وجود لدليل على ذلك، وتطلب منها إرسال «الملف الجنائي الإسباني» الخاص بي، وفي العام 2016 فعلًا، بعثت الشرطة الإسبانية ملفًا حولي، لكنها لم تتضمن فيه وثيقة من القاضي المختص بقضايا الإسبان المقيمين في الخارج، يؤكد عدم تورطي في تلك التهم الموجهة إلي، وهكذا تم استدعائي من قبل المحكمة المغربية، وواجهني القضاء بالملف الفظيع الذي بعثته سلطات بلدي، والذي لم يكن ملفًا به تحقيق للشرطة، بل كان مليئا بالكذب والتلفيق، لتوريط القضاء المغربي الذي لم يكن يعرف أن ما بين يديه هو تلفيق، رفضه قبله قاض إسباني، وأنهم يريدون توريط المغرب في اعتقالي. وهكذا بدأت حملة دولية للتضامن مع قضيتي التي كانت فعلا معقدة، وكذلك وجدت تضامنًا من طرف المجتمع المغربي والإسباني. لقد كان مؤلمًا التلفيق الذي تعرضت له، والذي يثبت أن أوروبا لا تريد مدافعين عن المهاجرين بأي شكل من الأشكال، ولا تريد من يوجه لها أسهم النقد ويحملها المسؤولية الحقيقية في ما يواجهه المهاجرون. ولكن بعد أشهر بت القضاء المغربي في قضيتي، وأعلن أن ما أقوم به في قضايا الهجرة ليس جريمة، شاهرا ورقة البراءة أمام ما كان يحاك لي، وقد أثبتت لي تلك القضية أنني في الطريق الصحيح، وعلي المواصلة.

○ هل تفكرين في السعي لتحقيق العدالة بعد الألم الذي تسببت لك فيه تحقيقات الشرطة، هل تخططين لرفع قضية عنه في إسبانيا؟

● الآن لا أدري، ولكن حين أنظر إلى كل ما حدث، أرى أن الجميع داس على حقوقي بقديمه، ليس فقط حقوقي، ولكن حقوق أسرتي وحقوق أطفالي بطرق عدة، بدءًا من اتهامي بجرائم كاذبة وأدلة زائفة، مرورا بإرسال بياناتي الشخصية لدولة أخرى من دون تقدير تبعات ذلك. على سبيل المثال، لم يمر هذا التقرير عبر رابط السفارة المغربية، لقد تم انتهاك العديد من الحقوق في ملفي وهناك رجال شرطة وزعماء سياسيون متورطون. صحيح أنه يجب أن يكون هناك تعويض عن كل هذا الألم، ليس فقط بالنسبة لي، ولكن بالنسبة لكل الناس الذين تضرروا لمثل هذا.

○ كتابك الأخير يعتبر تاريخًا لتجربتك الشخصية، فما هي رسالة الكتاب؟

● كتابي يحكي عن 18 سنة من العمل على قضايا الهجرة، وقد أثار صدى إيجابيا لدى القراء والمثقفين والصحافة الدولية، فهذا الكتاب لا يروي حكايتي فقط، بقدر ما يروي حكايات أشخاص آخرين، كما يوثق لما يحدث في الحدود للمهاجرين، تجاربهم ومعاناتهم أثناء رحلاتهم، وسياسة الموت التي تعالج بها الهجرة على الحدود. كتابي هو قصة حياة، قصة نضال وتجارب أشخاص شجعان للأسف فقدوا حياتهم وهم يبحثون عن حياة، وآخرون لا زالوا على قيدها. هو في المحصلة إدانة لسياسات الهجرة، وأتمنى أن يقرأه سياسيو المغرب وإسبانيا ليغيروا شيئا من أجل المهاجرين ويدافعوا عنهم، لم لا؟

كتب

الروائي العالمي إرنست هيمنغواي في رسائله المثيرة: كشاف وموسوعة لعالم مضى عليه قرن

هاشم شفيق

بدأ الروائي الأميركي إرنست هيمنغواي في حفر اسمه بدأب وصبر لافتين، منذ يفاعه وطلوعه البكر، حتى وسمته الشهرة والعظمة والذيوع الواسع.

كان فتى صغيراً حين دخل مضمار الأدب، وعالمه المبهر والمتنوع، حيث ميادين القصة القصيرة والرواية، والمقالة النقدية والأدبية، والريبورتاج الصحافي. كان كاتباً نادراً، لا مثيل له، مغامراً ومخاطراً بحياته، ويخترق كل الصعاب والشراك والمهاوي، يتحدى وينجح في تحدّيه، يشرب ويدخن ويسهر، ويسبح، رياضي، متسلق جبال، متزلج على الثلوج، ملاكم من طراز خاص، مصارع ثيران، رحّالة وعاشق للسفر، مصوّر، صياد ماهر للطيور والغزلان والأيائل، وصياد سمك، وهو من النوع الصابر، والعارف بطبيعة صيدها، سائق زوارق، وسيارات وطائرات، لا يهاب الموت والطبيعة ومطباتها، يهوى سباق الخيول، ويُراهن عليها، فارس وسائس جيّد للخيول، مقامر ناجح، لاعب روليت ممتاز، كريم، شجاع، ومنافح عن القضايا العادلة، محارب، ومنحاز للإنسانية جمعاء، صديق الفقراء والأميرات والقادة، وصديق أيضاً للكلاب والنمور والأسود، هدّاف متمكن من هدفه الذي أمامه، ولذلك كان يُجرح ويسقط أحياناً، ويُصاب ويحصل على جروح وقروح، ومصائب، وبلاء، ودين، وله فضلا عن ذلك أصدقاء في كل مكان من العالم، ولا سيّما الأمكنة التي كان يتحرّك فيها في أوروبا والأميركيتين وأفريقيا. إنه شاعر، وقاص، وكاتب أدب رحلة، وسكير نوعي، يُحب الطعام ويعشق النساء، والكتب، وباريس ونيويورك وإسبانيا وهافانا. تزوج ثلاث زيجات وأنجب ولدين، وهو مُحاور ومُحاضر ويتقن لغات من أجل التحدث بها حيثما يكون، صعب مرات ومتسامح مرات مع الناشرين، ومسؤولي الصحافة، ومزّوجي كتبه، يقول الحقيقة على الدوام، ولا يلتفت لما سوف يحصل فيما بعد، يقول رأيه ويدافع عنه، شرس، وعنيف ومُشاجر، ولكنه إلى جانب هذا يبدو في منتهى الرقة والحب والبهجة، حتى لا يقف في دربه أحد ويحاول أن يعيق مسيرته، يمضي أحياناً في طريقه من دون عوائق، وأن وجدها فإنه يعرف كيف سيتكفّل بها، يحلها بأناة، ودقة، بدون أن يقدّم خسائر نفسية كبيرة، يتعب أحياناً ويمرض ويخور، ولكنه في نهاية المطاف ينهض، يثب، نشطا، مرحا، متوهّجاً من جديد لمواصلة المسيرة.

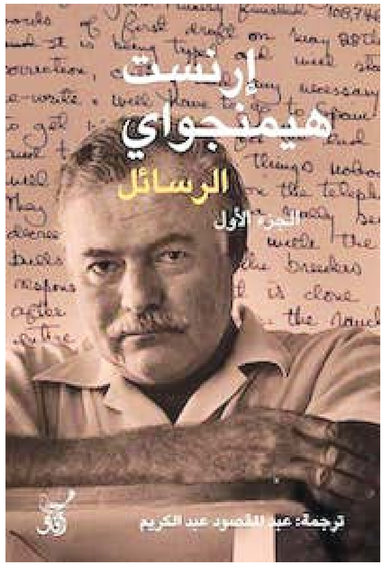

الروائي الأميركي إرنست هيمنغواي، حائز جائزة نوبل، كتب روايات كلفته حياته كلها، منذ كان فتى صغيراً يكتب المقطوعات الشعرية والقصص القصيرة وينشرها في مجلات أدبية، وحتى قبل رحيله المأسوي، منتحراً ببندقية صيد، في منزله بهافانا، كان يفكر بالقصص الجديدة والروائية الجديدة. جل أعماله الروائية تحولت إلى السينما، مثل روايته الذائعة «وداعاً للسلاح» و«الشيخ والبحر» و«لمن تقرع الأجراس» و«الشمس تشرق أيضاً».

حياة حافلة ومليئة ومترعة بالوقائع، والأحداث الكبرى والصغرى، حروب، ومجازفات، فهو مرشد ومسعف طبي، مساند للثورات وللثوار الإسبان ضد فرانكو الديكتاتور والطاغية، صديق والجمالية والتعبيرية، نجد الرسائل لديه عبارة عن قطعة أدبية، تحوي المعلومة، والفكرة، والتصميم والإرادة، وتحتوي على الزمان والمكان أيضاً.

ومنها سندرج بعض النماذج، فمن رسالة مبكرة إلى والديه كتبت في عام 1918

«أبي وأمي من المؤكد أنني سعدتُ بتلقي رسالة منكما، كل شيء يسير على ما يرام هنا، يتساقط المطر بشدة الآن وكان يتساقط طول اليوم، أرتدي معطفي القديم، أرفع الياقة إلى أعلى وأترك المطر يتساقط، طول هذا الأسبوع كنت أعالج مسالة التجنيد، وأكتب قصصاً عن الجيش، والبحرية، ومشاة البحرية البريطانية الكندية، ومؤخراً سلاح الدبابات الجديدة، أرفق قصتين من قصص الدبابات».

وفي العام ذاته يكتب لأسرته بعد أن ذهب إلى إيطاليا برتبة ضابط بعد تخرجه وجُرح هناك «أمل ألا تكون البرقية قد أزعجتكم كثيراً لكن الإكابتن بيتس أعتقد أن الأفضل أنْ أُبلغكم قبل أنْ تعرفوا من الصحف، أنا أول أمريكي يجرح في إيطاليا، وأفترض أن الصحف كتبت شيئاً عن ذلك، المستشفى ممتاز وفيه حوالي 18 ممرضة أمريكية يرعين أربعة مرضى، كل شيء رائع وأنا مستريح جداً، وأحد أفضل الجراحين في ميلانو يعتني بجروحي، ما زالت في الداخل شظيتان، رصاصة في ركبتي، أظهرتها أشعة أكس».

تزوج هيمنغواي في عمر الثانية والعشرين، وقد كتب رسالة إلى أخته التي يحبها كثيراً حول هذا الأمر قائلاً: «مرفق صورة لهادلي في فستان الزفاف، لكنك أختي، أليس كذلك؟ يا إلهي ساكون سعيداً برؤيتك هنا في هذا الزفاف يا أعز طفلة كبيرة».

الروائي الأميركي إرنست هيمنغواي المشغول دائما بأعماله، ووقته، ورياضته، ومتعته، وكتابته، وقراءته، قد تزوج ثلاث مرات، يذهب مع زوجته الأولى حين يترك إيطاليا إلى بلدته في أميركا، وهناك يقرر الحياة في باريس والعيش من خلال مهنته التي لا يتقن غيرها، الكتابة. يصل إلى باريس نهاية عام 1921 صحبة زوجته الأولى هادلي، لاعبة التنس والعازفة الموسيقية.

في باريس وهو في الثالثة والعشرين من العمر، يكتب رسالة إلى صديقه شرود أندرسون عن صديقه الشاعر إزرا باوند «أخذ باوند ست قصائد من قصائدي وأرسلها مع رسالة إلى سكوفيلد ثاير، وربما سمعت عنه، يعتقد باوند أنني شاعر رائع، أخذ أيضاً قصة لمجلة ليتل ريفيو، أعلم باوند الملاكمة بنجاح ضئيل، فهي رياضة تجعله يخاطر بوقاره وسمعته النقدية في شيء لا يعرف عنه شيئاً. أنه رجل رائع حقاً، باوند بلسان لاذع ولطيف، كتب مراجعة جيدة عن عوليس لعدد أبريل من الداليل».

يقصد هيمنغواي هنا في هذه الرسالة رواية «عوليس» أو «يوليسيس» للإيرلندي جيمس جويس الكاتب الشهير.

ثم يكتب إلى صديقه الروائي الأميركي فيتزجيرالد الذي كتب «غاتسبي العظيم» وحقق شهرة كبيرة من خلالها، خصوصاً حين تحولت الرواية إلى فيلم هوليوودي، ودرت عليه الكثير من الأموال، بعدها انتقل إلى الجنوب الفرنسي في الريفييرا، ليواصل الكتابة هناك، بعد أن لحق بزوجته زيلدا مرض نفسي:

«سعدت بتلقي رسالتك، وسعدت بملاحظة أنك كنت في العربة، آسف كانت رسالتي متعجرفة، كنت تتحدث عن عدم تقديرك للمقالات النقدية، إذا لم تكن مناسبة لأغراض عملية».

ثم يكتب إلى محرّر كتبه ورواياته ماكسويل بركينز رسالة حزينة قائلا فيها: أمل العودة إلى كي ويست صباح الثلاثاء والعمل في الكتاب مرة أخرى، أطلق أبي النار على نفسه، لا أعرف إن كان الخبر في صحف نيويورك، لم أر أي صحف، كنت معجباً جداً به، وأشعر بأسى شديد نتيجة ذلك، ذهبت إلى أوك بارك لفترة طويلة لترتيب الأمور، كانت الجنازة عصر السبت، أصلحت كل الأمور».

وبدأ تُعد رسائل هيمنغواي المترعة بالأسرار، والنوادر، والحكايات، والمشاغل، والأسفار الدائمة، بمجلديها الضخمين، تحفة ترجمية نادرة.

إرنست هيمنغواي «الرسائل»
الجزء الأول
ترجمة عبد المقصود عبد الكريم
دار آفاق، القاهرة 2019
702 صفحة.

باتريك سلويان في «عندما أرسل ريغان المارينز»:

سياسات أمريكا الخاطئة في المنطقة أوقعت المجازر فهل سيتعظ ترامب؟

سمير ناصيف

هل سيتعظ دونالد ترامب عبر مراجعة الأخطاء التي ارتكبها رونالد ريغان في سياساته في الشرق الأوسط (وفي لبنان بشكل خاص) في مطلع ثمانينيات القرن الماضي ولا يتوجه نحو مغامرات ستؤدي إلى مجازر جديدة كمجزرة صبرا وشاتيلا بحق الفلسطينيين المدنيين العزل في عام 1982 التي شكلت أحد الأسباب الرئيسية التي دفعت بمجموعات لبنانية متحالفة مع قوى عربية وإقليمية إلى تفجير السفارة الأمريكية في بيروت مطلع عام 1983 والهجوم الدامي على مركز المارينز الأمريكي في العاصمة اللبنانية في العام نفسه والذي أدى إلى مقتل 280 جندياً أميركياً؟

هذا سؤال طرحه كتاب صَدَر مؤخراً لصحافي أميركي متخصص في الشؤون الدفاعية وفائز بجائزة «بوليتزر» وجوائز أخرى عالية على موضوعيته في تغطية الأحداث. باتريك جَاي سلويان أكد في كتابه أن ريغان أخطأ في الاعتماد على وزير خارجيته الكسندر هيغ ومستشاره للشؤون الأمنية روبرت ماكفارلاند وبالتالي اتخذ قرارات متسرعة وخطيرة في لبنان في مطلع الثمانينيات. علماً أن هيغ وماكفارلاند تتلمذا وعملا قبل ذلك مع هنري كيسنجر، مهندس الأخطاء المقصودة وغير المقصودة ضد الشعوب العربية في الإدارة الأمريكية في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي. وحسب المؤلف في الفصل الثاني (ص 53) فإن ريغان تغاضى عن تواطؤ وزير خارجيته هيغ مع وزير الدفاع الإسرائيلي أرييل شارون عندما غزا لبنان عام 1982. ويؤكد سلويان أن هيغ اجتمع بشارون في أيار (مايو) 1982 قبل الغزو بشهر، وخدعا كبار مسؤولي الدفاع الأمريكيين إذ أكدا أن عملية شارون في لبنان لن تتعدى حدوداً متفقا عليها مسبقاً في جنوب لبنان فيما امتد الغزو إلى العاصمة بيروت. كما يوضح المؤلف أن المبعوث الأمريكي إلى لبنان فيليب حبيب ومساعده موريس درايبر حاولا تأكيد الموقف الأمريكي المتحفظ لشارون، ولكن الأخير فعل ما كان قد خطط له هو وهيغ ورئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك مناحيم بيغين.

وبعد فداحة ما ارتكبه شارون ومعاونوه في لبنان (يقول المؤلف) استمر ريغان في تأييد الميليشيات الطائفية المدعومة من إسرائيل في لبنان ولم يتعلم الدروس من أخطائه. وبدلاً من أن يوعز إلى قادة قوات المارينز في لبنان بعدم دعم أي جهة لبنانية على حساب أخرى، شجعهم على ضرب القوات المشتركة المتحالفة مع سوريا في معارك الجبل اللبنانية، ثم حمّل ضباطه المسؤولية عن التفجيرات التي ارتُكبت بدعم سوري ـ إيراني ضد المارينز في لبنان.

كما أن شارون تعهد للمسؤولين الأمريكيين، عندما دخل لبنان بأنه لن يرتكب تعديات ضد المدنيين الفلسطينيين بعد خروج «منظمة التحرير الفلسطينية» من البلد ولكنه ساهم في تشجيع الميليشيات المتحالفة مع إسرائيل على فعل ذلك على اثر اغتيال الرئيس اللبناني المنتخب بشير الجميل في أيلول (سبتمبر) 1982. وكانت إسرائيل وعدت أيضاً أنها لن تتواجه بريّاً وجوياً مع القوات السورية في لبنان ولكنها فعلت ذلك مستخدمة أسلحة وأجهزة متطورة زودتها بها أمريكا. وتم كل ذلك تحت أنظار الرئيس ريغان الذي ادعى أنه لم يكن ملماً بالشؤون العسكرية. لكنه رغم ذلك رجّح كفة مرتكبي الأخطار في إدارته على حساب تحذيرات وزير الدفاع كاسبر واينبرغر وقادة الأجهزة الدفاعية والعسكرية في القيادة المشتركة الأمريكية، حسب قول الكاتب.

وبرغم أن ريغان أقال الكسندر هيغ من وزارة الخارجية وعيّن جورج شولتز مكانه في 9 تموز (يوليو) 1982 فإنه استمر في ترجيح كفة المتطرفين في إدارته على حساب المتحفظين مدعياً أن همه الأساسي كان القضاء على النفوذ السوفييتي في لبنان والمنطقة.

ويعتبر الكاتب أن وحشية شارون في لبنان ساهمت في تعزيز حركة المقاومة المسلحة العربية واللبنانية ضد الوجود الأمريكي في لبنان وفي تصاعد العنف في المنطقة عموماً (ظهور منظمات على شاكلة «القاعدة» ومثيلاتها) (ص 72).

كما يوضح أن بشير الجميل، وبعد انتخابه رئيساً للبنان (بدعم إسرائيلي وأمريكي) في 31 آب (أغسطس) 1982 تريّث في غزو بيروت الغربية ذات الأكثرية المسلمة وتحفّظ إزاء توقيع اتفاق سلام متسرع مع إسرائيل واستاء من ضغوط مناحيم بيغين عليه في اجتماع عقده معه في نهاريا على الحدود اللبنانية ـ الإسرائيلية. ولما قامت إسرائيل بالإعلان عن هذا الاجتماع (خلافاً لما وعدت به) ثارت ثائرته وقرر تجميد التفاوض معها. علماً أن بشير الجميل اغتيل في 14 أيلول (سبتمبر) 1982 (بعد ذلك بأسبوعين). وبعد مقتله بأيام قليلة، أعطى بيغين الضوء الأخضر لشارون (وزير دفاعه) لدخول بيروت الغربية وحصارها وارتُكبت مجزرة صبرا وشاتيلا البشعة بين 16 و18 أيلول (سبتمبر) 1982 تحت أنظار شارون ومعاونيه. وبدلاً من أن يقطع ريغان علاقته بالقيادة الإسرائيلية وعملائها في لبنان، استمر في تأييدهما، وقبل بالحجة التي ادعت بأن جيش سعد الحداد (جيش لبنان الجنوبي العميل لإسرائيل) هو من أرتكب مجزرة صبرا وشاتيلا. كما رفض الانتقادات الموجهة ضده بأنه سحب القوات المتعددة الجنسية التي كانت تحمي المخيمات الفلسطينية في قرار سابق لأوانه، ثم قرر إعادة أرسالها إلى لبنان مرة ثانية مع قوات أوروبية حيث ارتكبت المزيد من الأخطاء (ص 92).

وتذرع ريغان آنذاك بأن القوات المتعددة الجنسية ستبقى في لبنان حتى انسحاب جميع القوات العسكرية الأجنبية من لبنان (قصَدَ سوريا وداعميها السوفييت).

وفي الفصل الثامن، أوضح سلويان بأن روبرت ماكفارلاند، الذي عيّنه ريغان مستشاره للأمن القومي في الشرق الأوسط، كان عسكرياً فاشلاً متأثراً إلى درجة كبيرة بهنري كيسنجر ومحاولاً اعتماد سياسات المفاوضات السرية التي يقال إن كيسنجر نجح فيها في الشرق الأوسط وآسيا. وعندما صار ماكفارلاند مبعوث ريغان إلى الشرق الأوسط، قام بمهمة فاشلة تلو الأخرى (حسب الكاتب) كان أخطرها عقده «اتفاق إيران ـ كونترا» مع النظام الإيراني حيث وفّر الصواريخ الخطيرة وقطع الغيار العسكرية الأمريكية الأساسية لهذا النظام في مقابل الإفراج عن سبع رهائن أمريكيين احتجزهم حلفاء إيران في بعلبك (شرق لبنان). بيدَ أن إيران حصلت على هذه المعدات

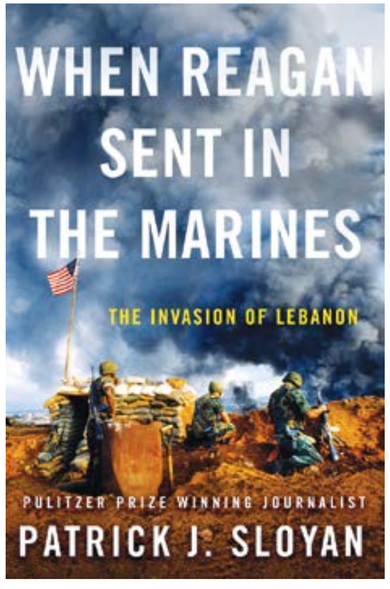

المتطورة ولم تفرج عن أكثر من أثنين من الرهائن ثم خطفت ستة رهائن آخرين.

ويعتبر الكاتب أن تأثر ماكفارلاند بسياسات كيسنجر وأمثاله لم يكن في محله إذ أن مبادرات أمريكا الانفتاحية في الصين والشرق الأوسط قام بها الرئيس ريتشارد نيكسون بنفسه فيما عارضها وعرقلها كيسنجر. ويؤكد سلويان بأن سياسة ريغان في الشرق الأوسط كانت مبهمة ومتسرعة ومتناقضة، وأن بعض مستشاريه كانوا من المحافظين الجدد الذين كرروا هذه الأخطاء لاحقاً في نظام بوش الأبن (كما يكررها بعضهم في نظام ترامب) على شاكلة اليوت ابرامز الذي كان أحد أركان اتفاق إيران ـ كونترا. وحالياً يُعنى بالملف الفنزويلي في إدارة ترامب.

ويأسف المؤلف لقرار ريغان تكليف ماكفارلاند القيام بمهمات كان يقوم بها فيليب حبيب ثم معاونه موريس درايبر بنجاح. والأثنان كانا من الدبلوماسيين المخضرمين والمعتدلين في مواقفهما (ص 105). ويشير إلى أنه حتى الرئيس اللبناني السابق أمين الجميل، الذي انتخب مكان شقيقه المغتال بشير، اعتبر ماكفارلاند مبعوثاً فاشلاً. علماً أن ماكفارلاند حاول الانتحار (لاحقاً) بتناول الحبوب المنومة بعد انهياره عصبياً بسبب فشل مهماته (التي قام بها بالتعاون مع الكولونيل اوليفر نورث) علماً أنهما وقعا ضحية تاجر سلاح إيراني فاسد كان يعمل للنظام الإيراني السابق قام بخداعهما وورطهما في عملية فاشلة.

ويشير الكاتب إلى أن الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد سمح لحلفاء إيران في لبنان بالقيام بتنفيذ عمليات بعدما نقضت أمريكا وإسرائيل وقيادتها تعهدهما بأنهما لن يتعرضا للطيران والقوات السورية في لبنان (ص 108).

ويتطرق سلويان إلى عمليات قام بها حليف إيران عماد مغنيّة ضد الأمريكيين في لبنان بينها خطف رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت ديفيد دودج، وتسهيل عملية تفجير السفارة الأمريكية في غرب العاصمة (في 18 نيسان ـ أبريل 1983) التي ذهب ضحيتها 63 شخصاً بينهم 17 أمريكياً.

وقع قائد قوات المارينز في لبنان آنذاك الكولونيل تيموثي غيرائي (في رأي الكاتب) ضحية تخاذل سياسات الرئيس ريغان نتيجة لأوامره المتسرعة أو لعدم استماعه إلى نصائح القيادات الأمريكية الدفاعية والعسكرية في قراراته. فكما أخطأ ريغان، كانت المسؤولية تقع على غيرائي، مع أن هذا القائد (حسب قول الكاتب) كان قد نصح ريغان بسحب قوات المارينز إلى السفن الأمريكية الراسية في الشاطئ اللبناني قبل أيام من وقوع التفجير ضدها ميدانياً في الجناح في بيروت.

ولكن ريغان (في رأي سلويان) كان يستخدم مواهبه كممثل سينمائي وصاحب روح النكتة ليزيل اللوم عنه عندما يرتكب الأخطاء ويلبسها للآخرين (ربما كما فعل ويفعل غيره من الرؤساء الأمريكيين من بعده) ولم يكن يستمع إلى نصائح وزير دفاعه واينبرغر، كما لم يستمع رؤساء أمريكيون آخرون إلى نصائح وزرائهم لاحقا. والخطأ الأساسي (حسب الكاتب) هو أن أمريكا في عهد ريغان (كما فعلت إدارات أمريكية لاحقة) انحازت إلى جانب جهة في لبنان، ضد جهات أخرى (ص 134).

وفي 23 تشرين الأول (أكتوبر) 1983 تم تفجير مركز المارينز في منطقة الجناح في بيروت مما أدى إلى مقتل 281 جندياً أمريكياً، ثم مركز القوات الفرنسية الذي أدى إلى مقتل 58 جندياً فرنسياً. ولما ردت فرنسا بقصف جوي لمواقع الجهات التي ارتكبت هذين العملين، لم يشارك ريغان في هذا الرد الجوي. وكان قد أخطأ (قبل التفجيرين بثمانية أيام) حسب المؤلف، بإصداره الأوامر إلى قواته بقصف القوات المتحالفة مع سوريا من السفن الأمريكية إلى البر مما ساهم في حصول الرد التفجيري على هذا القصف (ص 137) أي أن ريغان قصف عندما لم يكن من الحكمة القصف بحرياً ثم تقاعس عندما كان من الضرورة الرد جوياً.

ويتهم الكاتب إيران بتوفير المتفجرات للذين قاموا بعمليتي السفارة الأمريكية والمارينز. ويقول إن هذه المتفجرات مرت من إيران عبر دمشق إلى هؤلاء ومقرهم ثكنة عبد الله في بعلبك (شرق لبنان). وحاول ريغان التمويه على فشله في لبنان بالقيام بعملية عسكرية ضد جزيرة غرينادا الكاريبية الواقعة قرب الولايات المتحدة، ولكنه فشل. وأكد سلويان أن ريغان كان المسؤول الأساسي عن المجازر التي ارتُكبت في عهده في لبنان. ولكنه تملص منها لأنه لم يُحاسَب عليها، ولم تُنفّذ حملة إعلامية فاعلة ضده كما نُفّذت ضد الرئيس ريتشارد نيكسون على اثر فضيحة «ووترغيت». وهذه الأخطار «الريغانية» (حسب سلويان) لاحظها مقربون من نظامه، وبينهم السفير الأمريكي في لبنان آنذاك روبرت ديلون، والمبعوثان فيليب حبيب وموريس درايبر وغيرهم. ولدى مواجهة والترموندايل (خصم ريغان في الانتخابات الرئاسية للتجديد له في منتصف الثمانينيات) بهذه الحقائق لم يحصل على الدعم الكافي من الإعلام، واستطاع ريغان أن يلقي بالمسؤولية على الآخرين وانتُخب لولاية ثانية. أما معاونو ريغان في ارتكاب الأخطاء، فتمت محاسبتهم من جانب المدعي العام الأمريكي الخاص وصَدرت إدانات بحقهم لضلوعهم في عمليات الصفقات مع إيران وتزويدها بالأسلحة المتطورة خلال حربها مع العراق في عام 1986 خلافاً للشرائع الأمريكية. فتمت إدانة وزير الدفاع كاسبر واينبرغر، وجون بوينديكستر وروبرت ماكفارلاند (مستشاري الأمن القومي) واليوت إبرامز، مساعد وزير الخارجية، والكولونيل اوليفر نورث، ولكنهم نالوا عفواً رئاسياً من رئيس الجمهورية الجديد جورج هيربرت بوش (بوش الأب) الذي كان نائباً للرئيس وانتُخب رئيساً بعد ريغان، علماً أن بوش الأب كان قد شارك واطلع على عملية إيران ـ كونترا (ص 179).

ويذكر سلويان أن إسرائيل حفّزت ماكفارلاند على القيام بعملية «إيران ـ كونترا» إذ كانت على علاقة مع تاجر السلاح الإيراني مانوشير غوربانفار لدى عمله سابقاً كوسيط أسلحة في نظام شاه إيران واستمر في عمله وساهم في تسهيل زيارة روبرت ماكفارلاند إلى إيران عام 1986 وتزويده إياها بالأسلحة الأمريكية المتطورة (ص181 ـ 182).

Patrick J. Sloyan: «When Reagan Sent In the Marines»
Thoma Dunne Books, New York 2019
228 Pages.

المقال

زياد ماجد

عن المسألة السنية الشيعية في صراعات اليوم السياسية

حزب الله: التوسع في البيئة الشيعية صاحبه نمو عسكري

يعتمد كثرٌ من الكتّاب العرب والغربيين مقاربةً للمسألة السنّية الشيعية تعدّها سبباً شبه واف ومكثف بذاته لشرح معظم الصراعات والانقسامات في المشرق العربي والخليج. في المقابل، يتجاهل المسألة إياها كتّاب آخرون وينفون كل قدرة لها على التأثير ولعب أدوار في رسم التحالفات وخطوط التماس.

والحقّ أن ثمة اختزالاً وتبسيطاً في الحالتين. فلا القسمة السنّية الشيعية، بما تعنيه من خلاف حول أحقّية وراثة نبيّ الإسلام في القرن السابع ومن تأويلات متباينة لروايات وأحاديث وسير وعلاقات تاريخية، تفسّر الصراعات المحتدمة اليوم في العراق وسوريا ولبنان واليمن. ولا إنكار حضورها في المجتمعات وفي مسار تكوين الهويّات، كما في الخطابات التعبوية وفي المشاريع السياسية الهادفة إلى السيطرة على بلاد أو التمدّد في مناطق، يُفيد في سياق البحث عن خصائص بعض المواجهات والمعسكرات المنخرطة فيها.

فالمذهبية ظاهرة اجتماعية سياسية مركّبة في معظم بلدان المنطقة، لها ظروف نشأة وتطوّر، ولها أيضاً مؤسسات ترعاها وهيئات تعليمية وجمعيات أهلية وقوانين أحوال شخصية وممارسات أنظمة وسلطات رجال دين وتوزيع موارد اقتصادية تكرّسها. ولها فوق ذلك دول ذات نزعات هيمنة إقليمية توظّفها وتستثمر فيها وتسعى لبسط نفوذها من خلالها. وإن هي اتّخذت في لبنان منذ عقود طابعاً علنياً مُمأسساً في سياق النظام التوافقي حيث تقاسم السلطة والتمثيل السياسي يقومان على تخصيص حصص لممثّلي الطوائف، فإنها ظلّت مُضمرة في الحقبة الليبرالية في باقي بلدان المشرق قبل أن تُصبح عصبية يستند إليها نظاما البعث في سوريا والعراق وبحوّلانها إلى إحدى أدوات تثبيت حكمهما الاستبدادي المطلق، ولَو أنهما غلّفاها بعلمنة مُدّعاة وبإيديولوجيا قومية أو بدعايات حماية تعدّد وأقليّات. وهي اعتُمدت كذلك في البحرين كمنطلق تمييز ضمنيّ بين «المواطنين» لجهة التمثيل في المؤسسات وحقوق الملكية، كما تصاعدت حدّة الإجراءات القمعية المرتبطة بها داخل كلّ من السعودية وإيران منذ السبعينات، ثم بعد العام 2011.

بهذا المعنى، شكّلت المذهبية في البلدان التي تعدّدت الانتماءات في مجتمعاتها وأحداً من عناصر التعريف بالأفراد والجموعات ومدخلاً للتعامل السلطوي معهم قمعاً وتهميشاً أو توزيع منافع وشراء ولاءات. لكنها لم تكن الدافع الوحيد للفرز السياسي، ولا هي ألغت خصائص اقتصادية وجغرافية وثقافية داخل كلّ بلد بحيث تحوّلت إلى عنصر التعريف الوحيد بالانقسامات بين الجماعات. فالتمايزات المناطقية لم تتلاشَ في اليمن مثلاً لتُستبدل بسيادة عنصر المذهب الواحد حيث تواجد تُرابياً، والقضية القومية (الكردية تحديداً) لم تتراجع في سوريا والعراق ليحلّ محلّها إضعافها، بل تحوّلا في ظل حظر الحريات السياسية والفكرية إلى سردية «وطنية» إضافية للاستبداد، وإلى مجرّد تأجيل لانبعاثها بأكثر أشكالها حدّة، أي ذلك المستند إلى مشروعية الضحية أو إلى مبدأ التعاضد خوفاً من ثأر الضحية ما أن تتبدّل الأحوال.

وما يمكن إضافته في هذا الباب، أن المذهبية لم تقترن في لبنان لغاية أواخر التسعينات بتقدّم التيارات الدينية– ولتعاظم دوره السياسي وعلاقته العضوية بإيران، لتؤكّد الزعمُ هذا، إذ لا يوجد في مواجهة الحزب الشيعي حتى الآن تيار ديني سنّي يجاريه أو يخاصمه من منطلقات عقيدية أو على أساس إشارة شعارات إسلامية بديلة، إخوانية أو سلفية. ولا ربب أن للوجود المسيحي الأساسي في البلد تأثير على كلّ ذلك.

لكن حتى في العراق، حيث اعتُبرت المسألة المذهبية الأكثر رسوخاً بعد الاجتياح الأميركي وسقوط نظام صدّام وهيمنة حلفاء إيران الشيعة على الحكومة ووضعت حدوداً مؤسساتية لمحاولات الاستئثار الأحادي بالحكم.

في المقلب الآخر، يبدو جليّاً أن ادّعاء انتفاء المذهبية وقمعها لم يُفضيا إلى إضعافها، بل تحوّلا في ظل حظر الحريات السياسية والفكرية إلى سردية «وطنية» إضافية للاستبداد، وإلى مجرّد تأجيل لانبعاثها بأكثر أشكالها حدّة، أي ذلك المستند إلى مشروعية الضحية أو إلى مبدأ التعاضد خوفاً من ثأر الضحية ما أن تتبدّل الأحوال.

وما يمكن إضافته في هذا الباب، أن المذهبية لم تقترن في لبنان لغاية أواخر التسعينات بتقدّم التيارات الدينية– ولتعاظم دوره السياسي وعلاقته العضوية بإيران، لتؤكّد الزعمُ هذا، إذ لا يوجد في مواجهة الحزب الشيعي حتى الآن تيار ديني سنّي يجاريه أو يخاصمه من منطلقات عقيدية أو على أساس إشارة شعارات إسلامية بديلة، إخوانية أو سلفية. ولا ربب أن للوجود المسيحي الأساسي في البلد تأثير على كلّ ذلك.

لكن حتى في العراق، حيث اعتُبرت المسألة المذهبية الأكثر رسوخاً بعد الاجتياح الأميركي وسقوط نظام صدّام وهيمنة حلفاء إيران الشيعة على الحكومة المركزية، ثم اندلاع الصراعات وصعود «داعش» والحرب معها، جاءت الانتفاضة الشعبية في العام 2019 في بغداد والنجف والبصرة وانخراط مئات الألوف فيها (بأكثرية شيعية) لتوهن الاعتبار المذهبي وتبيّن عدم اقتصار الحَشد والاصطفاف على أسس القسمة السنّية الشيعية.

يمكن أيضاً التدقيق في المواقف والولاءات ومكوّنات القوى المتصارعة والمتحالفة في اليمن، وتحليل بنية النظام السوري وأدوار روسيا وإيران وتركيا وبعض الدول العربية والغربية في الحرب فيها وعليها، وتبيان تجاور المسألة المذهبية مع سواها، وانحسارها في مواضع محدّدة وتقدّمها في مواضع أخرى.

وهذا كلّه لا ينفي حضورها وتأثيرها، لكنه ينفي كونها «ماهيّة» أو «أساساً» يقسّم الناس ويعرّفهم جماعياً في هذه المنطقة على نحو لا تبدّله الظروف والتغيّرات وتحوّلات البنى الاقتصادية والاجتماعية والمصالح وخصائص الأنظمة السياسية والتيارات الموالية أو المخاصمة لها.

المذهبية إذاً تفسّر بعض الأمور ويُغفل اعتمادها كمفتاح وحيد أو حاسم لفهم شؤون المشرق والخليج مفاتيح أخرى كثيرة، هي بدورها متحرّكة لا ثبات في أيّ منها.

كاتب وأكاديمي لبناني

رأي

كاريكاتير: اسامة حجاج

سعيد يقطين

أعلام الثقافة والأدب

من الزوايا التي لا تكاد تخلو منها جريدة أو مجلة أو قناة تلفزيونية في زماننا هذا ما يتعلق بـ «أخبار النجوم». وليست النجوم هنا سوى الشخصيات الفنية في مجالات السينما والدراما والرياضة. لكن أخبار الثقافة والأدب، وما يتصل بالمثقفين والأدباء باتت شبه منعدمة، ولا تلقى أي اهتمام حتى في حال نشرها إلا من لدن فئة قليلة من المشاهدين والقراء.

تتبدل مواقع النجوم حسب المنازل، كما يتبدل الاهتمام بأخبارها تبعا لتبدل الوسائط وبروز الأنواع الجديدة. كانت «النجوم» في الثقافة العربية الشفاهية تختصر في الشاعر. فالكل يحفظ أشعاره، ويرويها في المحافل، ويردد ما يشيع عن أخبار الشعراء. وفي فترة التدوين قدمت لنا المصنفات الأدبية الكثير من أخبارهم مصحوبة بأشعارهم، أو تتخذ هذه الأشعار لتربطها بتلك الأخبار. ويكفي الاطلاع على كتاب الأغاني لتأكيد ذلك. ووقع الشيء نفسه مع بروز الكتابة، حيث صارت أخبار الكتاب، في كل الاختصاصات، موضوع الاهتمام، فكانت تروى طرائفهم، في الحياة، ومواقفهم من السلطة، أو من بعضهم البعض، أو المجهودات التي يبذلونها في أعمالهم، تقريضا أو ذما. بل برز ضرب من التآليف تحت مسمى «الفهرسة» يعرض فيه الكاتب أو المثقف القديم صورا عن أساتذته وشيوخه الذين روى عنهم، أو لقيهم، مع ذكر بعض الأخبار التي تتصل بهم. ونكتفي أن نذكر هنا فهرسة ابن الخير الإشبيلي للدلالة على ذلك.

أما في العصر الحديث، ومع ظهور الطباعة والصحافة المكتوبة، فقد استثمرت كل الأخبار التي اتصلت بتلك الشخصيات ـ الأعلام فتم الاهتمام بها في توثيق الحياة الثقافية بدراسة أثر حياة الكتاب والشعراء في إبداعاتهم. ولما شاع مصطلح «الأديب»، كانت الصحافة والمجلات الثقافية، وخاصة في مصر، تعنى بأخبارهم، وعلاقة بعضهم ببعض، فكنا نولي اهتماما خاصا لتلك الأخبار لأنها كانت تفيدنا في كتابة ما كان يطلب منا تحت عنوان: «التعريف بالكاتب»، والذي كنا نتبارى أينا يجمع أكبر عدد ممكن من المعطيات النادرة واللطيفة عنهم، وكان أساتذة العربية والفرنسية يقترحون علينا قراءة ما وجدناه عنهم. وأتذكر هنا، على سبيل التمثيل، كتابات أنيس منصور حول واقع الثقافة المصرية التي كان ينشرها في المجلات، والتي جمعها في كتابه «مع الآخرين»، أو «صالون العقاد كانت لنا أيام»، وغيرهما والتي استمتعت بها كثيرا في مراهقتي.

ما هي الأخبار المتداولة حاليا حول أعلام الثقافة والأدب في الوطن العربي؟ لقد تراجع الاهتمام والمتابعة لأخبارهم، وصارت أخبار حياة النجوم من الفنانين والرياضيين تملأ الصفحات والقنوات، هي ما يشغل الناس. إذا غير مغن صورته في إحدى صفحاته الخاصة على الوسائط الجديدة، تجد أصداء هذا التغيير في كل مكان، وإذا غير لاعب عقده مع فريق، تجد الخبر نفسه يتصدر كل الوسائط وبأدق التفاصيل، أما إذا أصدر باحث كتابا فلا نجد له أي خبرا! في أحد التقارير استجوب مواطنون مغاربة عن فنانين مغاربة وعرب فكانت الأجوبة دقيقة جدا. وحين سئلوا عن الجابري والعروي وجدنا أجوبة دالة على واقع مرير!

نشرت في الأسبوع ما قبل الأخير مقالة عن «التعليم عن بعد»، فكان من بين التعليقات التي استوقفتني بشكل خاص ما أورده الطالب الباحث آيت با أوحسين محمد مشكورا، أنه عاد بي سبعة عشر عاما إلى الوراء، وجعلني أستعيد تاريخا لا أفكر فيه الآن. ويسرني إشراك القارئ بمقتطفات مما كتب: «أحالتني قراءة هذه التدوينة (مقالة التعليم عن بعد)، مباشرة، على مجموعة محاضرات ما تزال منقوشة، إلى اليوم، في ذاكرتي، ومحفوظة بين دفتي دفتر بال من الحجم الكبير، أحتفظ به للاستئناس، واسترجاع الذكريات. كنا نتلقى، حينها، من بين ما نتلقاه محاضرات الدكتور سعيد يقطين في مادة تحليل الخطاب السردي، وكان من بين المواضيع الجديدة المطروحة للنقاش، وقتها، موضوع النص المترابط والسيبرنطيقا. طبعا كانت المادة العلمية جديدة، على الأقل بالنسبة إلينا كطلبة، بل كانت غريبة ودسمة، وهذه ميزة التصقت، بحكم تواترها، بالأستاذ يقطين. فقد كان يفاجئنا دائما بالجديد، فتعودنا على ذلك، حتى صار الجديد معه لا يفاجئنا».

«أتذكر أننا كنا نشتغل في مجموعات من اثنين، وعلى ذلك الأساس قسمنا العمل بيننا، فقد كان مجموعنا، آنذاك، حوالي أحد عشر مغربيا، بالإضافة إلى طالب من غينيا بيساو، لعله الحسين كوناتي. كنا حينها نشتغل على قصة موسى عليه السلام؛ وقد كلفنا الأستاذ يقطين بجمعها لأنها وردت متفرقة في القرآن الكريم بخلاف معظم قصص الأنبياء، كما طلب منا ترتيب أجزائها بناء على تيمية جامعة أو موضوعة، ثم دراستها بناء على ترتيبها في كتب الإسرائيليات. كان العمل على الحاسوب وقتها أشبه ما يكون بالموضة، ولك أن تتخيل أننا كنا نذهب إلى مقاهي الانترنيت لنشتغل وكنا نؤدي مقابل كل ساعة حوالي 20 درهما. كانت الحواسيب في أحسن الأحوال بطيئة. وكانت البرامج مكلفة. لكن على الرغم من كل ذلك كان حرصنا يزيد وحماسنا يتضاعف لإنجاز الأعمال الموازية. خضت هذه التجربة رفقة الفوج الذي حصل على دبلوم الدراسات العليا المعمقة في وحدة البحث والتكوين: البلاغة الجديدة والنقد الأدبي سنة 2003، والتي كان يشرف عليها آنذاك الدكتور محمد العمري. لماذا أسرد كل هذا التاريخ الخاص؟ فقط، لكي يعلم متعلمو هذا الجيل، جيل 4G والـ wi-fi، كم هم محظوظون إذا أرادوا فعلا الانخراط في عالم الرقمنة، ورغبوا حقا في تطوير آليات وأدوات تعليمهم وتعلمهم، بما يستجيب وحاجياتهم الشخصية والجماعية. وبما يستجيب وتحديات العصر، ويضمن الانخراط في مواكبة الركب العالمي الذي يجعل من التعليم عن بعد خيارا استراتيجيا، وليس، فقط، مجرد إجراء أملته ظرفية معينة». لقد كان الأستاذ يقطين، للشهادة، سباقا في جلب المعرفة المتعلقة بالتكنولوجيا الحديثة، كما كان مهووسا بالتفكير في سبل أجرأتها وتنزيلها وتبيئتها ومواءمتها مع واقع التعليم بجامعتنا المغربية. وقد كنت من المحظوظين الذين اكتسبوا، على يديه الكريمتين، الشيء الكثير، وتعلموا بالأحرى أبجدية الحوسبة».

أكاد الآن، بالكاد، أتذكر ملامح هذا الطالب، فإحدى وأربعون سنة من التدريس تجعلني عاجزا عن تذكر الجميع. لكن شهادته تبدو لي أصدق مما يمكن أن أكتبه في سيرتي المعرفية. إن مثل هذه التفاصيل إذا عبرت عنه بلغتي ربما تبدو دليلا على نرجسية خاصة لأن كتابة السيرة الذاتية تقدم صاحبها باعتباره بؤرة لما يدور حوله، ولا سيما حين لا تقدم فيها سوى الجوانب المضيئة من حياته. وفي غياب كتابات موازية للسير الغيرية تغيب عنا الكثير من المعطيات المتصلة بأعلام ثقافتنا. من يذكر لي الآن كتابا عن الجابري والعروي، مثلا، يقدم لنا صورا عن حياتهما من منظور يسمح للقارئ العادي التعرف عليهما؟ غياب مثل هذا النوع من التآليف الذي يمكن أن يقدم ليس فقط للباحثين والمهتمين، ولكن لعموم القراء، وبلغة واضحة، هو ما يجعل المواطن العادي يتعرف على أعلام ثقافة وطنه. كان المصريون حتى أواسط القرن الماضي يعنون في سلاسل حول «الأعلام» يقدمون هذا النوع من الكتابة الذي نجد الغربيين يهتمون به كثيرا. أما الآن فأخبار النجوم عندنا تخصص لها قنوات كثيرة. لكن النجوم سريعة الزوال، وبكل تأكيد ستبقى الأعلام.

كاتب مغربي

التنكيل بالنُصب التذكارية يرافق الاحتجاجات

صارت عدة رموز تعود إلى الحقبة الاستعمارية والعنصرية تشخص في عواصم ومدن عدة في العالم، هدفا للتخريب والتحطيم من قبل المحتجين في التظاهرات التي رفعت شعار «حياة السود مهمة» في أعقاب وفاة جورج فلويد الأمريكي من أصول أفريقية هذا الحادث الذي كان شرارة انطلاق مظاهرات رافضة للعنصرية اجتاحت معظم أنحاء العالم.

ويأتي هذا بعد أن أطاح محتجون نُصبا تكرّم الجنرالات الكونفدراليين وتجار الرقيق في الولايات المتحدة في إطار الاحتجاجات المناهضة للعنصرية.

وطالت هذه الحركة التي تهاجم رموز الماضي الاستعبادي والعنصري دولا مثل بريطانيا وبلجيكا وهولندا وكندا وألمانيا، خلال المظاهرات للمطالبة بإنهاء الظلم العنصري.

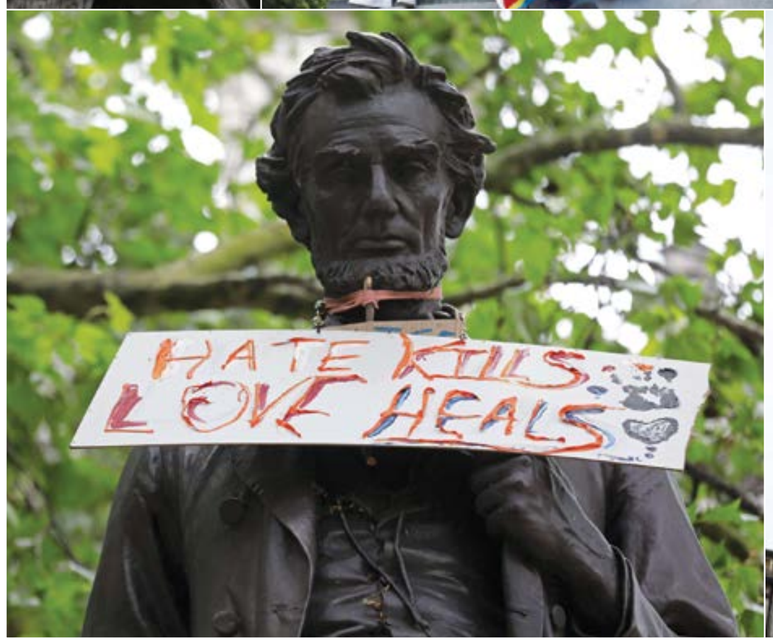

أداب وفنون

شلل الجاحظ وأسر أبي فراس الحمداني: الإبداع أيّام الشِدّة

عبدالواحد لؤلؤة

الجاحظ

قد يتساءل المرء أحياناً: كيف نفسّر ظهور أعمالٍ أدبية أو فنّية، غير متوقّعة في أيّام الضِيق والشِدّة، وغالباً من أناسٍ لم يسبق لهم تعاطي الآداب والفنون، كما نجد في هذه الأيّام الصعبة العصيبة؟

لا أحسب أنّي قادرٌ على تقديم تفسيرٍ لهذه الظاهرة الطيّبة، سوى أنّها دليل على ان روح الإبداع عند الإنسان لا يمكن أن تنطفي، بل إن النار تحت الرماد قد تكون خامدة إلى حين، ولكنها تبقى ناراً، وقد تطلّ من تحت الرماد أحياناً، وقد تتأجّجُ فوق الرماد لسببٍ كامن في النار نفسها.

ولكن لننظر في تراثنا الثقافي، في إطاره العربي أو غير العربي، لنجد أمثلة كثيرة على قدرة نار الإبداع على التغلّب على أيّام الشِدّة، والضيق، والمرض، وغير ذلك من عوائق تتضاءل أمام قدرة الفكر على التجاوز والتخطّي.

لننظر مثلاً في سيرة الجاحظ (776–868م) أبرز أدباء العصر العبّاسي الذي نشأ بتيماً في مدينة البصرة بجنوب العراق. كان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ دميم الخلقة، جاحظ العينين، في فقرٍ مُدقِع، لم يستطع أن يدرس بشكلٍ منتظم مثل أقرانه، لكنه استطاع أن يتّصلَ بشيوخ المعرفة في زمانه من علماء اللغة والأدب والتفسير وعلوم الدين، وأعانته ذاكرةٌ قويّة ونهمٌ شديد لقراءة ما تصل إليه يداه من كتب ورسائل. ولأنه كان في فقرٍ شديد، لم تستطع أمّه أن توفّر له ما توفّر لأقرانه من القراءة على شيوخ المعرفة في زمانه، فكان يبيع الخبز والسمك نهاراً، ويجمع القليل من تلك التجارة ليَكتري «دكاكين الورّاقين» ويقيم فيها ليلة أو بعض ليلةٍ ما تصل إليه يداه. وكان من نتائج ذلك الجلوس الطويل بين الكتب أن أصاب جسمه ضعفٌ شديد انتهى به إلى الشلل في أيّامه الأخيرة «فسقطت عليه قَماطِرُ الكُتُب» فقَصَت على المشلول في عامه الثاني والتسعين.

لكن قوّة الحافظة وتفتّح الذهن للمعرفة عند هذا الجاحظ دفعته إلى قراءة التراجمات من اليونانية والفارسية والهندية، فصار يقرأ بالفارسية، بل ثمة إشارة إلى أنه كتب بعض النصوص بالفارسية. وكان من ثمار ذلك كلّه أن كتب حوالي 360 كتاباً ورسالة في شتّى فنون الأدب والجدل الفلسفي، مما قرّبه إلى الخلفاء العبّاسيّين الذين عاصر منهم إثني عشر خليفة، وتولّى ديوان الرسائل عند الخليفة المأمون.

كيف تسنّى لفتى فقير الحال، فقير المظهر، أن يجمع أفانين من علوم عصره ويكتب كل هذه الكتب مثل: «البيان والتبيين، البخلاء، كتاب الحيَوان، المحاسن والأضداد، البُرصان والعُرجان، التاج في أخلاق الملوك، فضل السودان على البيضان»...

كيف جمع الجاحظ من ضروب المعرفة ما أعانه على مناقشة المفسّرين وأصحاب المنطق والأدباء سوى أن جذوة الفكر عنده، والرغبة في الإحاطة من كل علم بطرَف هي التي رَفَعَتهُ فوق الشِدّة والضيق من حوله؟ والجاحظ كان يتبع منهج الشك في معالجة ما بين يديه من العلوم، على طريقة الغزالي، وبذلك كان أسبق من ديكارت الفرنسي، الذي

صار هداية الباحثين في الآداب في عصور لاحقة، وأبرزهم طه حسين، الذي قال صراحة إنه يتبع طريقة ديكارت في الشك، في دراسة الشعر الجاهلي، لكي يبلغ الحقائق بالمنطق والدليل من دون الادّعاء.

ولننظر في سيرة أبو فراس الحمداني (933–969م) إبن عم سيف الدولة أمير حلب. نشأ أبو فراس يتيماً وهو في الثالثة من العمر، فكفله ابن عمّه الأمير لما رأى فيه من علائم النباهة والذكاء. وكان هذا الفتى فارساً شجاعاً، وقف إلى جانب ابن عمّه في الحروب ضد الروم. وبسبب هذه الصفات ولّاه الأمير على مَنبج، وهو في السابعة عشرة من العمر. كان أبو فراس فارساً مقداماً وقد أبلى بلاءً حسناً في جميع الحروب ضد الروم. ولكنّه في عام 965 وقع في الأسر، لأنه كان يقود معركة غير متكافئة مع الأعداد الكبيرة من جيش الروم، مفضّلاً الهجوم على الهرب. فساقه الروم إلى سجن في القسطنطينية، حيث بقي سبع سنواتٍ منتظراً من ابن عمّه أن يفتديه ويفكّ أسرَه. لكن الأمير تباطأ في فك أسر البطل، لسبب اختلف الباحثون في تفسيره. وفي سنوات الأسر الطويلة والبُعد عن الوطن والأهل لم يحقد أبو فراس على ابن عمّه الذي كان بوسعه أن يفتديه. وفي شعره في مَحبسِه الرومي ما يُثبت ذلك، وهو من دلالات علوّ الهمّة وكرَم النفس. ولم يَزد الشاعر الفارس على أكثر من عتاب ابن عمّه الأمير بعباراتٍ غاية في الرفعة وسموّ النفس:

وكُنتُ إذا ما نابني منك نائبٌ
لَطَفتُ لقلبي أن يُقيم لك العُذرا
وأكرَهُ إعلامَ الوشاة بهجره
فأعتِبُه سِرّاً وأشكرُهُ جهرا

ومعدن الروح النفيس لا يصدأ، حتى في أحلك الظروف. وأيّة ظروف أشدّ حلكة من أسرٍ مفروض على موهبةٍ كبيرة وعَقلٍ نفيس، يواجه أيّام الشِدّة بالصبر:

صبورٌ ولو لم تَبقَ مِنّي بقيّةٌ
قؤول ولو أن السيوفَ جَوابُ

تحت هذه الظروف غيرَ المسبوقةِ الصعوبة أبدع أبو فراس قصائده «الرومياّت» وهي قصائد خالدات تتميّز بالرقّة والسلاسة، يَعجَبُ المرء كيفَ لنفسٍ تَرزَحُ تحتَ وَطأة الأسر، غير معروفٍ النتائج أو النهاية، أن لا تَقَعَ في التأسّي والأنين، بل تُبدِعُ أرَقَّ مشاعر الحب والحنين التي لا تقع في مُتَناول كثيرٍ من غير المأسورين:

أراكَ عَصيَّ الدّمع، شيمَتُكَ الصّبرُ
أما للهوى نَهيٌ عليك ولا أمرُ؟
بلى، أنا مُشتاقٌ وعندِيَ لوعَةٌ
ولكنّ مثلي لا يُذاعُ له سِرُّ...
تكادُ تُضيءُ النارُ بينَ جوانحي
إذا هيَ أذكتها الصبابةُ والفِكرُ...

أو هذه القصيدة الصادقة في تعبيرها بأبعدَ ما يكون عن التَفَجُّع المراسيمي:

أقولُ وقد ناحَت بقُربي حَمامةٌ
أيا جارتا لو تَعلمينَ بحالي ...
أيا جارَتا ما أنصَفَ الدهرُ بيننا
تعالي أقاسمك الهمومَ تَعالي
أيُضحِكُكِ مَأسورٌ وتبكي طَليقَةٌ
ويسكُتُ محزونٌ ويندبُ سالي؟

ثانيةً، وثالثةً: كيفَ يتفتّق الذهن الحيّ والموهبةُ المتَوَقِّدة تحت رماد ظروف الحياة غيرِ متَوَقّعة الشِدّة، وغير مسبوقةِ القَسوَة، وكيفَ تُنتِجُ أثراً في مجال الآداب والفنون، وكأنّ أجواء الشِدّة غير موجودة، أو كأنّ لم يَكُنْ بين الحَجون إلى الصفا أنيسٌ ولَم يَسمُر بمكّةَ سامِرُ!

وقد نذكر مثالاً ثالثاً من ثقافة غير عربية، لكنّها مُشرّبة بحماسة قصَر دونها كثيرٌ من أصحاب الثقافة العرَب. ذلك هو مثال الباحث الفرنسي روبير بريفو (1873 في–1948). ولد روبير في مدينة نيس بجنوب فرنسا، ونشأ وتعلّم في مدينة فلورنس وبعدها في بريطانيا، فصار يتكلّم الفرنسية والإيطالية والإنكليزية في شبابه، وكان لديه دافع شديد للمعرفة والبحث في مجال الآداب باللغات التي أتقنها، ثم أضاف إليها اللغة الألمانية واللاتينية والإغريقية والبروفنسية، وهي لغة منقرضة لم يبقَ من يتكلّم بها سوى أهل إقليم بروفنس في جنوب فرنسا وشمال إسبانيا، وخاصة في إقليم الباسك في شمال غرب إسبانيا.

توفّي والد الفتى عام 1892 وهو لم يبلغ العشرين من العمر، فأخذته والدته إلى نيوزيلند حيث درس الطب وفتح عيادة ثم وجدها تتعارض مع ميوله في البحث الأدبي. فذهب إلى أمريكا وتطوّع بصفة طبيب في الجيش ممّا زاد في تنقّله وتجواله بين البلاد، فوجد نفسه في مصر، فاغتنم الفرصة واتّصل بالأزهر لتقوية لغته العربية. وهناك انفتح على الحضارة العربية الإسلامية، وراح يتحدّث عن تقصير الغرب في فهم حضارة العرب، وخصوصاً في جانبها الأندلسي. وفي مصر توسّع في دراسة الموشّح والزجل من المخطوطات والمجموعات الشعرية التي وجدها في مكتبات مصر. وما لبث أن عاد إلى باريس ومكتباتها، فقامت الحرب العالمية الثانية فوجد نفسه وزوجته تحت الاحتلال النازي لباريس، لكنه لم يستطع تخفيف جهوده في البحث والتحقيق بكل ما يتعلّق بالموشّحات والأزجال من كُتُب وأبحاث، على الرغم من أنه بدأ يُحِسّ بوطأة مرض السل الذي قضى على ابنته، والذي سوف يقضي عليه عام 1948.

في مثل هذه الظروف الحياتية التي تُقصِّر أية صفة في وصفها، من تنقّل بين البلاد، ووفاة الزوجة والإبنة، والمرض القاتل، استطاع هذا الباحث غير العربي أن يُصدِرَ عددا من الكُتُب ذات القيمة الأدبية الكبرى، يهمّنا منها كتاب «التروبادور والعاطفة الرومانسية» الذي كتبه بالفرنسية ثم ترجمه بنفسه إلى الإنكليزية بعنوان «التروبادور» ونشرته لاحقاً جامعة إنديانا الأمريكية عام 1965 في طبعة جديدة.

في هذا الكتاب يبيّن هذا «اللاعربي» بالنصوص الشعرية والتواريخ المرجعية أن الشعر الأوروبي الدنيوي الذي ظهر في أوروبا في القرن الثاني عشر، خلاف شعر القرون الوسطى بلاتينية الكنيسة، مَدينٌ بشكلٍ موثّق لا يقبل الجدل إلى الشعر العربي الأندلسي، وخاصة في نمط الموشّح والزجل، الذي يقوم على مهاد الشعر العربي المشرقي في أزهى عصوره. وأن هذا المهاد الشعري الجديد على أوروبا هو الذي أنتج شعر الحب في عصر النهضة الأوروبية في القرن الثالث عشر، بزعامة دانته ومن تبعه من أصحاب «الأسلوب العذب الجديد» dolce stil nuovo.

أين هذه النتائج ممّا نرى من أعمال باحثينا ومثقّفينا العرب، من أهل مكّة الذين هم أدرى بشِعابها!!!

الرسام العراقي حازم صالح العبدلي: اجتراحات تخييلية تشكيلية في متون الأساطير والحكايات الشعبية

مروان ياسين الدليمي

تستدعي قراءة أعمال الرسام حازم صالح إعادة تشييد أفق التجربة أركيولوجيا، في محاولة لتأسيس فهم جمالي لنصه البصري، وما يبثه من ايحاءات. والجانب المهم في قراءة هذه التجربة يدفعنا إلى ناحية تكون فيها أدواتنا النقدية في مواجهة الأساطير أو الحكايات الشعبية التي عادة ما تلتقي شفرات متونها الحكائية وشخوصها في مجمل لوحاته، فهو دائم الاستعانة بها لإنتاج قراءات جديدة لمضامينها في بنية تشكيلية، مُشيِّداً عبر رؤيته الذاتية كوناً دلالياً لا زمنياً، يتفاعل مع حركية الزمن المعاصر. سيكون تركيزنا مقتصرا على لوحاته التي يرسمها بقلم «وترنك» ذي الحبر الأسود الذي عادة ما يستخدم في التخطيط، ولوحاته هذه تحيلنا إلى منطقة خاصة في مسيرته الفنية، لأنّه منذ بداياته، وما يزال يجد فيها مساحة تقنية لاختبار أفكاره، واقتصارها على اللون الأسود يقربها من تكاملها الفني، وما يخلقه هذا اللون من قيم جمالية أساسها التضاد الحاد بينه وبين المساحات البيضاء التي يتركها على الورقة.

ينسجم نتاجه مع آفاق التلقي الحر للعمل التشكيلي والقراءات النقدية المختلفة التي تضعه تحت مشارطها، رغم ما يستند عليه في مشغولاته من مباحث لها جذور مخزونة في الوعي الجمعي الشفاهي، إلاّ أنه في إحالاته التشكيلية لا يهدف إلى أن تندرج سيميائيات اللوحة وفق برمجة الماضي وما يرسله من إشارات مقفلة على دلالات ذات معنى محدد مسبقاً، بل يعمل على أن ينفلت بمقروئيات خيالاته إلى مديات بعيدة، بما يمتلكه العمل الفني من طاقة على التحليق واكتناه مناطق جديدة في البنى الثابتة للمحكيات الشفهية، يستجلي فيها طاقتها الشعرية عبر خطوط حادة بتضاداتها اللونية، وغالبا ما يكرر بعض مفرداتها خاصة العيون.

لم يكن هذا المنحى الاشتغالي لديه يأتي في إطار توظيف شكلاني فقط، بكل ما فيه من ممكنات تتيحها عناصر بناء اللوحة وتمنح نتاجه مستويات متراكبة من الدهشة والغرابة، بقدر ما يأخذ بالعلامات المستلة من الأساطير والحكايات الشعبية إلى منطقة من الاشتغال الفني، يفكك فيها علاقاتها الراسخة، دافعا بها إلى تأسيس صورة جديدة، تحيل الذاكرة إلى أن تعيد برمجة نفسها، لأجل ان تكون مهيأة لاكتشاف مفردات إشارية جديدة، بعد أن عمل على تحطيم الدائرة المنغلقة في نمطية الدلالات التي كانت تتسوّر فيها أيقوناتها.

في تشكيل عالمه الفني يتقصد ان يتواجه مع مفاهيم مشتركة لدى المتلقي ويسحبه إلى ضفة خالية من التحفظات والاشتراطات المسبقة في عملية تداول ما هو متداول في دورة المعايير ضمن متون المحكيات والمرويات الشفاهية، فليس في عالمه التشكيلي محددات مسبقة، ومن هنا فإن التفاعل مع خصوصية تجربته يعكس قدرة البنية التخييلية لدى الفنان في أن تُخرِجَ المتلقي من الأطر التي تُقنّن تفكيره ومشاعره أثناء تلقيه للتجربة الفنية، رغم ما فيها من بِنيات منسوبة علاماتها إلى الماضي.

هذا الاجتراح التخييلي في تناول الذاكرة الشعبية والأسطورية في تصورات الفنان البصرية، يعبّر عن سعي حثيث في أن يكون تلقي اللوحة ضمن رؤية محايثة ليست سياقية في عملية التناول، أولا من جانبه، وثانيا من جانب المتلقي، باعتبار ذلك تحصيل حاصل، ما قد تحمله تجربته من مفردات وعناصر مستوحاة من الواقع، بمستوياته المختلفة: الشفاهية والمادية، الخرافية والواقعية.

فالانحراف في مسار الحكاية الذي يقودها إليه ليس إلاّ معاينة لما وقيمة التجربة الفنية في علاقتها مع الأشياء والزمن والحياة، فالرسم من وجهة نظره، في سياق ما أنتجه من أعمال منذ تسعينات القرن الماضي وصولا إلى أعماله الأخيرة التي حاكى فيها موضوعة فيروس كورونا، لم يتقصد فيها إعادة تشييد العالم بأثيرات فنية تنضح منها رائحة نوستالجية، وهذا ما قد ينخدع به المتلقي للوهلة الأولى عندما يستعرض أعماله ويجدها تتميز بمفردات استلها من واقعه الشعبي والأسطوري، لكنه ما ان يحاول الدخول إلى مضامينها سيجد نفسه ازاء توصيفات للأشياء من خارج الجهاز المفاهيمي الذي يحمله في جعبته، وسيدرك بالنتيجة انه يقف أمام تصورات ذاتية، تستلزم منه إسقاط ما يحمله من مفاهيم خارج صالة العرض، لأنها لا تستجيب إلى فعالية قناعاته الراسخة بمضامينها، وهنا يكمن اللعب الحر الذي يمارسه العبدلي مع ما هو مشيَّد من الحيرة في تلقي تجربته، لا شيء يجمعها مع الحيرة التي عادة ما تلازمنا ونحن نقف أمام أعمال فنية تستلهم بنيتها وأسلوبها من مناهج الحداثة لما تحمله من غموض وتجريد، وربما يكون حازم صالح له رؤيته الذاتية في فهم واستيعاب ما بعد الحداثة في مسألة تفكيك أطر وقوالب الحداثة المنضبطة وفي تعاملها مع ما هو شعبي، فمن الواضح من سياق تجربته أنه في حال علاقة قائمة على الجدل مع انحيازات تجارب ما بعد الحداثة، إلا أن مشاركته في فضاءها العام الذي تنتجه يبقى في تأكيد حضوره القائم على تفادي الوقوع في قراءات الآخرين، ودائما ما يذكرنا بأنه حكواتي، في زمن ما بعد الحداثة، يسرد لنا الحكايات بأسلوبه ورؤيته الخاصة، وهذا ما يتجلى في عناوين لوحاته التي عادة ما تستعير صياغتها اللغوية من سياق بنيتها السردية.

أكثر ما يحرص عليه أن يشكل سردياته بتوليفة بصرية تربك ذائقتنا بخطوط حادة وملامح بارزة وخشنة، ودائما ما يراهن في إنشاء اللوحة على تكرار لمحات واقعية، يحيلنا من خلالها إلى ان نكون بعيدا عن مضمونها الاجتماعي، إذ تبدو أقرب إلى فعل التعرية لمفاهيم وأفكار وأوضاع إنسانية غالبا ما تضع الإنسان في لحظة يكون فيها مأزوما في وجوده وإنسانيته وفطرته من قبل أنماط من السلطة.

وعلى الرغم من أن الفنان في حكاياته التشكيلية لا يخفي انحيازه للإنسان، إلا انه لا يلجأ إلى أن تُحسب اللوحة لديه في إطار مضامين مباشرة، وذات أبعاد ايديولوجية يتمثلها ضامين في الواقع، وتمتد هيمنة تقنياته الذاتية في تفكيك هذه العوالم الواقعية وإحالتها إلى امتدادات غير مألوفة في مفاهيم الذاكرة الجمعية، مع إصراره بالمحافظة على صلتها الواقعية من الناحية الشكلية.

القراءة الاشتغالية من جانب العبدلي تخرج البنية المنمذجة من الواقع إلى مشروع جديد يعيد تركيب علاقتها مع الزمن، فيستلها من تقييدات الأطر الثابتة وإشاراتها الواضحة والمباشرة إلى نسق سيميائي خاص، يستدعي استيعاب المقاربة التشبيهية مع أيقونات الموروث الشعبي، فاللوحة لديه حتى وأن اعتمد فيها على المحكيات الشفاهية، ترتبط بما يحمله خطابه الفني من أفكار ورؤى يحاول فيها أن يحدد نقطة ارتكازه في الحياة بكل ما هي عليه من غموض وتعقيد، فالعودة إلى بساطة الحكايات القادمة من زمن إنساني عفوي قابع في البيئة الشعبية لا تعني بالنسبة له الهروب إلى الخلف، إنما يأتي في سياق مفهومه للمواجهة مع الحاضر بكل ما يغزوه من إفراط بتدمير الوعي الإنساني الفطري، وانحياز إلى الذات في بعدها الخلاق، وفي معاناتها للخروج من التنميط والتدجين والشخصنة والقولبة.

ما بعد الحداثة والحكاية الشعبية

العبدلي يضعنا في متن خطاب فني يسحب الحكاية من زمنها، بكل ما فيها من عناصر معروفة، إلى زمن جديد يحمل بعداً تخييلياً يتحايل فيه على الواقع ويقاومه بأدواته، مؤسسا له مَتنا سرديا بصريا يحطم فيه العلاقة المنمقة التي تجمعه مع دلالات عناصره المتداولة، لذا يبدو فعل التشارك في عملية تلقي تجربته منحازا إلى تكريس الفردية في القراءة، واستبعاد المرجعية الجماعية، وهذه

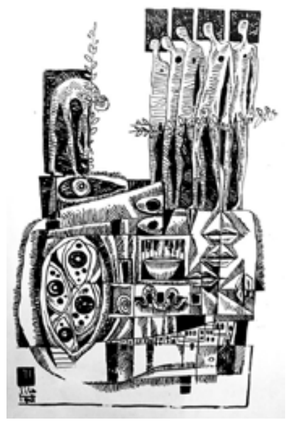

الواقع، ولطالما يتعمد أن يكون أسلوبه التقني في تشكيل مفردات نصه البصري بعيدا عن أي مرجعية واقعية، ولا يتواطأ مع غموض الحداثة وما بعدها، فمن اللافت لدى المتذوق للفن التشكيلي بكل تحولاته الأسلوبية سيجده يتحرك في استقلالية واضحة عن بقية التجارب التي يزخر بها فن الرسم في العراق، ومن السهولة بمكان ان يتعرف على أعماله.

الميثولوجيا ونزعة التجريب

تؤكد تجربة العبدلي، على ان التفرد الفني لا يأتي فقط من ارتفاع مستوى الحرفية في الأداء والتعامل مع اللون والإنشاء والتكوين واستحداث خامات جديدة في مشغل التجربة، ولا الاتقان العالي في إعادة تصوير الواقع بما يشكل تنافسا مع الصورة الفوتوغرافية، إلاّ أن ترسيخ العلاقة مع الأدب والشعر والفلسفة والموروث، في مسيرة الفنان كما هي لدى حازم العبدلي يحيل أفق هذه العلاقة إلى افتراضات وتخيلات رؤيوية، من خلالها يستجلي مقترحات جديدة لطبيعة العلاقة التي يتعامل بها مع ما يحيطه من عوالم إنسانية وصراعات، عادة ما تشهدها أوجه الحياة المختلفة.

بالإضافة إلى أساطير الواقع وخرافاته القابعة في بنية الحكايات الشعبية التي عَرف كيف يتحاور معها، فإن الميثولوجيا لا تغيب عن نزعته التجريبية، وهناك إصرار لديه بمقابلتها مع ما يترسخ في علاقة الإنسان المعاصر من توتر مع ذاته ومع العالم الخارجي.

المتابع لتجربته بوسعه ان يستحضر تأسيساته التشكيلية التي حاكى بها حضارات بلاد ما بين النهرين، وما أقامه من مقاربات تشكيلية مع العديد من الرموز التي تعبر عنها، ومن جهة أخرى لم تكن هذه العودة إلى الماضي ليست بهذا التسطيح عندما يتعلق الأمر في رؤية التاريخ، إنما يذهب باتجاه اكتشاف مستويات جديدة من العلاقة الجمالية بين الماضي والحاضر، خاصة وأن الفن الرافديني وخاصة الآشوري يحمل في سماته نزعة جمالية مفارقة في التعامل مع الحجر وتطويع كتله الكبيرة إلى نصب وقطع نحتية فيها من السمات التقنية والجمالية ما يشير إلى تقدم كبير في المستوى الفني لدى الفنان العراقي القديم، وهذا ما يدفع فنانا مثل العبدلي، إلى ايجاد مقاربات تشكيلية معه.

ما يؤخذ على العبدلي عدم اهتمامه بإقامة معارض شخصية، وانصرافه التام عن تسويق تجربته إلى خارج حدود مدينته الموصل، وفي ما لو خرج من هذه الدائرة التي أحاط نفسه بها، فمن المؤكد أن تجربته ستدخل في طرح أسئلة جديدة، وسينتج عنها محكيات تشكيلية تضيف إلى كونه الحكائي الذي استقاه من بيئته وتراثه الشعبي.

تحقيقات

سماها أبو عمار «بيدر فلسطين»

الأغوار الفلسطينية عيون متدفقة وعين الاحتلال على بياراتها وحقولها ومزارعها

أريحا وادي القلط

الناصرة – «القدس العربي» وديع عواودة

توضح مؤسسة الدراسات الفلسطينية في دراسة جديدة، أن منطقة الأغوار وشمال البحر الميت تشغل نحو 29 في المئة من مساحة الضفة الغربية، ويعيش فيها حالياً نحو 65000 فلسطيني، فضلاً عن بضعة آلاف من البدو، كما يقطن فيها أكثر من 11000 مستوطن موزعين على 37 مستوطنة مشددة على الأطماع الاقتصادية خلف مخطط الضمّ. وتصنّف نسبة 90 في المئة من مساحتها ضمن المنطقة «ج» بينما تصنّف المساحة المتبقية منها ضمن المنطقتين «أ» و«ب» منوهة أن سلطات الاحتلال تتذرع بذرائع أمنية لإبقاء سيطرتها على هذه المنطقة، إلا أن العامل الرئيسي الذي يدفعها إلى ذلك هو في الواقع ما تجنيه من فوائد اقتصادية منها، بلغت 650 مليون دولار في سنة 2012 فضلاً عن كونها مصدراً مهماً للحصول على المياه. وقد سعت إسرائيل إلى عزل هذه المنطقة عن بقية الضفة الغربية، وذلك عبر إقامة الحواجز العسكرية والخنادق والسواتر الترابية على الطرق الرئيسية المؤدية إلى الأغوار، وعدم السماح بالمرور عبرها سوى للسيارات العائدة إلى مقيمين في المنطقة، الأمر الذي حال دون وصول عدد كبير من الفلسطينيين الذين لا يقيمون في المنطقة إلى أراضيهم الزراعية فيها.

وسائل السيطرة الإسرائيلية

وتوضح الدراسة أن إسرائيل لجأت إلى وسائل عدة لضمان سيطرتها على نحو 85 في المئة من مساحة منطقة الأغوار وشمال البحر الميت، فهي أصدرت مئات الأوامر العسكرية التي مكّنتها من الاستحواذ على مساحات واسعة من أراضي معظم سكان هذه المنطقة الذين اضطروا، خلال فترة حرب 1967 إلى اللجوء إلى الأردن، وسخّرت هذه الأراضي المصادرة لبناء المستوطنات الأولى منذ سنة 1968 وطوال عقد السبعينيات. وقامت، بواسطة التلاعب القضائي، بتوسيع سجل ما يعرف بـ«أراضي الدولة» بحيث صار أكثر من 50 في المئة من مساحة المنطقة مصنفاً ضمن «أراضي الدولة» كما صنّفت نسبة كبيرة من الأراضي مناطق عسكرية مغلقة، ومحميات طبيعية. وعندما شرعت في بناء جدار الفصل العنصري، صادرت في الأغوار الشمالية نحو 2500 دونم من أراضي قريتي بردلة وعين البيضا وخصصت سلطات الاحتلال نسبة 12 في المئة من مجموع الأراضي، التي استولت عليها، لإقامة المستوطنات.

آبار المياه

وتظهر الدراسة أن سلطات الاحتلال استولت بعد سنة 1967 على موارد المياه الرئيسية في المنطقة، فسيطرت على الأراضي التي توجد فيها آبار وينابيع، وشرعت في حفر مئات الآبار الجديدة، التي صارت توفر لها ملايين الأمتار المكعبة من المياه في العام، يخصص معظمها لتلبية احتياجات المستوطنات. وفضلاً عن ذلك، تستفيد المستوطنات من مياه نهر الأردن، ومن إعادة معالجة مياه الصرف الصحي. وتضيف الدراسة، يستشهد أحمد حنيطي في كتابه «السياسة الإسرائيلية تجاه الأغوار وآفاقها» بدراسة أعدّها «مركز أريج» في بيت لحم في سنة 2011 تبيّن أن الإسرائيليين يستهلكون 50.072 مليون متر مكعب من المياه هناك في مجالي الاستخدام المنزلي والزراعة. وهذا كله يتم على حساب الفلسطينيين، الذين تحدد سلطات الاحتلال لهم كميات المياه التي يمكنهم سحبها من آبارهم، وتمنعهم من حفر آبار جديدة أو تحسين حالة الآبار القائمة. وينما يبلغ متوسط استهلاك المستوطن في مستوطنة نيران، شمال أريحا، 433 ليتراً مكعباً، يبلغ متوسط استهلاك الفلسطيني في قرية العوجا المجاورة أقل من خمس هذه الكمية، أي نحو 82 ليتراً مكعباً. ويضطر سكان الأغوار الفلسطينيون في أحيان كثيرة إلى شراء المياه بأثمان مرتفعة، التي تنقل إليهم عبر الصهاريج.

وحسب مؤسسة الدراسات الفلسطينية أقامت إسرائيل 37 مستوطنة في منطقة الأغوار وشمال البحر الميت منذ احتلال 1967 يعيش فيها حالياً 11679 مستوطناً. وتتميّز هذه المستوطنات بكونها معزولة عن بعضها بعضاً، وموزعة على مناطق واسعة، وهي الأكثر بعداً عن الخط الأخضر، كما أن عدد المستوطنين في كل مستوطنة هو الأقل بين جميع المستوطنات. ويغلب الطابع الزراعي على معظم هذه المستوطنات، باستثناء مستوطنة معاليه أفراييم المدينية، التي أقيمت سنة 1978. وأقيمت أولى هذه المستوطنات، وهي مستوطنة «محولا» في مطلع سنة 1968 ثم أطلقت الحكومة في مطلع الثمانينيات حملة استيطان وبناء واسعة في المنطقة. وتم تحويل معظم الأراضي التي صودرت لأغراض عسكرية إلى مستوطنات يهودية، مرتبطة بصورة مباشرة بشبكتَي توزيع المياه والكهرباء الإسرائيليتين. وخلال الثمانينيات، تبنت الحكومة تدابير ترمي إلى تشجيع المدنيين الإسرائيليين على الانتقال إلى هذه المستوطنات، بما في ذلك تحمل تكلفة الخدمات العامة والسكن. وهكذا شهدت هذه المستوطنات تطوراً، في منتصف التسعينيات، على مستوى الحجم وعدد السكان، الذين تزايد عددهم في سنة 2005 بعد «فك الارتباط» مع قطاع غزة، إذ نقل بعض المستوطنين من مستوطنات القطاع التي فككت إلى الأغوار. وتم توظيف ملايين الدولارات في «زراعات استراتيجية» مثل التمور، لتعزيز تنافسية إسرائيل كمصدر لهذه الزراعات.

مزروعات الأغوار

ويعيش معظم سكان مستوطنات الأغوار على زراعة النخيل، والأزهار، والخضار، والموز، والأعشاب الطبية، وعلى تربية الطيور والأبقار، كما يقومون بتربية الأسماك والتماسيح في برك اصطناعية، ويبيعون جلود التماسيح، وينتجون سنوياً 6350 طناً من اللحوم، وتستهلك هذه المستوطنات أكبر كمية مياه بين جميع مستوطنات الضفة الغربية. ويلجأ المستوطنون أحياناً إلى تشغيل بضعة آلاف من الفلسطينيين في جني المحاصيل، وخصوصاً التمور، إذ بيّنت دراسة نشرها «مركز العمل التنموي/معاً» يستشهد بها أحمد حنيطي، في كتابه المذكور، أن نحو 1800 فلسطيني، من إناث وذكور، يعملون في مستوطنات الأغوار ويتوزعون على محافظات نابلس وأريحا وطوباس.

الحجارة والمعادن

وفضلاً عن المياه، تستغل إسرائيل في الأغوار وشمال البحر الميت مقالع الحجارة، والمعادن، كما تستفيد من العديد من المواقع الأثرية، وخصوصاً في المنطقة المحيطة بأريحا، مثل كهوف قمران، ومحمية عين الفشخة، ووادي اللقط. وتشكّل المحميات الطبيعية التي أقامتها في المنطقة ستاراً للسيطرة على الأراضي، إذ تقوم سلطات الاحتلال بالاستحواذ على مساحة من الأرض، وتعلنها محمية طبيعية، يمنع الفلسطينيون من دخولها. وهو ما حدث، على سبيل المثال، مع مؤيد دراغمة الذي يمتلك هو وأخوته 47 دونماً في ضواحي طوباس في شمال الضفة الغربية، إذ استولى الجيش على أرضه وحوّلها إلى محمية طبيعية ولم يعد يحق لمالكيها الفلسطينيين زراعتها. وحسب «حركة السلام الآن» تحدد السلطات الإسرائيلية عادة موقعاً ليكون محمية طبيعية، ثم تمنع أي بناء أو زراعة فلسطينية فيه، ثم يظهر موقع استيطاني متقدم في المنطقة نفسها. وتلجأ هذه السلطات إلى وسيلة سيطرة أخرى هي إعلان مساحات من الأراضي مناطق إطلاق نار وتدريبات عسكرية ويستشهد حنيطي بتقرير يذكر أن عدد التجمعات في مناطق إطلاق النار والمناطق العسكرية المغلقة بلغ 35 تجمعاً يقيم بها نحو 5990 فلسطينياً، كذلك يوجد 45 تجمعاً بالقرب من مناطق إطلاق النار يقيم فيها 11118 فلسطينياً.

السعي إلى إنهاء الوجود الفلسطيني

وتؤكد مؤسسة الدراسات الفلسطينية أن الفلسطينيين الذين بقوا في منطقة الأغوار يعيشون في ظل نظام أبرتهايد، يعانون التمييز على مستوى الخدمات الأساسية، كالكهرباء، والمياه، والسكن، والعمل، والتنقل. وتبذل سلطات الاحتلال كل جهودها من أجل إنهاء الوجود الفلسطيني في هذه المنطقة؛ فهي تمنع الفلسطينيين من استخدام نحو 85 في المئة من مساحة أراضيها، وتقيّد وصولهم إلى مصادر المياه، وتمنعهم من بناء المنازل وتصدر الأوامر بهدم أي بناء يتم بناؤه من دون ترخيص منها، كما تسعى إلى جعل حياتهم مستحيلة كي تجبرهم على الهجرة.

هدم منازل الفلسطينيين

وحسب معطيات تقرير نشره «مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة–بتسيلم» هدمت الإدارة المدنية الإسرائيلية، في الفترة ما بين سنة 2006 و2017 حوالي 698 وحدة سكنيّة على الأقلّ في بلدات فلسطينية في منطقة الأغوار، كان يسكنها 2948 فلسطينيًا. ومنذ بداية 2012 وحتى نهاية أيلول/سبتمبر 2017، هدمت الإدارة المدنيّة على الأقلّ 806 مبانٍ لغير أغراض السكن من ضمنها مبانٍ زراعيّة. ويضيف تقرير «بتسيلم» أن منعَ البناء والتطوير الفلسطيني في منطقة الأغوار يمسّ على وجه الخصوص نحو 10.000 فلسطينيّ يسكنون في أكثر من 50 تجمّعا سكّانيًا (مضارب) في المنطقة المصنفة «ج» إذ تسعى السلطات الإسرائيلية بشتّى الطرق لترحيل سكانها عن منازلهم وأراضيهم، وتمنع هذه التجمّعات من أيّة إمكانيّة للبناء القانوني وفق احتياجاتها، وترفض ربطها بشبكتَي الماء والكهرباء. ويتابع التقرير أنه منذ كانون الثاني/يناير 2013 إلى أيلول/سبتمبر 2017 فرض الجيش الإخلاء على مختلف التجمّعات في منطقة الأغوار 140 مرّة، وجرى إخلاء بعض التجمّعات مرّتين وأحيانًا بفارق أسبوع واحد.

الأغوار بالنسبة للفلسطينيين

نظراً لخصوبة وسخونة أراضيها ورطوبة مناخها وتوفر المياه فيها، توفر منطقة الأغوار التي كان يسميها الراحل ياسر عرفات «بيدر فلسطين» فرصاً كبيرة للفلسطينيين في مجالَي التنمية الزراعية والصناعية، فضلاً عن السياحة والنقل. ونظراً لقلة عدد سكانها، يمكن لمنطقة الأغوار أن تستوعب النمو الديموغرافي الطبيعي لسكان الضفة الغربية، وأن تكون مؤهلة لاستقبال أعداد كبيرة من اللاجئين الفلسطينيين من البلدان المجاورة، في حال قيام دولة فلسطينية مستقلة. كما يمكن أن تقام فيها مدن نموذجية، ومطار فلسطيني حديث في جزئها الشمالي.

بيد أن الاحتلال والاستيطان الإسرائيليين قلصا مساحة الأراضي التي يمكن للفلسطينيين استثمارها إلى نحو 5 في المئة من مساحة المنطقة، وحالا دون تمكينهم من القيام بأي مشروع اقتصادي مهم، في ظل سيطرتهما على معظم أراضيها. وحتى مدينة أريحا، التي تقع في المنطقة المصنفة «أ» كانٍ خضوعها للسلطة الفلسطينية صورياً إلى حد كبير، إذ كانت ضحية اعتداءات إسرائيلية مرات عدة وما زالت محاصرة بالحواجز العسكرية.

مواقف متباينة

نشرت جمعية التضامن الفرنسية مع الشعب الفلسطيني «جمعية فرنسا–فلسطين تضامن» في 3 شباط/فبراير 2020 تقريراً يظهر أن معظم الفلسطينيين في منطقة الأغوار يعارضون مخطط ضم هذه المنطقة إلى إسرائيل، بينما يؤيده بعض الفلسطينيين الذين يتوهمون أن تنفيذه سيوفر لهم «المساواة» مع المستوطنين الإسرائيليين، ويجعلهم يتمتعون ببعض حقوقهم. كما يبيّن التقرير أن عدداً من مستوطني الأغوار يفضلون استمرار الضم الفعلي القائم، ويعارضون مشروع الضم الرسمي، خوفاً من أن يفضي إلى المساواة بين الجميع. وينقل معد التقرير عن خالد، وهو واحد من سكان قرية فصايل، الواقعة بالقرب من مدينة أريحا، والبالغ عددهم نحو 1700 نسمة، ويعمل في زراعة النخيل في مستوطنة تومر المجاورة، ينقل عنه قوله: «أنا أدعم الضم...فأنا أكسب 100 شيكل في اليوم، و90 في المئة من رجال قرية فصايل يعملون في مستوطنة تومر المجاورة، مقابل أجر يومي ضئيل مثل أجري. أعمل من الخامسة صباحاً وحتى الثانية بعد الظهر، وأتدبر أمري في الحد الأدنى. أعمل لدى صاحب العمل نفسه منذ 15 عاماً، من دون ترخيص رسمي ومن دون التمتع بأي حق...وبعد الضم، سأحصل على الجنسية أو على حق الإقامة، ويمكنني المطالبة حينها بالحد الأدنى من الأجور. أما اليوم، فإن مطالبتي بذلك ستعني طردي من العمل». وعندما قلت له إن الضم سينهي حل الدولتين، أجاب: «هذه الأرض ليست قابلة لقيام دولتين في جميع الأحوال، فهي أرض واحدة، وأنا أرغب في حل متكافئ، بحيث يتم اقتسام هذه الأرض بين الإسرائيليين والفلسطينيين».

غور الأردن

المستوطنون يعارضون

ويتابع معد التقرير، فيكتب: «على بعد أقل من دقيقة في السيارة من فصايل، أقيمت مستوطنة تومر في سنة 1976 من جانب حركة الموشافيم الزراعية التعاونية. وخلافاً لخالد، لم أجد أحداً من سكان هذه المستوطنة مؤيداً لضم الأغوار إلى إسرائيل. فيافا، وهي واحدة من المبادرين إلى تأسيس هذه المستوطنة، قالت لي: طالما لا يتحدث أحد عن إعادة غور الأردن إلى الفلسطينيين، فأنا ليست لدي أي مشكلة مع الوضعية الحالية. لقد كنت قد استدعيت من محكمة إسرائيلية، وأدفع الضرائب إلى الدولة، وأتسلم غرامات، كما لو كنت أعيش في تل أبيب. فلماذا أحتاج، والحالة هذه، إلى الضم؟ أما أوسنات، مسؤول المال في تومر الذي يعرّف نفسه بأنه يساري، فيقول لي: «أنت الآن في مستوطنة علمانية أقامها المزارعون التعاونيون الأعضاء في حزب العمل. يمكنك نقل هذا الموشاف إلى أي مكان في البلد، ولن تلحظ أي فرق. فليس هناك أي أحد من سكانه يتحدث عن الضم عندما يلتقي بالآخرين مساء. إنه موضوع لرجال السياسة، أما نحن فما يهمنا هو التمور وحالة الطقس. ويعارض أحد مشغلي العمال الفلسطينيين في تومر، واسمه ياثير، مخطط الضم بشدة، الذي لن ينتج عنه أي شيء جيد ـ كما يقول ـ فإذا قاموا بضمنا، سيكون من الصعب على المزارعين تصدير منتجاتهم بسبب المقاطعة. وهذا سيشعل النار، وسيقوم الأردنيون بإلغاء اتفاق السلام. وماذا سنفعل حينها بالعمال الفلسطينيين العاملين في المستوطنة؟ هل سيكون علينا ضم العرب الذين سيتجولون هنا، وهم يحملون بطاقات هوية زرقاء مثلهم مثل سكان القدس الشرقية؟».

ميديا

سجالات

بوح سليم بركات ذاكرة للنسيان أم تأسيس لسيرة أخرى للشاعر الغائب؟

راشد عيسى

وصلَنَا، نحن بعض فلسطينيي المخيمات، فيما نتهجّى قراءاتنا الأدبية الأولى، سليم بركات محمولاً على سيرة محمود درويش، تلك التي كنا نلمّها أصلاً بأهداب العيون من مقابلات صحافية هنا وهناك، ومن بين سطور القصائد، أو من أبحاث ومقالات كتبت عنه، وأحياناً شهادات شخصية وأقاويل. ذهلنا بما عرفناه عن الشاعر الفتى الذي سحر درويش إلى حدّ التبني، ترى من يكون! كيف استحق أن يحتل هذه المساحة من «ذاكرة للنسيان»، الكتاب الذي روى يوميات حصار بيروت وفيه أشار الشاعر الراحل مراراً إلى «سين»، «ديك الحي الفصيح»! من هو هذا الشاعر المفتون بلعبة اللغة والعضلات والمسدسات؟

في خطوة تالية قرأنا «الجندب الحديدي– السيرة الناقصة لطفل لم يرَ إلا أرضاً هاربةً فصاح: هذه فخاخي أيها القطا»، و«سيرة الصبا– هاته عالياً، هات النفيرَ على آخره»، (يمكن اختصار الأمر بالطبع إلى ما صدر لاحقاً تحت عنوان «السيرتان»، لكن تلك العناوين الطويلة كانت جزءاً من الفتنة). سرعان ما باتت السيرتان جزءاً من مفرداتنا ويومياتنا وسيَرنا، كنا نركض ونصرخ في الشوارع بأسماء وأمكنة شخصيات سليم بركات. الغريب أنها جاءت، هي البعيدة عنّا مسافة نحو ألف ميل إلى الشمال، مطابقة لمفردات حياتنا، ربما أكثر من مفردات درويش نفسه، حيث مخيمات الوحل والغبار والبنّائين والعتّالين. حين يعيد سليم بركات اليوم، في مقالته المبنية كنص إبداعيّ «محمود درويش وأنا» («القدس العربي–الأسبوعي» 06 حزيران 2020)، سرد سيرتهما التي تقع تقريباً بين صورتين، واحدة بالأبيض والأسود تعود إلى العام 1973 استعارها أخوه الأصغر «فحملها من بيروت إلى دمشق. اعتُقلتِ الصورةُ، واختفت حتى يومنا هذا»، وصورة ملونة أخرى وصلتْه على الانترنت، من مشهد لقاء جمع الشاعرين «بجمهورٍ في السويد. صورةٌ ملونةٌ هي الثانيةُ أرانا فيها جنباً إلى جنب»، فهو لا يقول سوى ما يعرفه القارئ المتابع، على الأقل لتجربة درويش وسيرته، وسيرة بركات جزء منها، حيث «ذاكرة للنسيان» وحصار بيروت، وتجربة العمل الصحافي–الثقافي، القصائد المتبادلة، قصيدة محمود درويش المهداة إلى بركات «ليس للكردي إلا الريح»، وتلك التي تصف بيته في السويد «في سكوغوس»، والقصيدة المقابلة «محمود درويش: مجازفة تصويرية». النافر الوحيد في المقال هو حكاية الابنة المزعومة، إذ يقول بركات «ألقى عليّ، في العام 1990، في بيتي بنيقوسيا ـ قبرص، سرًّا لا يعنيه. كلُّ سرٍّ يعني صاحبَه، لكن ذلك السرَّ لم يكن يعني محموداً. باح به بتساهُلٍ لا تساهلَ بعده». ثم أضاف قولَ الشاعر «لي طفلة. أنا أبٌ. لكن لا شيء فيَّ يشدُّني إلى أبوَّة». أقصى ما يبوح به الشاعر السوري من الحكاية قوله: «محمود لم يسأل المرأةَ، حين انحسر اعترافُها، وانحسرتْ مبتعدةً في العلاقة العابرةِ، عن ابنته. أبوَّتُه ظلَّتْ تبليغاً موجَزاً من صوتٍ في الهاتف عن ابنةٍ لم تستطع العبورَ من صوتِ أمها إلى سمع أبيها».

يضيف الشاعر السوري الكردي، الذي عمل سنوات إلى جانب درويش في مجلة «الكرمل»: «أنا لم أسأله مَنْ تكون أمُّ طفلته. امرأة متزوجةٌ، صارحتْه المرأةُ مرتين، ثلاثاً، في الهاتف بابنته، ثم آثرتْ إبقاءَ ابنتها أملَ زوجها». ويختم «محمود لم يسأل المرأةَ، حين انحسر اعترافُها، وانحسرتْ مبتعدةً في العلاقة العابرةِ، عن ابنته. أبوَّتُه ظلَّتْ تبليغاً موجَزاً من صوتٍ في الهاتف عن ابنةٍ لم تستطع العبورَ من صوتِ أمها إلى سمع أبيها».

واضح أن مسوّغ بركات لحكاية الابنة المزعومة هو حديث الأبوة، أبوّة درويش الممنوحة لسليم، ومن ثم لقاء درويش مع ابن الأخير: «في اللقاء الأخير على بوابة الشمال الأخير من أطلس العالم، جَمَعَنا عشاءٌ… همس وهو ينظر إلى ابني- ابن السابعة عشرة: كسبتُ صداقةً جديدة. ابتسمتُ. كان أجدى لو قال: ها التقيتُ حفيدي».

هنا، عند الحكاية/ السرّ، كان بإمكان الجميع أن يتغافلوا عن الأمر، إذ ما الذي يعنيهم الآن من اكتشاف ابنة للشاعر؟ هل يبدّل ذلك من قيمةً نصوصه الشعرية التي لطالما تغنينا بها جميعاً؟ هل يخفف من نضاليته في سبيل القضية التي بات أحد رموزها؟ ثم أليس من الشائع أن للشاعر معجبات وعاشقات أكثر مما يحتمل قلب شاعر، جميلات تمتلئ بهن القصائد؟ هل لدى أي منّا أمل بأن يرث نجل الشاعر، إن وجد، مكانته الأدبية ورمزيته؟ إذاً بإمكان القارئ أن يقفز عن الحكاية ليقول وما شأني أنا، ما شأننا جميعاً بذلك! أم أنه الفضول للصورة التي يمكن أن تكون عليها ابنة شاعرنا الأحب! قد يفيد أيضاً تذكّر جواب الشاعر في مقابلات صحافية بخصوص الإنجاب، ما معناه «ماذا لو أنجبت ولداً فظاً!»، ولعلّه كان يحاول بذلك دفع الفضول والإلحاح الصحافي.

كان بالإمكان التسامح مع الحكاية الفائضة في نص بركات لو كانت من دون أي مفاعيل على الأرض، لكن على الفور ظهر من يدفع إلى تصوّر حال البنت، إذ يقول الكاتب السوري الكردي هوشنك أوسي: «لا أحد فكّر في تلك الفتاة التي أصبحت الآن صبيّة. لا أحد فكّر في استمرار معاناتها، وخوفها من الجهر بحقيقة أبيها. لا أحد فكّر بألم ومعاناة تلك المرأة التي من فرط افتتانها بدرويش نامت معه وهي على ذمّة رجل، وقابل الشاعر الكبير ذلك الكرم من تلك السيّدة، بتجاهله ابنته. بدلاً من الالتفاتة إلى الأمّ وابنتها، الكلّ سارع إلى التكذيب وإنقاذ درويش وكأنّه يشارف على الغرق! وكأنّه مدان أو في خانة قفص الاتهام! الحقّ أنه ليس بركات من وضع صديقه في خانة الاتهام، بل الذين نصّبوا أنفسهم محامي دفاع، وترافعوا عنه، عبر النفي والتنكيل ببركات، بتلك الطريقة الشعبويّة الهزليّة».

كذلك تكتب الإعلامية اللبنانية ديانا مقلد «عند الغيارى على درويش «القضية»/ القصة هي إثارة السرّ وكشف الخصوصية، ولا بأس في أن تحصل هذه القصة ومثيلات لها لكن لتكن بالسرّ! قلّة تكاد تكون معدومة توقفت عند الحقيقة المفجعة الوحيدة في هذه الحكاية، وهي الفتاة التي تملّص درويش من أبوتها (بحسب رواية الصديق)، والمرأة التي عليها أن تدفع بصمت ثمن علاقة يظهر فيها «الشاعر» موضع الرومانسي فيما تبدو المرأة (الأم والابنة معا) في موضع الملوث لتاريخ الأيقونة».

الناشر السوري فايز علام يستعيد حكاية الابنة التي تخلّى عنها الشاعر الشهير بابلو نيرودا، كما وردت في رواية «مالفا»، إذ يكتفي الناشر الشاب بعبارة على لسان الابنة: «كل لحظة من وقته ينفقها من أجل إنقاذ حياتي هي لحظة ضائعة من الأدب والخلود». كأن العبارة المريرة تريد أن تكون جواباً يقول بأهمية حياة الناس إزاء كل ما سواها من قضايا.

إذاً فإن الحكاية ومتاعبها لا تنفع لتزجية الوقت، ولا يجب الانصياع إلى مشجعي نشر السير الذاتية كنصوص موازية للنص الأدبي، والقائلين إن بإمكانها أن تضيء وتفسر وتحسم مقاصد النص، على صحة وضرورة كل ذلك. فهناك ما سيبنى على الحكاية في حال صحتها. من أبسطها مسائل الإرث الشائكة. إننا نعيش اليوم في زمن الكلّ ينبش فيه القبور، والكلّ يريد أن يحاكِم الكلّ بمفعول رجعي، ولا أدلّ على ذلك حين نشاهد تحطيم تماثيل مشاهير بسبب اكتشاف أقوال عنصرية في سيرهم الذاتية.

رغم مصداقية سليم بركات، وقربه وحبه للشاعر الراحل، لا نستطيع أن نسلّم بروايته، هذه التي تحتاج، حتى مع وجود أطراف القضية، إلى جهد قضائي كبير لإثباتها. كما حدث في حكاية الفنان التشكيلي المصري البارز عادل السيوي، وفي إنكار الفنان اللبناني زياد رحباني لولد يحمل اسم أبيه بعد أن بلغ سنّ الشباب. وفي الحالتين لم يكن من السهل إثبات الادعاءات أو نفيها إلا أمام المحاكم مع إجراءات عسيرة، رغم وجود مختلف الأطراف على قيد الحياة. فما بالك هنا أمام «أب» غائب، وأم وابنة مجهولتين أو مخترعتين للتو!

كما أن قولاً بهذه الخطورة، مع انعدام التوثيق، لا يسوّغ لصحيفة كبرى أن تضع مانشيتاً عريضاً يقول «فضيحة ابنة محمود درويش هل تشوه صورته لدى جمهوره؟». هو أسوأ عنوان صحافي على الإطلاق بخصوص المقال، ومن المؤسف، فوق ذلك، أن من وضعه شاعر، أولاً لأن كلمة «فضيحة» تستجدي قراء الصحافة الصفراء، وثانياً لأن عبارة «ابنة محمود درويش» تحسم جدلاً بدأ للتوّ في ما يحتاج توثيقاً دقيقاً، ثم هل هي فضيحة «ابنة» محمود درويش فعلاً؟! وصولاً إلى السؤال الإيحائي، الذي يطمح، على ما يبدو، إلى تحريض القراء لاتخاذ اللازم: «هل تشوه صورته لدى جمهوره؟». ومع أن المانشيت يعكس لسان حال الكثيرين ممن تعاطوا على هذا النحو مع الخبر، إلا أن التبني «المطبوع» يحوّل الخبر إلى ما يشبه الحقيقة (معلوم أن بعض الأخبار لا يمكن اعتباره خبراً إلا إذا نشر في جريدة، بل إن هناك من يعرّف الخبر الصحافي بأنه ما ينشر في الجريدة، سوى ذلك سيظل مجرد ثرثرة مهما بلغ من القوة).

زلّة سليم بركات لم تورّط الشاعر الراحل ومحبيه فحسب، بل ورّطته هو بمواقف وآراء تجرأت على شخصيته قبل كتابته وموهبته. فأول وأبسط ردود الفعل جاء يكذّب حكاية الاعتراف الدرويشي من أساسه، ورغم أن بركات كتب نصاً مشغولاً في كل حرف ونَفَس فيه بحب صديقه الراحل، فقد كان سهلاً على البعض أخذه على محمل الانتقام (من دون أن يقول ممَ)، وفي معادل لطيف ومثقف للعبارة تحدث البعض عن محاولة لـ «قتل الأب»، وفي حالات كثيرة جرى الحديث عن تسلّق لاسم الشاعر الفلسطيني، كيف؟! والأخير نفسه قال كلاماً في صديقه الكردي لا يمكن أن تعثر على مديحٍ مثله لشاعر: «كان محمود مذهِلاً في تلقائيةِ اعترافه، بلا تحفُّظ من شاعرٍ كبيرٍ مثله، أنه جاهدَ كي لا يتأثر بيٍ». وفي سيرة الشاعرين ما يثبت صحة العبارة.

ثم جاءت ردود الفعل التي وجدت فرصتها في الانقضاض على لغة الشاعر وأسلوبه «المتكلف»، و«الثقيل»، بل و«الركيك»..! إن كنتم تثقون بمحمود درويش، رمزاً وشاعراً كبيراً، فكيف لا تثقون بذائقته التي انتخبت قصيدة سليم بركات ووضعتْها في مكانة رفيعة. لا شك أن نصوص الشاعر السوري ذي الأسلوبية الفريدة ليست سهلة المنال، قد تستهوي ذائقتنا أو لا، قد تطلق مخيلتنا أو لا، ولعلها لا تنسجم مع ميلنا لقراءة شعر سهل ناعس يستدرج النوم، لكن لا يمكن بأي حال القول بخوائها وانعدام موهبتها. بعض الآراء المجحفة لا تعكس نقصاً في الذائقة وحسب، إنما لا يمكن إطلاقها من دون قلّة ضمير.

لم يكن ينقص قضايانا وأزماتنا المستعصية الحارقة، على ما يقول كتاب جادّون، إلا خبر من هذا النوع اهتزّ له الجميع تقريباً، هم المشغولون بمصير الكوكب وأوطانهم على الأقل. كان بالإمكان حذف الخبر، تجاهله، الاستخفاف به، لكن ما دام بلغ هذا الحدّ من التناول والذيوع فلم يعد ممكناً عدم الخوض فيه. كتب الكثير، واستعيدت سير وحكايات شخصية وسياسية غابت عن البال، ومن المتوقع بطبيعة الحال أن تفرّخ القصص قصصاً وأساطير.

تويتر تعيد طرح «العلامة الزرقاء» للشخصيات العامة

لندن ـ «القدس العربي»:

يتحضر موقع «تويتر» لإعادة إطلاق عملية منح «العلامة الزرقاء» للشخصيات العامة، إلا أنه يفترض أن يكون للعملية الجديدة مبادئ توجيهية أكثر وضوحًا عندما يتعلق الأمر بمن يعد مؤهلا للتحقق والحصول على العلامة الزرقاء، وبعد أن كان المعيار غامضًا إلى حد ما من قبل.

وعرضت جين وونغ المتخصصة في الهندسة العكسية عبر حسابها الرسمي على منصة تويتر، لقطة شاشة لقائمة إعدادات محدثة تتضمن خيار «طلب التحقق» وهناك قسم جديد في قائمة الحساب في الإعدادات يسمى «المعلومات الشخصية» الذي يعرض «الملف الشخصي» و «طلب التحقق».

وأكدت منصة تويتر المعلومات، إذ قالت إنها ستكشف «بشكل علني عن الحسابات المؤهلة للحصول على العلامة الزرقاء» وذلك بعد أن كانت قوانين التحقق في تويتر داخلية كليًا، حيث يمكن لأي شخص تقديم طلب التحقق، لكن لم يتم تحديد القوانين الفعلية لتويتر بشكل واضح أبدًا، ولم يكن من الواضح ما هو الإطار الذي تحدد بناءً عليه تويتر من تقدم لهم العلامة الزرقاء ومن ترفض إعطاءهم إياها.

وتعرضت آلية تويتر لهجوم عنيف في عام 2017 عندما اكتشف النقاد حصول جيسون كيسلر، منظم مسيرة التفوق الأبيض في شارلوتسفيل على العلامة الزرقاء، وحاولت المنصة شرح أن نظامها يعطي العلامة الزرقاء لحسابات المصلحة العامة، لكن النقاد جادلوا بأن كيسلر ليس شخصية يجب منحها هكذا خاصيات.

وقالت تويتر إنها ستوقف «عمليات التحقق مؤقتًا بينما نكتشف كيفية إصلاح النظام» كما أنها سحبت نموذج الإرسال العام الذي سمح للمستخدمين بطلب التحقق أثناء إعادة تفكيرها في كيفية عمله، وقلصت المنصة من عمليات التحقق بشكل كبير، مما يعني أنه لا يمكن لأي شخص التقدم بطلب للحصول على العلامة الزرقاء.

وبالرغم من أن تويتر قد منحت العلامة الزرقاء خلال الفترة الماضية للمسؤولين الصحيين أثناء انتشار وباء كورونا، إلا أنها لا تقدم الخيار للمستخدمين الفرديين، ولكن بعد ما يقرب من ثلاث سنوات على توقفها يبدو أن المنصة تعيد طرح الميزة من جديد، وهي الميزة الأكثر طلبًا إلى جانب زر تعديل التغريدات. وأوضحت الشركة أن النتائج التي توصلت إليها وونغ تظهر الخيار القادم لطلب التحقق، لكنها لم توضح موعد تشغيل النظام الجديد أو ما الذي ستتضمنه الإرشادات الجديدة عندما تصبح متاحة، وغالبًا ما يتم انتقاد الشركة بسبب كيفية تطبيق قواعدها، سواء حول حظر أو معاقبة الحسابات التي تخرق شروط الخدمة.

فيسبوك تطلق قسم «الأخبار» بشكل تجريبي في الولايات المتحدة

لندن ـ «القدس العربي»:

أطلقت فيسبوك «قسم الأخبار» الذي تم تجديده لجميع المستخدمين في الولايات المتحدة، ويتضمن إطلاق قسم إخباري محلي مخصص من بين مواضيع أخرى، من ضمنها قسم خاص بجورج فلويد، ولا يمكن في الوقت الحالي العثور على علامة التبويب إلا عبر الهاتف المحمول فقط، وذلك من خلال النقر على القائمة واختيار مشاهدة المزيد، والتنقل عبر عدد قليل من الأقسام الأخرى.

ويعتبر الكثيرون أن هذه المنصة مثيرة للجدل وهدفها جذب الناشرين إلى الموقع، مع وعود بأن ترفع مستوى التوزيع. تم اختبار هذا القسم المجدد في تشرين الأول/ أكتوبر الماضي كاختبار محدود في الولايات المتحدة، وقالت فيسبوك في ذلك الوقت إنها ستدفع للناشرين المشاركين.

وتحدد الشركة عبر قسم الأسئلة الشائعة، استراتيجيتها التحريرية، التي من ضمنها الناشرون الذين تقرر الترويج لهم، والمقاييس التي تستخدمها لاختيار القصص من منفذ إعلامي. وتوظف الشركة فريقًا بشريًا للقيام بذلك، وحسب موقع «آي أي تي» التقني: «تتحقق فيسبوك من المصادر من خلال جهد جديد يسمى فهرس صفحات الأخبار، ويوضح قسم الأسئلة الشائعة أن الفريق يتسم بالشفافية بشأن الإرشادات المتبعة، ويتخذ خيارات تنظيمية بشكل مستقل، وليس بتوجيه من فيسبوك أو الناشرين أو المعلنين».

وأضاف الموقع: «توضح عملاقة التواصل الاجتماعي أنها تعتمد على جهات التحقق الحالية التابعة لجهات خارجية، التي تساعدها في التحقق من محتوى فيروس كورونا المستجد والموضوعات الحساسة الأخرى، مع استخدام أدوات الإشراف نفسها التي تستخدمها لمراقبة محتوى النقرات والمحتوى المثير، والمواد التي تنتهك حقوق الطبع والنشر». وتقول فيسبوك: «إن الناشر بحاجة إلى جمهور كبير، بما فيه الكفاية للتأهل كواحد من الناشرين المشاركين، إلى جانب تلبية معايير النزاهة في الشركة» وتحاول فيسبوك جعل الأخبار المحلية ركيزة لقسمها الجديد، وتقول الشركة: إنها دخلت «في شراكة مع آلاف المنافذ الإخبارية المحلية» وإنها تركز «بشكل أكبر على محاولة تقديم الأخبار العامة والوطنية».

وساهم النشاط التجاري الإعلاني عبر فيسبوك وخوارزمية الأخبار في زيادة المشاكل المالية لقطاع الصحافة التقليدية، مع تحول الناس بشكل متزايد إلى الشبكات الاجتماعية للحصول على المعلومات.

علوم وتكنولوجيا

شركة «آي بي إم» تنسحب من سوق تقنيات التعرف على الوجه

لندن – «القدس العربي»:

أوقفت شركة «آي بي إم» للتكنولوجيا تطوير تقنيات التعرف على الوجه وانسحبت من هذا السوق في حين تتزايد المطالبات بإجراء حوار وطني في الولايات المتحدة، حول الاستخدامات العنصرية للشرطة لهذه التكنولوجيا، إلا جانب التدقيق المتزايد لعقود الشركة مع الشرطة وسط حملات القمع العنيفة للاحتجاجات السلمية في أمريكا. وتوقفت الشركة عن تقديم برامج التعرف على الوجه من أجل المراقبة الجماعية أو التنميط العرقي، وقال إن أنظمة الذكاء الاصطناعي المستخدمة في هذه التكنولوجيا تحتاج إلى اختبار للتحيز.

وحثت الشركة على استخدام التكنولوجيا التي من شأنها تحقيق قدر أكبر من الشفافية، مثل كاميرات الجسم وتحليلات البيانات، بدلاً من الاعتماد على تقنية التعرف على الوجه التي قد تكون متحيزة.

وشرح الرئيس التنفيذي للشركة آرفيند كريشنا، في رسالة عامة إلى الكونغرس قرار الشركة بالتراجع عن العمل، معلناً عن آخرون، للمراقبة الجماعية والتنميط العنصري وانتهاكات حقوق الإنسان والحريات الأساسية أو أي أغراض، لا تتوافق مع قيمنا ومبادئنا.»

وأضاف: «نعتقد الآن أنه الوقت المناسب لبدء حوار وطني حول ما إذا كان ينبغي استخدام تكنولوجيا التعرف على الوجه من قبل وكالات تطبيق القانون المحلية وكيف» إلا أن الكثيرين يشككون من مصداقية خطوة آي بي إم، مشيرين إلى أن الشركة كانت الثالثة في سباق بيع تقنية التعرف على الوجه. وتحتفظ الشركة بالحق في بيع تقنية التعرف على الوجه لأغراض محددة، بالإضافة إلى حقها في التكنولوجيا التي باعتها للشركات الأخرى كجزء من أعمالها الاستشارية الكبيرة.

وأشار موقع «آي أي تي» التقني أنه «لا يزال بيان آي بي إم هو الأقوى حتى الآن من شركات التكنولوجيا الكبرى ضد إساءة استخدام خدمات التعرف على الوجه، التي أثارت الذعر بين مجتمعات الحقوق المدنية لقدرتها على تتبع السكان بصمت.»

ومع تطور الذكاء الاصطناعي، شهدت تقنيات التعرف على الوجه، بطبيعة الحال، تقدما كبيرا، ومع ذلك تم اثبات أنها تتضمن تحيزات عرقية، ما قد يجعل منها أداة غير موثوقة لدعم قوات الأمن والشرطة، خاصة أن الأخيرة تعد عنصرية في العديد من البلدان، ما يجعل هذه التقنيات تستخدم في الانتهاكات المحتملة للحقوق المدنية.

وكشف بحث صادر في عام 2018 عن مدى انحياز العديد من أنظمة التعرف على الوجه التجارية، التي من ضمنها أنظمة آي بي إم، وأدى هذا البحث والدراسات اللاحقة إلى ظهور انتقادات لهذه الخوارزميات والمحاولات المستمرة لتصحيح التحيز. ووجدت دراسة أجريت عام 2019 أن أدوات التعرف على الوجه من مايكروسوفت وأمازون وآي بي إم لم تكن دقيقة بنسبة 100في المئة عندما يتعلق الأمر بالتعرف على الرجال والنساء ذوي البشرة الداكنة. واقترحت دراسة من المعهد الوطني الأمريكي للمعايير والتكنولوجيا أن خوارزميات التعرف على الوجه كانت أقل دقة في تحديد الوجوه الأمريكية الأفريقية والآسيوية مقارنة بالوجوه القوقازية. وحاولت آي بي إم المساعدة في قضية تحيز تقنية التعرف على الوجه، حيث أصدرت مجموعة بيانات عامة في 2018 مصممة للمساعدة في تقليل التحيز كجزء من بيانات التدريب لنموذج التعرف على الوجه.

آي أو إس 14 المرتقب سيتضمن خاصية لتسجيل المكالمات الهاتفية

لندن – «القدس العربي»:

كشفت صورة لإصدار آي أو إس 14 المرتقب من نظام آي أو إس المُشغِّل لهواتف آيفون الذكية أنه سيأتي مع دعم أصيل لتسجيل المكالمات لكل من المكالمات الهاتفية، ومكالمات خدمة فيس تايم. وتأتي الخاصية مع رسالة تُذكّر المستخدم بأن تفعيلها سيسمح بتسجيل جميع المكالمات الواردة والصادرة في الجهاز، كما أنها تطلب من المستخدم الموافقة على تحمل مسؤولية إعلام جميع أطراف المكالمات بأنها تُسجَّل، والموافقة على تحمل التبعات القانونية وراء ذلك. كما تطلب الموافقة على عدم السماح لأي شخص باستخدام الهاتف أثناء تفعيل الميزة. ولا يزال من غير الواضح هل سيكون تسجيل المكالمات متاحًا في جميع الدول حيث إن بعض البلدان لديها لوائح أكثر صرامة في هذا الشأن، ولا يُسمح بتسجيل المكالمات من قبل المستخدمين.

ويُشار إلى أنه يُنتظر أن تُعلن آبل عن نظام آي أو إس 14 خلال مؤتمر المطورين السنوي دبليو دبليو دي سي 2020 المقرر في 22 حزيران/يونيو الجاري، وسيكون متاحًا لجميع هواتف آيفون التي تعمل حاليًا بنظام آي أو إس 13.

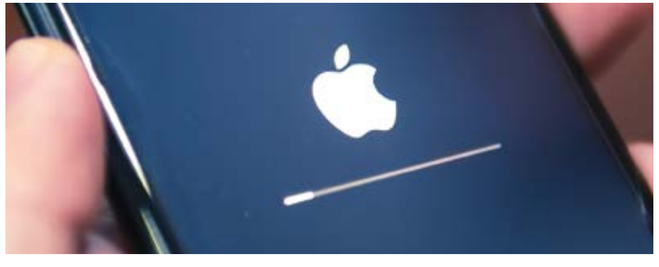

هواوي تطلق هاتفها الأحدث «هواوي بي سمارت إس»

لندن – «القدس العربي»:

أعلنت شركة هواوي عن إصدار هاتف ذكي جديد اسمه هواوي بي سمارت إس. ويتضمن الهاتف الجديد معالجًا من نوع «كيرين 710إف» وذاكرة وصول عشوائي (رام) بحجم 4 غيغابايت، وذاكرة تخزين داخلية بسعة 128 غيغابايت، مع إمكانية التوسعة عن طريق بطاقات الذاكرة الخارجية «إن أم كارد».

ويتضمن «هواوي بي سمارت إس» واجهة المستخدم «إي إم يو أي 10.1 القائمة على نظام التشغيل أندرويد 10 ولكن من دون خدمات غوغل المحمولة، مما يعني أن على المستخدم الاعتماد على خدمات هواوي إتش إم إس وخدمة آب غاليري لتنزيل التطبيقات.

ويأتي الهاتف بشاشة أو ليد بقياس 6.3 بوصات وبدقة إف إتش دي+ مع حساس بصمة تحتها، وقطع للكاميرا الأمامية التي تأتي بدقة 16 ميغابكسل. وعلى ظهر الهاتف، هناك 3 كاميرات بدقة 48 ميغابكسل، وبدقة 8 ميغابكسل للثانية المخصصة للتصوير الفائق العرض بزاوية 120 درجة، وبدقة 2 ميغابكسل للثالثة المخصصة لتصوير العمق.

ويحتوي الهاتف بطارية بسعة 4.000 ميلي أمبير/الساعة، مع دعم الشحن باستطاعة 10 واط عن طريق منفذ يو إس بس–سي. ويُشار إلى أن شركة هواوي كانت قد أطلقت هاتف «إنجوي 10إس» العام الماضي في الصين بالمواصفات ذاتها لهاتف هواوي بي سمارت إس.

آليات جديدة تسمح بتطوير خرائط عالية الجودة للمدن الأثرية بدون التنقيب عنها

لندن – «القدس العربي»:

في حين تعد المدن الرومانية القديمة إحدى أهم الأسس التي يعتمد عليها باحثو الآثار لفهم التاريخ الروماني، إلا أنه نظراً لحجمها، يصعب عليهم التنقيب عنها بالكامل، ولذلك تم تطوير تقنية لرسم خرائط عالية الدقة للمدن من دون التنقيب عنها عبر «رادار قياس الأرض» حسب مجلة «سايننتفك أميركان».

وأشارت المجلة إلى أنه «توفر هذه التقنية تفصيلات عالية الدقة، ما يسهل فهم أنماط الاستيطان البشري القديمة، وكيفية تطور المدينة على مدى مئات السنوات». وبناء على هذه التقنية، توصل فريق من الباحثين من جامعتي كامبردج البريطانية و«خنت» البلجيكية، في دراسة نشرتها دورية «أنتيكوتي» المتخصصة في علم الآثار، مجمع حمامات، وسوقاً، ومعبدًا، ونصبًا تذكاريًا فريدًا من نوعه.

وأشارت المجلة: «كما امتازت الهندسة العمرانية الرومانية بشبكات الطرق الجيدة، واكتشف الباحثون شبكة مترامية الأطراف من أنابيب المياه في الموقع المدروس في مدينة فاليري نوفي التي تبعد حوالي 50 كيلومترًا شمالي العاصمة الإيطالية روما، ويعود تاريخ الاستيطان البشري في المدينة إلى الفترة بين عام 241 قبل الميلاد وعام 700 ميلادي».

وقال مارتن ميليت، أستاذ علم الآثار في جامعة كامبردج، والباحث الرئيسي في الدراسة: «إن الدراسة اعتمدت على رادار هوائي يرسل إشارة راديوية نابضة إلى الأرض ويستمع إلى ترددات، ويستقبل النظام الحاسوبي الذي ابتكره باحثو جامعة خنت هذه الإشارات لتحليلها وترجمتها إلى أنماط تضاريس». وأوضح ميليت في تصريحات لـ«سايننتفك أميركان» أن «النظام يسجل الموقع الدقيق لبناء صورة مركبة، مع قراءة واحدة كل 12.5 سم، وكل 6.5 سم في بعض المواضع على مساحة 30 فدانًا داخل أسوار المدينة التي مسحها الباحثون. تتناسب الترددات مع العمق حتى يمكن للبرنامج تحديد الموجود في أعماق مختلفة في التربة. ينتج عن ذلك الكثير من البيانات (28 مليار نقطة بيانات) لذا فإن كلمة السر في العملية هذه تكمن في سعة البرامج والكمبيوتر المستخدم».

وترجع أهمية استخدام تقنية «رادار قياس الأرض» إلى أنها جعلت من الممكن استكشاف مناطق أكبر بدقة أعلى، كما أن لها آثارًا كبيرة على دراسة المدن القديمة التي يتعذر التنقيب عنها؛ إما لأنها كبيرة أو لأنها مدفونة تحت المدن الحديثة.

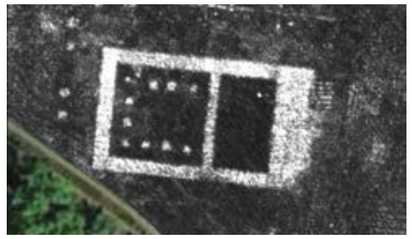

وتتحدى الدراسة بعض الافتراضات الموجودة حول التصميم الحضري الروماني، مما يدل على أن «تخطيط المدينة كان مختلفًا عن المدن الأخرى المدروسة جيدًا، مثل مدينة بومبي. كما اتسمت المباني المكتشَفة في المدينة –مثل المعبد والسوق–بكونها أكثر تفصيلًا هندسيًا مما هو متوقع في مدينة صغيرة. وكشف استخدام هذه التقنية داخل أسوار المدينة في المنطقة الجنوبية عن مبنى كبير مستطيل متصل بسلسلة من أنابيب المياه التي تؤدي إلى القناة الرئيسية».

وأشار الباحث إلى أنه «أمكن تتبُّع هذه الأنابيب عبر جزء كبير من المدينة متضمنًا تحت المباني، وليس فقط على طول الشوارع». وتابع أنه» وفريقه يعتقدون أن «هذا المبنى كان عبارة عن مسبح في الهواء الطلق يشكل جزءًا من مجمع استحمام عام كبير».

كما رصد الفريق بالقرب من البوابة الشمالية للمدينة زوجًا من المباني الكبيرة المتقابلة داخل ممر مغطى مع صف مركزي من الأعمدة، وهو ما يعتقد الباحثون أنه كان جزءًا من نصب تذكاري عام.

وقال ميليت: «أكثر ما أثار اهتمامي بخصوص نتائج الدراسة، التفاصيل والدقة العالية التي خرجت عليها الخرائط والصور، لقد طبقنا هذه التقنية على مدن في إيطاليا وإنكلترا، ونتطلع إلى استخدامها لدراسة مدن أخرى في اليونان وتركيا وليبيا».

البنغول المهدد بالانقراض

تعتبر هذه الثدييات من أكبر الضحايا لعمليات التجارة غير الشرعية

لا توجد تقديرات موثوقة لعدده في العالم وقد لوحظ انخفاض كبير على الصعيد المحلي

سلوكه

- ليلي ومنعزل
- يحفر الجحور الطويلة لمطاردة النمل الأبيض وللاختباء
- يمكنه تسلق الأشجار
- ماهرٌ في السباحة
- يأكل النمليات والنمل الأبيض

خراشيفه

- مصنوعة من الكيراتين، وهي جزيئات موجودة في شعر الإنسان وأظافره
- مطلوب في السوق السوداء لفوائد طبية مزعومة

كيف يدافع عن نفسه؟

- يلف نفسه على شكل كرة
- من السهل اصطياده لبيعه لحمه بطريقة غير شرعية أو لاستخدامه في مجال الأدوية

عمليات الإتجار

- زيادة الصيد غير القانوني لهذا الحيوان لارتفاع الطلب على أكل لحمه وأجزاء معينة منه
- يُعتقد أن أكثر من مليون من حيوانات البنغول تم اصطيادها بطريقة غير شرعية في البرية في العقد الماضي

حظرت منظمة «سايتس*» الإتجار بالبنغول عالميا في سبتمبر 2016

هناك 8 أنواع من حيوان البنغول في العالم

4 أنواع آسيوية
مهددة بشدة بالانقراض
الصيني
الماليزي
معرضة للانقراض
الهندي
الفيليبيني

4 أنواع إفريقية
معرضة للخطر
بنغول بخراشيف صغيرة
البنغول العملاق
بنغول الأرض
بنغول بذيل طويل

يتنقل صغير البنغول على ذيل أمه

المصادر: اتفاقية التجارة الدولية بأنواع الحيوانات والنباتات البرية المهددة بالانقراض/pangolins.org/الاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة/savepangolins.org

*اتفاقية التجارة الدولية بأنواع الحيوانات والنباتات البرية المهددة بالانقراض

AFP ©

اقتصاد

منتجو الغاز المسال يحلمون بالجنرال ثلج

الغاز المسال في ليتوانيا

إبراهيم نوار

على الرغم من التعافي النسبي في سوق النفط الخام، ما تزال أسواق الخام المسال في العالم تعاني من انخفاض الطلب وتدني الأسعار. وتتراوح التقديرات من الآن وحتى صيف العام المقبل بين استمرار ركود الطلب، إلى التعافي المحدود لأسباب موسمية خصوصا في فصل الشتاء. إذا زادت حدة البرد في شتاء العام الحالي، فإن ذلك قد يدفع الطلب على الغاز المسال إلى أعلى بنحو 5 ملايين طن مقارنة بشتاء العام الماضي أي بنسبة 4.5 في المئة تقريبا. ولذلك فإن منتجي الغاز المسال يحلمون في الصيف بغزوة يشنها الجنرال ثلج على نصف الكرة الأرضية الشمالي في شتاء هذا العام.

ويتفق خبراء أسواق الغاز على أن الطلب على الغاز المسال وليس الطبيعي، هو محرك الأسعار في السوق، نظرا لما يتمتع به من مرونة الاستجابة لمتغيرات السوق على عكس الغاز الطبيعي. وتتأثر أسواق الغاز في الوقت الحاضر بعدد من العوامل التي تضغط جميعها تقريبا على مستويات الأسعار إلى أدنى. ومن أهم هذه العوامل انكماش الاقتصاد العالمي الناتج عن الإجراءات الاحترازية لمكافحة وباء كورونا، وما سبق ذلك من ركود عالمي، وانخفاض أسعار الغاز الطبيعي الروسي، والوفرة الكبيرة في إمدادات الغاز الأطلنطي للغاز المسال الأمريكي الذي يريد أن يحصل على حصة كبيرة من السوق الأوروبية، وزيادة المخزونات في محطات استقبال الغاز المسال الثابتة والعائمة، الذي يحد من قدرتها على استقبال شحنات جديدة.

وكان الطلب العالمي على الغاز المسال في العام 2019 قد سجل ارتفاعا بنسبة 12.5 في المئة حسب تقديرات شركة شل العالمية، أحد أكبر اللاعبين في عمليات إنتاج الغاز المسال وتجارته. وعزت شل هذه الزيادة الكبيرة في الطلب إلى زيادة الاستهلاك في أوروبا نتيجة التحول في تشغيل محطات توليد الطاقة من الفحم إلى الغاز لاعتبارات بيئية، حيث يتم إخراج المحطات العاملة بالفحم من الخدمة نهائيا، وتقام بدلا منها محطات أحدث تعمل بالغاز. كذلك فإن انخفاض الإنتاج المحلي من الغاز في أوروبا أسهم أيضا في زيادة استيراد الغاز المسال الرخيص القادم من الولايات المتحدة، الذي تحصل عليه أوروبا بمعدلات خصم تجعله أكثر تنافسية مع الغاز الطبيعي الروسي الذي يوفر لأوروبا أكثر من ثلث احتياجاتها من الغاز اللازم لأغراض الاستهلاك المختلفة مثل تشغيل محطات الكهرباء والصناعة والاستهلاك المنزلي ووقود التدفئة.

وتقدم شل رؤية متفائلة على الغاز المسال، وتتوقع أن يتضاعف خلال السنوات العشرين المقبلة ليصل إلى 700 مليون طن مقابل 359 مليون طن في العام الماضي. وفي إطار هذه الرؤية تتوقع شل أن يتوازن سوق الغاز المسال في الأجل القصير بسبب التوقف عن تنفيذ استثمارات جديدة، وإبطاء الجدول الزمني لتنفيذ استثمارات بدأ تنفيذها بالفعل، وذلك بسبب الضغوط المالية التي تعاني منها الشركات المنتجة، وانخفاض أرباحها بشدة خلال الربع الأول من العام الحالي.

هذا التقدير المتفائل الذي تقدمه شل يقلل من أهمية التحول إلى مصادر الطاقة المتجددة في سلة توليد الطاقة وبرامج (الطاقة الخضراء) في الدول الصناعية المتقدمة، خصوصا في دول الاتحاد الأوروبي، وكذلك التحول السريع إلى توليد الطاقة عن طريق المحطات النووية كما هو الحال في كل من اليابان وكوريا الجنوبية.

وعلى العكس من شل فإن وكالة الطاقة الدولية تقدم تقديرات متباينة لاتجاهات الطلب على الغاز المسال، خصوصا في الأجل القصير. وطبقا لتقرير الوكالة الأخير الصادر هذا الشهر، فإن الانخفاض في الطلب العالمي يبلغ حاليا 4 في المئة ومن المتوقع أن يستمر حتى نهاية العام، على أن يبدأ التعافي التدريجي للسوق في العام المقبل. لكن امتداد تأثير وباء كورونا على الاقتصاد العالمي سيجعل التعافي هشا ومحدودا وليس من المتوقع أن تعود الأسعار في العام 2021 إلى ما كانت عليه قبل أزمة كورونا. الوكالة توضح أن الطلب في الدول الصناعية الناشئة مثل الهند والصين سيكون أقوى بكثير من الطلب في الدول الصناعية المتقدمة. وتقدر أن الدول الصناعية في أوروبا وأمريكا الشمالية وأوراسيا ستكون مسؤولة عن 75 في المئة من الانخفاض في الطلب العالمي على الغاز المسال، خصوصا بتأثير قطاع توليد الكهرباء، الذي سيكون وحده مسؤولا عن نصف الانخفاض في الطلب، تليه قطاعات الاستهلاك المنزلي والصناعي.

اتجاه الأسعار

وجاء في تقرير وكالة الطاقة الدولية، أن ارتفاع الطلب العالمي على الغاز المسال بعد العام 2021 سيتوقف على كل من الصين والهند، وهما الدولتان اللتان ستقودان اتجاه الأسعار في سوق الغاز المسال في آسيا والعالم.

وتتفق مؤسسة وود ماكينزي الاستشارية المتخصصة في أسواق الطاقة مع تقديرات وكالة الطاقة الدولية إلى حد كبير، من حيث ضعف الطلب على الغاز المسال في الأجل القصير، والتعافي التدريجي البطيء في الأجل المتوسط بعد عام 2021.

وتتوقع المؤسسة حدوث انكماش في سوق الغاز المسال في صيف العام الحالي بسبب وفرة العرض، وارتفاع مستوى المخزون إلى ما يقرب من 90 في المئة من قدرة محطات تخزين وتوزيع الغاز المسال، إضافة إلى ضعف الطلب الناتج عن الأثر السلبي المزدوج لأسباب فصلية واقتصادية نتيجة استمرار أثر الإغلاق الاقتصادي لفترة من الوقت.

وعلى أساس هذه المعطيات، تتوقع ماكينزي انخفاض الطلب العالمي على الغاز المسال هذا الصيف بمقدار 3 ملايين طن تقريبا عن صيف العام الماضي، ليسجل أول انكماش منذ 8 سنوات، لكن الطلب على وقود التدفئة، وظهور بوادر التعافي الاقتصادي، فإن الطلب سيرتفع بحوالي 5 ملايين طن مقارنة بالشتاء الماضي. هذا التقدير سيتوقف على طبيعة الطقس في النصف الشمالي من الأرض، كما سيتوقف أيضا على كميات السحب من مخزون الغاز المسال لدى الدول المستهلكة المستوردة، مثل اليابان وكوريا في آسيا وألمانيا وإسبانيا في أوروبا. في اليابان سجل الطلب على الغاز انخفاضا خلال الربع الأول من العام الحالي، كما استمرت الواردات في الانخفاض خلال نيسان/ أبريل، ومن المتوقع أن يسجل الطلب في نهاية الربع الثاني من العام تراجعا سنويا بنسبة 3 في المئة وهو ما يثير الشكوك حول قدرة اليابان على المساهمة في تعافي الطلب العالمي في النصف الثاني من العام.

تعافي القطاع الصناعي

أما بالنسبة للصين، فإن تعافي القطاع الصناعي يقود الطلب على الغاز بشكل عام. لكن عوامل ضعف الأسعار في السوق الفورية للغاز المسال، وتنوع الإمدادات من روسيا والولايات المتحدة والشرق الأوسط، ساعدت الصين على تخفيض قيمة وارداتها من الغاز المسال، وكذلك تخفيض قيمة الواردات خلال الربع الأول من العام الحالي. ومن المتوقع أن يستمر الطلب في الارتفاع خلال الربع الثاني، لتصل كمية الواردات إلى 15 مليون طن، بزيادة سنوية نسبتها 12 في المئة.

الهند هي المحرك الثالث للطلب على الغاز المسال في العالم، وقد سجلت زيادة سنوية في الربع الأول من العام بنسبة 19 في المئة حسب تقديرات وود ماكينزي، لكن إجراءات الإغلاق الاقتصادي وتراجع الأنشطة بشكل عام في الربع الثاني حتى الآن من الموجح أن يؤدي إلى انخفاض الاستهلاك بنسبة 24 في المئة مقارنة بالربع الثاني من العام الماضي، بما يعادل 4 ملايين طن. كذلك فإن التقديرات بالنسبة للطلب في أوروبا في الربع الثاني من العام حتى نهاية الشهر الحالي لا تبدو مبشرة، رغم إنهاء إجراءات الإغلاق الاقتصادي جزئيا في الكثير من الدول الأوروبية. وقد رصدت مؤسسات التجارة وتتبع حركة الشحن، أن الشركات الأوروبية طلبت إلغاء أكثر من 20 شحنة من الغاز المسال من الولايات المتحدة، كان من المقرر تسليمها في حزيران/ يونيو الحالي. ومن المتوقع أن تعجز مراكز استقبال الغاز المسال الرئيسية في شمال غرب أوروبا عن استقبال كميات كبيرة من الإمدادات خلال الربع الثالث من العام الحالي بسبب زيادة المخزون وقلة السحب منه. وسوف يتوقف الطلب على مدى التعافي الاقتصادي، وطبيعة الظروف الجوية خلال فصل الشتاء.

وتتفق تقديرات بيوت تجارة الغاز ومؤسسات الاستشارات المتخصصة في أسواق الطاقة، على أن قوة تعافي الطلب العالمي على الغاز المسال لن تتحقق قبل النصف الثاني من العام المقبل. وهو ما يعني أن المستويات الحالية للأسعار التي تتراوح بين أقل من دولارين للمليون وحدة حرارية في مراكز التصدير في أمريكا الشمالية وأوروبا إلى ما يقرب من دولارين ونصف الدولار في آسيا، سوف تستمر في المتوسط أو ترتفع هامشيا، لمدة 12 شهرا تقريبا من الآن، وهو ما يمثل ضغطا على ميزانيات عدد من الدول العربية يمثل الغاز المسال المصدر الرئيسي أو أحد المصادر الرئيسية لتمويل ميزانياتها مثل قطر ومصر والجزائر وسلطنة عمان.

من «جمعة مشمشية» إلى «في المشمش» المشمش في فلسطين غذاء ورمز للهوية الوطنية

الناصرة – «القدس العربي»: وديع عواودة

في مثل هذه الأيام، نهايات أيار/مايو ومطلع حزيران/ يونيو، يبلغ موسم المشمش في فلسطين أوجه وهي ثمرة حلوة الشكل والمذاق ولها حضور غير قليل في الأمثال الشعبية والتراث، وهناك أنواع مختلفة من شجرة المشمش التي تطل علينا لفترة قصيرة وسرعان ما تختفي لـ «روحها الخفيفة» ومن هنا يقال «جمعة مشمشية» لوصف علاقات أو حالات عابرة. وتمتاز ثمرة المشمش بخصائص صحية كما يؤكد المهندس في الغذاء دكتور شربل حبيب لـ «القدس العربي» لافتا إلى أن هذه الثمرة الصفراء الحمراء اللون، تمتاز أيضا بنضجها في الوسط بين الصيف وبين الشتاء. موضحا أن هناك خمسة امتيازات صحية وغذائية للمشمش الذي ينضج ويتوفر لفترة قصيرة جدا يقال بالمجاز بالعامية «جمعة مشمشية». ومن امتيازات ثمرة المشمش المستخدم أيضا كمربى ومادة في الكعك وفي سلطات الفواكه أو في بعض وجبات السمك، احتوائها على فيتامينات ومعادن كثيرة مثل فيتامين «أ» «بي» و«سي» و«إي» ومعدن الحديد وبوتاس ونحاس وغيره. كذلك يقول إن المشمش قليل السعرات الحرارية والدهنيات ويحتوي على كمية هامة من المواد المضادة للأكسدة تساعد في مكافحة شيخوخة الخلايا. كما يشمل مواد طبيعية كثيرة تحمي من أمراض خطيرة كالسكري والقلب والسمنة. ويشير حبيب إلى أن المشمش يشتمل على منافع صحية للعيون لأن الفيتامينات الكامنة فيه تحمي العين من تراجع قوة رؤيتها خاصة في الليل، مثلما أن هناك مواد طبية فيه تحمي شبكة العين من مخاطر حقيقية. وتلفت المستشارة في الغذاء سهير سلمان منير أيضا إلى أن المشمش يحتوي على ألياف من شأنها أن تعادل 10في المئة من حاجة البشر لها يوميا خاصة تلك تساهم في إذابة الكوليسترول. هذا علاوة على منفعة المشمش بالنسبة للجهاز الهضمي وتزويد الجسم بمكروبات صحية طيبة مثلما أنه يساهم في خدمة البشرة والجلد. وعن ذلك تقول منير إن شيخوخة الجلد مردها عوامل كثيرة منها الشمس وتلويث الهواء ودخان السجائر والقمح، وكان على العائلة أن تقسم العمل بين أعضائها فاختاروا للغبية عملاً سهلاً هو جمع ثمار المشمش، ولسلفتها العمل الشاق في الحصاد لأنها أقدر عليه، وفي المساء سألت الأولى الثانية عن العمل في الحصاد فقالت: «أكل المشمش بدوش والحصيدة قصيدة» أي أنها سهلة كالغناء، فرفضت الأولى العودة إلى لقاط المشمش وقامت الدنيا ولم تقعدها قبل أن يستجيبوا لطلبها بالذهاب لـ «الحصيدة» وهكذا تورطت في العمل الشاق لغبائها ونجحت الذكية في استبدال عملها الشاق في الحصاد في عمل سهل هو لقاط المشمش.

ويقال في الأحاديث الشعبية الفلسطينية إنه إذا كان موسم الزيتون أبا المواسم، فإنّ موسمَ المشمش أبهجها، إذ تصفرُّ حبات المشمش تباعا، فيقال في الأمثال الشعبية «نمّر المشمش» أي ينتهي الموسم وأول ما ينمَّر من الحبات الشرقيات والقلبيات بسبب أشعة الشمس. واعتاد فلاحو بيت حنينا في الضفة الغربية القول إن محاولة التجار في مدينة القدس التبخيسَ والمغالصةَ في سعر المشمش مما دفع بعضهم للقول أيضا إن هذا منبع شعورهم العدائي المستحكم تجاه المدن وأهلها إلى يومنا هذا. وذهبت بعض النساء للقول خلسةً «لوما العازة ولّا خسارة فيهم المشمش» في إشارة للرخص.

ويأتي هنا المثل في المشمش الذي كان يستخدم عنوانا لمهرجانات تراثية خاصة بالهوية الفلسطينية الوطنية كما في بلدة جفنا للتحذير من الإكثار من تناول المشمش الذي قديسي» للمعدة ويتعبها. ووردت ثمرة المشمش في أهازيج وطنية تعبر عن حنين ووجدان فلسطينيي المنفى والمهجر للوطن كقول «الدلعونا»:

لما يتبسم والعين بترمش ... بتيجي عا بالي يا غصن المشمش

طير الدّويري في بيتي معشعش ... وانا في الغربي بتدمع العيونا

اختيار العروس

وأشجار المشمش من الأشجار اللوزية بمعنى أن أصل الشجرة عبارة عن أشجار اللوز المر ثم يطعم بالمشمش وقد استعملت هذه الصفة ما بين اللوز والمشمش في تفسير العلاقات العائلية وفي إعطاء النصائح الرمزية عن اختيار العروس فتغني النساء:

سلّ المشمش لا تكبش .... هود على اللوزية

زين البنات لا توخذ.... دور عا الأصلية

وتعني هذه الأهزوجة أو المقولة الشعبية أن الأصل أهم من المظهر والجمال، واعتمد في اختيارك على الأساس والأصل الطبيب. وفي لائحة الثمار الفلسطينية يقال ضمن إقران كل ثمرة في موسمها: «أيار توت ومشمش وخيار».

التدرب على اللفظ أو في المزاح

كما أن لفظ مشمش يستعمل من قبل الأطفال في التدرب على نطق الكلمات الصعبة أو في رهانات المزاح والتسلية إذ يقول أحدهم للآخر إذا كان يتقن القول وبسرعة: « هذا المشمش مش من مشمشنا، هذا المشمش من مشمشكم ».

في الطب القديم

وصف ابن سينا ثمرة المشمش في « كفاية القانون » بأنها تسكن العطش ودهن نواتها المشمش ينفع من البواسير وينفع نقيع المقدد من المشمش في مواجهة تبعات الحميات الحارة. وقال ابن البيطار إن المشمش ثمرة تجانس الخوخ لكنها أفضل من الخوخ، وهي تذهب بالبخر من حر المعدة وتبردها تبريدا شديدا. والمشمش في الطب الشعبي الحديث غذاء مغذ، منشط، ملّين، سريع الهضم عند الأصحاء .. أما المصابون بعسر الهضم فهو يؤذيهم. كان الأطباء العرب يستخرجون من زيت بذر المشمش دواء يعالجون به فقر الدم وآلام الأذن، فقد كان يكفي تقطير بضع قطرات دافئة من زيت بذر المشمش في الأذن المصابة، لتسكن آلامها على الفور، كما استعمل البذر كطارد للديدان، وكان غلي ثمرة المشمش مع زيت الزيتون وتقديمها للمصابين بـ الإسهالات الحادة كما تقول سهير سلمان منير. كما قالت ان المشمش له فوائد أخرى فشرائح « قمر الدين المصنوعة من المشمش، أشهر من ان تعرّف، وخاصة في شهر رمضان المبارك حيث ينقع القمر الدين ويصنع منه شراب سائغ لذيذ، يروي العطش، ويساعد الصائمين على تحمل مشاق العطش والجوع. وفي بعض البلاد يحضر القمر الدين بعصير الفاكهة ثم تبخير العصير على الواح خشبية تعرض إلى أشعة الشمس، أو بوضعه على قماش مشدود وتركه يجف في الهواء الطلق.

انخفاض تحويلات المغتربين ونفاد الوديعة السعودية يهددان العملة اليمنيّة بمنحدر خطير

صنعاء – «القدس العربي»: أحمد الأغبري

خسر الريال اليمنيّ، مؤخراً، بعضاً من قيمته أمام تصاعد قيمة العملات الأجنبية في بداية مرحلة يظهر أن العملة اليمنية ستخسر فيها الكثير ما لم يتم تدارك الوضع ومعالجة الاختلالات المتوقعة في الشهور القليلة المقبلة، والتي ستؤدي إلى انخفاض كمية العملة الأجنبية المتوفرة في البلاد بشكل حاد نتيجة تراجع تحويلات المغتربين اليمنيين بنسبة 70 في المئة ونفاد الوديعة السعودية المخصصة لدعم استيراد السلع الأساسية.

واعتبرت دراسة يمنيّة حديثة أن الشهور المقبلة «في ظل هذه العوامل ستكون اليمة وعواقبها كارثية».

وكان قرار حكومة جماعة «أنصار الله» (الحوثيين) في كانون الثاني/ يناير من هذا العام بحظر تداول العملة الورقية الجديدة الصادرة عن البنك المركزي في عدن قد أدى لظهور أسعار صرف متباينة بين المحافظات الشمالية والجنوبية وإلى استخدام الريال السعودي والدولار الأمريكي لإتمام المعاملات المحلية.

وارتفع سعر صرف الدولار الأمريكي حتى (الخميس) إلى 605 ريالات في صنعاء و738 ريالاً في عدن بزيادة طفيفة في صنعاء وكبيرة في عدن عن الشهر الماضي.

ونتيجة للارتفاع الكبير لسعر صرف الدولار في عدن أغلقت بعض محلات الصرافة أبوابها أمام المواطنين جراء التهاوي المتسارع للريال أمام العملات الأجنبية.

ووفق دراسة لمركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، تقدر التحويلات المالية للمغتربين، التي تعتبر أكبر مصدر للعملة الأجنبية في البلاد، بأكثر من ثلاثة مليارات دولار أمريكي سنويًا وتُرسل بشكل عام من اليمنيين الذين يعملون في السعودية، وهنا تتوقع الأمم المتحدة انخفاض التحويلات المالية بنسبة 70 في المئة بسبب القيود المفروضة على العمال والانكماش الاقتصادي السعودي المفاجئ نتيجة القيود المفروضة لاحتواء فيروس كورونا والهبوط بأسعار النفط العالمية.

كما أعلنت الأمم المتحدة في أيار/مايو أنها تتجه صوب منحدر مالي في اليمن وأن نقص السيولة قد يؤدي إلى إيقاف أو تقليص عمل ثلاثة أرباع برامجها هناك. هذا يعني إن آلاف اليمنيين الذين يعملون ضمن هذه البرامج سيخسرون مصدر رزقهم إلى جانب التأثير المباشر على ملايين المستفيدين.

وقالت الدراسة، التي تناولت واقع وباء كورونا في اليمن، إن «أي رسم بياني للتأثير الناجم عن انخفاض التحويلات المالية وتقليص المساعدات الخارجية على العملة الأجنبية المتاحة في اليمن سيظهر اتجاهاً هبوطياً، أما الهاوية الحقيقية فستكون عند نفاد الوديعة السعودية البالغة مليارَي دولار والتي قدمتها الرياض إلى البنك المركزي اليمني في عدن قبل عامين، واستخدمها لتمويل واردات السلع الأساسية منذ ذلك الحين».

وحسب الدراسة فإن هناك احتمالا ضئيلا أن تقدم السعودية لليمن دعماً جديداً يضاهي المساعدات السابقة، لاسيما مع الفجوة في الموازنة السعودية وجهود المملكة لخفض الانفاق الحكومي.

تضخم أسعار السلع

في ظل هذا الوضع وعدم تعويض ما نقص من احتياطات النقد الأجنبي فإن البنك المركزي في عدن، وفق الدراسة، قد يعجز عن تأمين خطابات الاعتماد لتمويل الواردات بعد فصل الصيف.

ووفق الدراسة فعندما يحدث ذلك، سيلجأ التجار وتحديداً مستوردي المواد الغذائية والوقود إلى السوق لشراء الدولارات لسداد فواتيرهم. وهنا فإن انخفاض كمية النقد الأجنبي المتاحة تعني أن قيمة الريال ستنخفض أكثر مقابل الدولار. «كما ستتعرض قيمة الريال اليمني للمزيد من الضغط الهبوطي بعد أن تضخ الحكومة 250 مليار ريال طبعتها مؤخرًا لتغطية نفقاتها التشغيلية».

ويعتمد اليمن بشكل كبير على الواردات؛ فما يصل إلى 90 في المئة من المواد الغذائية الأساسية مستوردة؛ وبالتالي سيؤدي انخفاض قيمة العملة المحلية إلى تضخم أسعار معظم السلع.

ويعاني سكان اليمن بشدة جراء الحرب المستمرة منذ خمس سنوات، والانهيار الاقتصادي المصاحب لها «إذ يزج نحو ثلاثة أرباعهم تحت خط الفقر، وأي ارتفاع في أسعار السلع سيكون له آثار كبيرة على قدرتهم الشرائية، وبالتالي قدرتهم على البقاء على قيد الحياة. كما سيؤدي انخفاض كمية العملات الأجنبية التي تدخل اليمن إلى تقليل النشاط الاقتصادي بشكل عام وتزايد نسبة البطالة».

وفي تصريح لـ «القدس العربي» لم يستبعد الصحافي اليمني رضوان الهمداني احتمال تراجع كارثي لقيمة العملة اليمنية خلال الأونة القليلة المقبلة.

وقال الهمداني «إن انهيار العملة المحلية أمر طبيعي في ظل شحة عائدات الدولة من النقد الأجنبي بسبب انهيار أسعار النفط عالمياً وتراجع عائدات الحكومة من هذا المورد الرئيس لليمن. يضاف إلى ذلك تراجع تحويلات المغتربين بسبب الاغلاق العام في السعودية جراء فيروس كورونا».

وأردف: «من أجل هذا تبقى جميع الاحتمالات مفتوحة للسقف الذي سيصل فيه مستوى تراجع قيمة العملة الوطنية وفي حال لجأت فيه الحكومة لضخ المزيد من العملة المحلية لتغطية فاتورة المرتبات وغيرها؛ فهذا الأمر بالإضافة إلى العوامل السابقة يجعل تراجع قيمة العملة بنسبة مخيفة أمرًا غير مستبعداً على الاطلاق».

وتشهد العملة اليمنيّة منذ بدء الحرب عام 2015 انهيارات متوالية، وكان آخر انهيار شهدته في اذار/مارس الماضي حيث ارتفع سعر صرف الدولار الأمريكي بصنعاء إلى 600 ريال وفي عدن إلى 660 ريال، لكن الفرق فيما تشهده العملة اليمنية، حاليا منذ كانون الثاني/ يناير عقب قرار الحوثيين بإلغاء التعامل مع العملة الصادرة عن البنك المركزي في عدن، هو في زيادة الفارق بين سعر الصرف في مناطق سلطة الحوثيين ومناطق سلطة الحكومة الشرعية؛ وهو ما يترتب عليه طردياً ارتفاعاً في رسوم التحويل المالي لدى شركات الصرافة المحلية التي كانت تفرض 12 في المئة رسوم تحويل من مناطق الحكومة الشرعية إلى مناطق سيطرة الحوثيين والعكس؛ فيما صارت تفرض مؤخرا 18 في المئة مع ارتفاع سعر الصرف في مناطق الحكومة الشرعية؛ وما هو يجنيه عنه زيادة في معاناة المواطنين هنا وهناك مع ارتفاع أسعار السلع.

مدن وآثار

مدينة درنة الليبية عروس برقة الغنية بوفرة مياهها وخصوبة أراضيها

روعة قاسم

درنة التي تعرف بـ«عروس برقة» أو «درة المتوسط» هي مدينة ليبية جبلية ساحلية متوسطية شرقية تحدها من الجنوب سلسلة من تلال الجبل الأخضر. ويقسمها وادي درنة إلى نصفين، وهي التي قامت على ضفتيه وعلى مصبه في البحر الأبيض المتوسط، أي الدلتا. وتعرف درنة بمياهها العذبة المتدفقة من نبعين هما عين البلاد وعين بو منصور المعروفة بشلالها. وعلى غرار مدن الجبل الأخضر وإقليم برقة، تعرف مدينة درنة بجمالها الذي من عناصره كثرة الأشجار والمياه العذبة وأيضا النسيم البحري والجبلي العليل وهي خصائص نادرة الوجود في ليبيا التي لا تغطي الأشجار سوى ا في المئة من مساحتها.

مناخ درنة متوسطي، معتدل حار صيفا وبارد شتاء مع ميل إلى الاعتدال في الفصلين، وتتراوح درجات الحرارة خلال فصل الشتاء في المدينة ما بين 9 و20 درجة، فيما ترتفع صيفا لتفوق الأربعين درجة. ويبلغ معدل هطول الأمطار السنوي فيها حوالي 600 مم وهو معدل معتبر يمكن من تغذية المائدة المائية بكميات هامة تنعكس على منابع الماء العذبة والجداول التي يشكلها سيلان هذه المياه.

تبلغ مساحة مقاطعة درنة ما يقارب 20.000 كيلومتر مربع يقطنها ما يقارب من 200.000 ألف نسمة ويستقر أغلبهم بالمنطقة الساحلية وتتنوع انتماءاتهم القبلية باعتبار الموقع المتميز لدرنة كممرة وصل بين المشرق والمغرب استقطبت الهجرات من ليبيا ومن خارجها على غرار الأندلس. ومن أهم قبائل درنة البراعصة والحاسة وعزوز من الأندلس والعوامي والمسماري والشواعرة من المرابطين، وبدر والطشاني من التواجير، وشنيب وورربي من الطواهر، وبو جيدار من الدرسة، والمريمي والمنصوري وغيث من العبيدات وبن خيال وبن حليم من زليتن وأسديسي من ورفلة، وبو خشيم من مصراته.

تاريخ عريق

خلافا للغرب الليبي المنتمي حضاريا وتاريخيا إلى المغرب العربي وكان ضمن دائرة نفوذ جمهورية قرطاج ولاحقا ضمن مقاطعة أفريكا الرومانية التي تضم تونس الحالية وغرب ليبيا وشرق الجزائر، فإن الشرق الليبي كان ضمن دائرة نفوذ الحضارة الإغريقية ومن ذلك مدينة درنة. فخلال الحقبة اليونانية التي عاشها شرق ليبيا بالتوازي مع الساحل المصري المتوسطي وتحديدا خلال الفترة الهيلينستية، عرفت درنة باسم إيراسا وكانت تشكل مع أربع مدن أخرى مملكة تسمى بيتاووس.

وبعد سقوط قرطاج وجدت روما الطريق معبدة للهيمنة على الحوض المتوسطي فاستولت على مناطق نفوذ القرطاجيين والإغريق على حد سواء وخضعت درنة لقرون إلى الرومان. وبعد سقوط روما وتشتت مستعمراتها بين الأمم الغازية والمتمردين أراد البيزنطيون في القسطنطينية الاستيلاء على إرث روما باعتبارهم الإمبراطورية الرومانية الشرقية والأحق بهذا الإرث فاستولوا على مناطق عديدة منها درنة ومحيطها.

واعتنق سكان درنة الإسلام منذ القرن الأول للهجرة مع قدوم العرب إلى إقليم برقة فتحا وهجرة، لتكون المنطلق لفتح المنطقة المغاربية وتأسيس حاضرة إسلامية هي مدينة القيروان التونسية تكون قاعدة الارتكاز لحكم بلاد المغرب الكبير والانطلاق نحو الأندلس. فأصبحت درنة وكذا محيطها مناطق نفوذ للدولة الإسلامية الجديدة في المدينة المنورة ولاحقا في الكوفة في عهد علي بن أبي طالب. ثم خضعت للأمويين في دمشق والعباسيين في بغداد والفاطميين في المهدية والقيروان في تونس قبل انتقال هذه الدولة إلى القاهرة للاقتراب من بغداد حيث الخلافة العباسية لإنهائها والحلول مكانها.

ومر بنو هلال وبنو سليم في غزوهم وتخريبهم للقيروان من مدينة درنة بعد أن حرضهم الخليفة الفاطمي في القاهرة على الصنهاجيين في القيروان الذين استقلوا بحكم إفريقية (تونس شرق الجزائر وغرب ليبيا). واستقر عدد كبير من بني هلال في محيط درنة ومناطق هامة من ليبيا اليوم وأصبحوا جزءا لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي والقبلي في البلدان المغاربية جميعا ومن دون استثناء.

وبعد حقبة هامة من الفوضى في شمال أفريقيا والصراع على الهيمنة على المتوسط بين العثمانيين والإسبان، سيطر سلاطين الباب العالي على معظم الشمال الأفريقي وتطورت معهم درنة وأصبحت تلعب دورا هاما خاصة مع بداية القرن السابع عشر في فترة حكم الأسرة القرمنلية. حيث هيمنت درنة على بعض المدن المحيطة بها بعد حرب دامت أربع سنوات وتحولت إلى مركز إداري وتجاري ساعدها في ذلك موقعها الهام الواقع على الطريق بين المشرق والمغرب وميناؤها وأراضيها الخصبة.

وفي أواخر القرن السابع عشر ظهر في درنة الشيخ محمد بي، الذي اشتهر بحسن الإدارة والتقوى والورع، فتجمع الناس حوله لما للطرق الصوفية من أهمية في الحياة الروحية والاجتماعية في منطقة شمال أفريقيا. فقد قام الشيخ الصالح بشق أولى قنوات المياه في درنة وأنشأ الجامع الكبير بالمدينة مستعملا أعمدة الآثار القديمة على غرار ما حصل في عملية بناء أغلب المساجد القديمة في شمال أفريقيا.

وتعرضت درنة إلى الاحتلال الإيطالي إلى حدود الحرب العالمية الثانية حيث بقيت مسرحا للقتال بين الإيطاليين والبريطانيين وبينهم وبين الألمان حلفاء الإيطاليين. وآلت بالنهاية إلى البريطانيين قبل أن تنتهي الحرب العالمية الثانية وقبل حتى أن تحسم معركة شمال أفريقيا في تونس التي التقت فيها قوات المحور القادمة من ليبيا وقوات الحلفاء القادمة من أقصى المغرب بعد الانزال الأمريكي، وحسم الجنرال البريطاني مونتغمري المعركة لصالحه أمام الجنرال رومل الألماني في منطقة مارث في الجنوب التونسي.

وعاشت درنة فترة ازدهارها كما أغلب مدن الشرق الليبي خلال فترة حكم الملك إدريس السنوسي وذلك بعد استقلال ليبيا كما خضعت لنظام القذافي إلى حين الإطاحة به سنة 2011. واستغلت مجموعات مسلحة تكفيرية حالة الفوضى وانهيار الدولة وسيطرت على المدينة وتم إعلان درنة إمارة إسلامية تابعة لداعش قبل أن يتم تحريرها سنة 2015.

معالم

من أهم معالم درنة الجامع الكبير أو العتيق الذي بني على يد محمد باي أو محمد بي سنة 1663م 1081هـ الذي حكم مدينة درنة في الفترة العثمانية الأولى واستغرق بناء المسجد 12 سنة. ومن معالم المدينة أيضا مسجد الصحابة الذي بني سنة 1973 وهو من أكبر المساجد في المنطقة الشرقية وبني بجوار مقبرة الصحابة في مكان المعركة التي استشهد فيها سبعون من الصحابة.

ومن المعالم أيضا مقبرة الصحابة التي يعتقد أنها تضم سبعين صحابيا منهم أبو منصور الفارسي وعبد الله بن بر القيسي وزهير بن قيس البلوي رغم أن الأخير له ضريح في مدينة القيروان التونسية وينعت بسيدي الصحبي أي الصحابي، وهو رمز من رموز هذه الحاضرة الإسلامية ويزوره أهلها وزائرو المدينة من مختلف أنحاء العالم منذ قرون ويروى أنه استشهد بمنطقة عين جالولاء قرب القيروان.

ومن المعالم أيضا بيت درنة الثقافي وهو جمعية ثقافية تأسست سنة 1977 وافتتحت رسميا في 11 كانون ثاني/ يناير 1998 وتتخذ الجمعية التي يلتقي فيها مثقفو درنة من إحدى الكنائس القديمة مقرا لها. وتنظم هذه الجمعية عديد المهرجانات الثقافية في المسرح والرسم والشعر والموسيقى والسينما وغيرها من الفنون التي تدل على رقي سكان درنة.

وتوجد في درنة كنائس مسيحية ومعابد يهودية ومعالم أخرى عديدة تدل على عراقة المدينة تاريخيا وعلى تسامح أبنائها وانفتاحهم على الآخر وقبولهم بالتعايش مع من يخالفهم الرأي والمعتقد والانتماء القبلي وحتى العرقي. ويرجع كثر هذا الرقي الحضاري لدى سكان درنة إلى تأثرهم بالحضارة الأندلسية باعتبار أن المدينة على غرار كثير من حواضر بلدان المغرب العربي كانت مقصدا للهجرات الأندلسية بعد نهاية الدولة الإسلامية في إسبانيا.

عودة الحياة

شجعت خصوبة الأراضي وتوفر المياه بكميات هامة، سكان درنة على تعاطي النشاط الزراعي منذ القديم وخصوصا الزراعات السقوية على غرار الخضر والغلال. كما يقبل فلاحو درنة على تربية المواشي باعتبار توفر المراعي في مختلف أنحاء المقاطعة وتعرف مواشي درنة وإبلها بجودة لحومها على المستوى الوطني. وتضم المدينة ميناء للصيد البحري جعل أبناءها يقبلون أيضا على تعاطي هذا النشاط لتوفير أجود أنواع الأسماك المتوسطية.

وتوجد في المدينة بعض الأنشطة الصناعية التحويلية للمنتوجات الزراعية وصناعة النسيج والإسمنت وغيرها. وتنشط السياحة الداخلية في درنة بسبب ما يتوفر فيها من طبيعة خلابة أساسها البحر والغطاء النباتي الكثيف مقارنة بغيرها من المدن الليبية. كما يجذب الليبيين للتعايش والحوار وينبوعاً للفن والإبداع والجمال.

وتشهد درنة اليوم عمليات ترميم للمنشآت الدينية وللمعالم الأثرية التي تعرضت للضرر بسبب الصراع بين الجماعات الإرهابية التي كانت تتنافس على بسط نفوذها عليها أو بسبب العمليات العسكرية خلال معارك تحريرها. وهناك رغبة حقيقية من أبناء المدينة لإرجاع مدينتهم قطبا ثقافيا وسياحيا في ليبيا من خلال دعم وسائل الإعلام المحلية والمهرجانات الثقافية على غرار مهرجان درنة الزاهرة الدولي للمسرح والذي انتظمت إحدى جولاته مباشرة بعد طرد الإرهاب من المدينة وسميت الدورة «دورة الراحل خليفة بن زايبه» وانتظمت تحت شعار «المسرح يجمعنا» بإشراف فرقة أجيال للمسرح والفنون.

كما حصلت جهود لتوفير مقرات وتجهيزات للجمعيات الثقافية على غرار جمعية الهيلع للدراسات الميدانية وفرقة الفنون الشعبية ومسرح الطفل وصيانة المسرح. كما حصلت جهود لافتة لإنشاء مراكز ثقافية تقوم بدورها في التثقيف ونشر الوعي في صفوف المواطنين. وبالتالي فإن محاربة الإرهاب في درنة لا يبدو أنها ارتكزت فقط على المعالجة الأمنية بل تضمنت مقاربة شاملة فيها التربوي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي غيره.

طائر الفينيق

وفي هذا الإطار يعتبر الباحث الليبي جمال المسماري ابن مدينة درنة في حديثه لـ«القدس العربي» أن مدينته لم تأخذ حظها سابقا من الدعاية ولم تنل شهرة مدن ليبية أخرى رغم أهميتها من ناحية الموقع ومن ناحية ما تزخر به من ثروات. ذلك أن الدولة الليبية، وحسب محدثنا، لم تستغل كما يجب خصائص وثروات كثير من مدنها ومن ذلك درنة لتطور موارد اقتصادية أخرى غير النفط لتتكل عليه.

ويضيف قائلا: «لقد توقعنا بعد الإطاحة بنظام القذافي أن يتم الالتفات إلى درنة والاستثمار في زراعتها وتطويرها وتنمية بناها التحتية السياحية من فنادق وطرقات وغيرها والعناية بمهرجاناتها الثقافية. لكن شيئا من ذلك لم يحصل بعد أن هجمت قوى الإرهاب على المدينة وقطعت الرؤوس في مساجدها وأعادتها قرونا إلى الوراء وزادت حرب تحرير المدينة في إلحاق الدمار بها.

الآن وعوض التفكير في تطوير درنة عروس برقة والمتوسط والنهوض بها في شتى الميادين، أصبحنا نبحث عن إعادة إعمارها نتيجة الخراب الذي طالها والسنوات العجاف التي مرت بها. وأعتقد أن استهداف درنة من دون غيرها من المدن لتكون إمارة تكفيرية لم يكن صدفة، بل لأن ما في المدينة من تعايش بين الملل والنحل ومن نهضة ثقافية وفنية أزعج قوى الإرهاب والأعداء الذين يرغبون في رؤية ليبيا متخلفة يتقاتل أبناؤها بين بعضهم البعض.

ان استهداف درنة كان استهدافا رمزيا للحضارة في ليبيا وللفكر المستنير ولثقافة التعايش والوئام والتآخي بين أبناء الوطن الواحد، كان انتقاما من الفن وحب الحياة وطيبة الإنسان الليبي في درنة. لكن الإيجابي أن المدينة لم تندثر وبقيت صامدة وتحررت من قوى الظلام وهي اليوم تلملم جراحها وتنهض من جديد كطائر الفينيق الذي يخرج سليما معافى في عنفوانه من تحت الرماد.

ستعود درنة كما كانت وسيعود إليها أهلها الذين غادروها جميعا وستنهض بأبنائها من جديد، ففيها كل المقومات لتكون مدينة عامرة تعج بالحياة قادرة على الاستقطاب كما كانت في السابق. فمنابع مياهها الصافية لم تنضب ولا بساتينها الفيحاء اندثرت ولا شواطئها المتوسطية اختفت ولا طيبة أهلها وميلهم إلى الثقافة والفن وحب المعرفة قد تراجع، لذلك ستعود إلى سيرتها الأولى إن عاجلا أم آجلا وسيتغنى بها الشعراء كدأبهم على الدوام».

رياضة

ماذا يحتاج زيدان وسيتيين لحسم الصراع على لقب الليغا؟

زيدان (يمين) سيصارع غريمه سيتيين على اللقب حتى النهاية

لندن ـ «القدس العربي»: عادل منصور

أخيراً وبعد طول انتظار، عادت الحياة إلى الملاعب الإسبانية، باستثناف ما تبقى من حملة الليغا 2019–2020، بعد توقف دام ثلاثة شهور، بسبب الإجراءات الاحترازية التي اتخذتها الحكومة المركزية في النصف الأول من مارس/آذار الماضي، للحد من تفشي فيروس كورونا في الأقاليم الـ17، وجاءت اللحظة التي طال انتظارها لعشاق الليغا وكرة القدم الحقيقية، بإطلاق صافرة بداية أولى مؤجلات الأسبوع الـ28، والتي استهلها الإخوة الأعداء إشبيلية وريال بيتيس يوم الخميس الماضي بدربي الأندلس على ملعب «رامون سانشيز بيثخوان»، وستختتم مساء اليوم الأحد بمواجهة ريال مدريد ضد إيبار على ملعب «سانتياغو بيرنابيو»، ليتبقى بعد ذلك عشر جولات حاسمة في الحرب الشعواء بين الكبيرين الريال وبرشلونة على اللقب.

برشلونة قبل الجائحة

بالعودة بالذاكرة إلى وضع برشلونة ونتائجه قبل تجميد النشاط، فأقل ما يمكن قوله إنها كانت متقلبة، ولولا سحر لونيل ميسي وإصراره على تقمص دور المخلص، بتأثير غير طبيعي على نتائج الفريق، لغرق النادي في مشاكله الإدارة والفنية، بعد تدهور العلاقة بين كبار النجوم، وعلى رأسهم البرغوث بأعضاء مجلس الإدارة، بمن فيهم الرئيس جوزيب ماريا بارتوميو والمدير الرياضي إيريك أبيدال، كما حدث بعد فترة قصيرة من إقالة المدرب السابق إرنستو فالفيردي، حين أطلق أبيدال العنان لنفسه في مقابلة مع صحيفة «موندو ديبورتيفو»، بالغ خلالها في انتقاد وتوبيخ اللاعبين، لدرجة إلقاء اللوم عليهم وتحميلهم مسؤولية اهتزاز النتائج وطرد المدرب، بزعم أن الإدارة فعلت ذلك بناء على رغبة اللاعبين، لينفجر فيه ميسي ببيان ناري عبر منصاته على مواقع التواصل الاجتماعي، مفاده باختصار شديد «توقف وركز في عملك على طاولة المفاوضات وإلا ستكون العواقب وخيمة»، ناهيك عن فضيحة تسريب اتفاق الرئيس مع إحدى الشركات الافتراضية على الشبكة العنكبوتية، لتحريض المشجعين والرأي العام على كبار النجوم، مقابل تلميع بارتوميو وتلميع إدارته قبل انتخابات الجمعية الانتخابية، حتى المدرب الجديد كيكي سيتيين تصادم مع القائد على الملأ، باختلاف في وجهات النظر بينهما حول قدرة وإمكانات الفريق في الذهاب بعيدا في دوري أبطال أوروبا، حيث يعتقدليو أن المستوى الذي كان عليه البلوغرانا قبل الجائحة، لا يؤهله للفوز بذات الأذنين السادسة في تاريخه، بينما يرى المدرب العجوز العكس. مع ذلك، ظل البارسا متشبثا بفرصه في الفوز بالدوري الإسباني والأبطال، بعد نجاحه في استعادة صدارة الليغا في الأسبوع التالي لخسارته أمام ريال مدريد بهدفين نظيفين في كلاسيكو «سانتياغو بيرنابيو»، وذلك بالفوز على ريال سوسييداد بهدف وحيد سجله ميسي من علامة الجزاء قبل نهاية اللقاء بتسع دقائق، في الوقت الذي تجرع فيه زين الدين زيدان ورجاله من مرارة الهزيمة أمام ريال بيتيس بهدفين لهدف، لتأتي الجائحة بأفضل سيناريو لالتقاط الأنفاس في «كامب نو»، منها حافظ الفريق على ماء وجهه باعتلاء صدارة الدوري حتى إشعار آخر، بعد خيبة الأمل المزدوجة بالخروج من الكأس السوبر المحلية بنظامها الرباعي الحديث على يد أتلتيكو مدريد من الدور نصف النهائي، وتوديع كأس الملك إسبانيا من الدور ربع النهائي بالسقوط في «سان ماميس» أمام أتلتيك بلباو، ومنها أيضا وجد سيتين متسعا من الوقت لشرح أفكاره حتى يتمكن الجميع من استيعابها وهضمها، على أمل تطبيقها بشكل عملي في فترة ما بعد كورونا، وبالطريقة التي وعد بها أنصار النادي يوم وصوله «كامب نو»، بإعادة أسلوب «التيكي تاكا»، بدلا من النسخة الباهتة التي كان عليها الفريق في عهد فالفيردي، ولم تتغير كثيرا في بداية رحلة كيكي، لضيق وقته مع اللاعبين.

عوامل حاسمة لتتويج برشلونة

ربما بلغة الأرقام والإحصائيات، يكون برشلونة الطرف الأوفر حظا لانتزاع اللقب، نظرا لتمرسه على الاحتفاظ بالصدارة بيد من حديد، كلما أحكم سيطرته عليها في آخر 11 أسبوع، فمن أصل 19 مرة تصدر خلالها الليغا في آخر 11 جولة، حقق اللقب 15 مرة ولم يتنازل عن الصدارة سوى 4 مرات، آخرها في موسم 2006–2007. في المقابل، نجح الميرينغي في اقتناص اللقب 6 مرات من أصل 32 مرة كان مبتعدا فيها عن الصدارة في مثل هذه المرحلة من الموسم، لكن على أرض الواقع، ستكون هناك عوامل حاسمة ليحافظ البارسا على مكانه في مقدمة جدول الترتيب العام، منها مدى قدرة المدرب على إعادة الصلابة لخط الدفاع، الذي تبتعد لعنة الإصابات عن ميسي، وأن يحافظ على لحظاته الإبداعية وتأثيره، على الأقل بنفس الطريقة التي كان عليها قبل التوقف الطويل، بتسجيل 19 هدفا وتقديم 12 تمريرة حاسمة من مشاركته في 22 مباراة على مستوى الدوري المحلي، ونفس الأمر بالنسبة للمنقذ الأمين تير شتيغن، الذي يصنفه عشاق النادي وخبراء التحليل بالرجل الثاني في «كامب نو»، لتصدياته المذهلة، التي ساهمت بطريقة أو أخرى في بقاء البارسا في صدارة الليغا. بالإضافة إلى ذلك، يحتاج كيكي الاستفادة بشكل حقيقي من صفقات 2019 الباهظة، والإشارة إلى الأنيق أنطوان غريزمان والهولندي فرينكي دي يونغ، اللذين كبدا الخزينة قرابة الـ200 مليون يورو، مع ذلك، لم يعبران عن نفسيهما بالطريقة المتوقعة أو المنتظرة منهما، وذلك لسوء توظيف الاثنين، بالاعتماد على القادم من أياكس كلاعب وسط ثالث وأحيانا كجناح بأدوار دفاعية، رغم أن مركزه الأصلي الذي يبدع فيه هو لاعب الوسط المحوري، لكنه لا يلعب في مركزه لوجود سيرجيو بوسكيتس. أما المهاجم الفرنسي، فيتم الاعتماد عليه في مركز الجناح الأيمن، أو مهاجم ثالث بجوار ميسي ولويس سواريز قبل إصابته، بينما مع أتلتيكو مدريد كان يعول عليه دييغو سيميوني كمهاجم ثان جنبا إلى جنب مع دييغو كوستا، وأحيانا كان يشركه في مركز المهاجم الوهمي، وهذه معضلة تحتاج تدخل المدرب، إذا أراد إخراج أفضل ما لدى دي يونغ وغريزمان، ومن الأمور الحاسمة الأخرى بالنسبة للبارسا في صراعه مع الريال لحسم اللقب، تجنب ما حدث منذ بداية الموسم وحتى الجائحة، بالاعتماد على 12 لاعبا في أكثر من 1000 دقيقة، والسبيل الوحيد هو التناوب وإعطاء دقائق أكثر لأبناء الأكاديمية، في مقدمتهم انسو فاتي وريكارد بويغ، مع ضرورة التعامل بذكاء مع لياقة لويس سواريز وخوردي ألبا بعد عودتهما من الإصابة، منها منع حدوث أي مخاطرة، ومنها أيضا تفادي صداع الإصابات العضلية التي ضربت نجوم البوندسليغا بعد استئناف النشاط في ألمانيا. أما العنصر الأخير الحاسم، فيبقى في تعامل ميسي ورفاقه مع كل مباراة على أنها نهائي كأس، لتبقى الصدارة في مأمن حتى إطلاق صافرة النهاية.

الملكي قبل كورونا

عانى زين الدين زيدان ورجاله من تخبط واهتزاز في النتائج والمستوى قبل أزمة كورونا، على غرار انتصاره الثمين على البارسا في الكلاسيكو بهدفي فينيسيوس جونيور وماريانو دياز، وحدث ذلك بعد حصوله على نقطة واحدة في مباراتين أمام سيلتا فيغو وليفانتي. والكارثة، أنه لم يستغل الدفعة المعنوية الهائلة بقهر العدو الأزلي، بسقوط في الأسبوع التالي أمام ريال بيتيس، ليتنازل طوعا عن الصدارة لبطل آخر موسمين، وهي كانت أكبر مشكلة يعاني منها اللوس بلانكوس منذ تسلم زيزو الدفة الفنية للمرة الثانية في ربيع العام الماضي، والمتمثلة بعدم ثبات النتائج والأداء، تارة للإصابات التي حرمت الفريق من أهم عناصره في جُل أوقات الموسم، مثل ماركو أسينسيو، الذي خضع لعملية في الرباط الصليبي في أغسطس/آب الماضي، وعلى إثرها لم يركل الكرة ولو مرة حتى الآن، كذلك الغالاكتيكوس الجديد إيدين هازارد، لم يكن محظوظا بما فيه الكفاية، لتعرضه لثلاث انتكاسات، بدأها بالغياب عن أول أربع مباريات في الموسم الجديد، وختمها بإصابة بداية العام، التي كانت ستمنعه من اللعب حتى النهاية لولا توقف النشاط، وتارة أخرى للهبوط الجماعي في مستوى اللاعبين، خصوصا رجاله الكبار المخلصين، الذين وصلوا بالفعل لقمة التشبع من البطولات. لكن في المقابل، كانت هناك بصمات إيجابية، لعل أبرزها عودة هيبة حراسة المرمى، بالصورة الهوليوودية التي ظهر عليها الحارس البلجيكي تيبو كورتوا، بتصديات ورشاقة وحُسن توقع وغيرها من المميزات المطلوبة في حامي عرين النادي الملكي، ونفس الأمر بالنسبة لخط الدفاع، الذي تحول فجأة من الحلقة الأضعف في الفريق إلى مصدر القوة والأمان، ويرجع ذلك في المقام الأول، للحالة الجيدة جدا التي كان عليها القائد سيرجيو راموس وشريكه الفرنسي رافاييل فاران، ومعهما المدافع الأيمن المفضل دااني كاربخال، وعودة المنافسة في الجهة اليسرى بين المخضرم مارسيلو والفرنسي الصلد فيرلاند ميندي، ما عزز قوة الدفاع وحراسة المرمى، ليكون الأقوى في الليغا حتى هذه اللحظة. وتخلص زيدان من صداع الحلقة الفارغة بين الدفاع والوسط، بالاعتماد على الاكتشاف الأوروغواني فيدريكو فالفيردي جنبا إلى جنب مع ابن قارته كاسيميرو، على حساب أسماء بحجم لوكا مودريتش وتوني كروس وآخرين. فقط مشكلته الفنية الوحيدة، كانت تكمن في غياب الهداف الحاسم القادر على تقمص دور كريستيانو رونالدو، بعد فشل لوكا يوفيتش في تقديم نفس النسخة التي كان عليها مع آينتراخت فرانكفورت الموسم الماضي، مع آفة كريم بنزيما التي لا تتغير أبدا، بعدم الحفاظ على معدله التهديفي لفترات طويلة، هذا بخلاف مشكلة قلة خبرة الثنائي البرازيلي فينيسيوس ورودريغو غوس، والتي كلفت الريال نقاطا ومباريات تندرج تحت مسمى «مباريات في المتناول»، ويتجلى وضع الريال المتذبذب هذا الموسم على مستوى البطولات، بنجاحه في اقتناص الكأس السوبر الإسبانية، وبعدها بأسابيع قليلة ودع كأس الملك بالهزيمة في عقر داره أمام ريال سوسييداد بنتيجة 3–4 في الدور ربع النهائي، ثم وضع نفسه على المحك في بطولته المفضلة دوري الأبطال، بخسارة على نفس الملعب أمام مانشستر سيتي بنتيجة 1–2 في ذهاب دور الـ16، وفي الأخير تنازل بغرابة عن الليغا قبل تعليق النشاط.

عودة سواريز من الاصابة جاءت في الوقت المناسب لبرشلونة

ماذا يحتاج زيدان؟

كما كانت فترة التوقف مهمة لكيكي سيتيين، فهي كانت كذلك بالنسبة لزيزو، على الأقل ليستعيد أسلحته الفتاكة، متمثلة في هازارد وأسينسيو بعد تعافي الاثنين من الإصابة، ولا شك أبدا أن عودتهما ستعطي إضافة هائلة للخط الأمامي، وكأن النادي وقع مع صفقتين من الطراز العالمي خصيصا لآخر 11 مباراة في الموسم، والأهم من ذلك، للتخلص من العقم الهجومي المبالغ فيه، وهو عامل حاسم ويعول عليه زيدان كثيرا لمواصلة مطاردة برشلونة حتى صافرة نهاية الموسم، وبنفس الأهمية، يحتاج أن يحافظ رباعي الدفاعي على سجلهم المثير للإعجاب في هذه الحملة، باستقبال أقل من هدف في المباراة، كما تقول الأرقام باهتزاز الشباك 19 مرة في 27 مباراة في الدوري، وقبل أي شيء، التعلم من أخطاء الماضي، بعدم العودة إلى الفصول الباردة، كما حدث في آخر مباراة قبل التوقف أمام مضيفه الأندلسي، ومباراتي السيلتا وليفانتي، بإهدار نقاط لا تليق بالفريق الذي يبحث عن اللقب، وهذا لن يحدث إلا بحفاظ اللاعبين على تركيزهم في المباريات الـ11 المتبقية، بداية من سهرة اليوم أمام إيبار، ثم القتال على الـ30 نقطة المتبقية في آخر 10 مباريات، خصوصا اختباراته المعقدة أمام الفرق التي تنافس على مكان مؤهل لدوري الأبطال واليوروبا ليغ، كمباراتي الجولتين المقبلتين أمام فالنسيا وريال سوسييداد، بنسبة تزيد على 90 % ستحدد نتيجة المباراتين فرص الريال في منافسة ميسي ورفاقه، إلا إذا حدثت مفاجآت غير متوقعة في مباراتي البارسا ضد ليغانيس وإشبيلية في نفس الفترة. ومن الأمور المهمة التي يحتاج لها زيدان، استنساخ ما فعله في موسم 2016–2017 (آخر موسم توج فيه الريال بالليغا)، بالتفنن في عمل المداورة، بالاستفادة من أسماء مثل خاميس رودريغيز وناتشو فيرناندیز وكوفاسيتش ودانييلو ولوكاس فاسكيز وأسينسيو وموراتا وكوينترو، لم تكن عناصر أساسية، لكنها حصلت على فرصتها وساهمت في إضافة عمق كبير لتشكيل الملكي، ليظفر الفريق بالدوري وبدوري الأبطال في ذاك الموسم، والآن وبعد تعافي كل المصابين، أصبحت أمامه فرصة لتكرار نفس السيناريو، بالاستفادة من لاعبين مثل ناتشو وفينيسيوس ورودريغو وفاسكيز وخاميس رودريغيز وغاريث بيل وإيدير ميليتاو وآخرين... فمن يا ترى ستخدمه الظروف والعوامل الحاسمة ليكون بطل الليغا في عام كورونا. هذا ما سنعرفه الشهر المقبل.

هل عودة هازارد من الاصابة ستحل أزمة التهديف عند الريال

«يورو 2020»... رغم التأجيل تظل علامات استفهام عالقة!

«يورو 2020» ستبقى حبيسة إلى العام المقبل

لندن – «القدس العربي»:

عندما أقر الاتحاد الأوروبي لكرة القدم (يويفا)، بناء على اقتراح رئيسه السابق الفرنسي ميشيل بلاتيني، صيغة «احتفالية» لـ«يورو 2020»، في الذكرى الستين لانطلاق أبرز بطولة قارية للمنتخبات باقامتها في 12 مدينة مضيفة في 12 بلدا، وحتى في موعد رمزي هو 12 حزيران/يونيو إلى 12 تموز/يوليو، لم يكن يعلم ماذا سيحل بالعالم.

في الظروف العادية، كانت أنظار عشاق اللعبة توجهت أول أمس الجمعة إلى روما، لمشاهدة المباراة الافتتاحية لـ«يورو 2020».

لكن فيروس كورونا المستجد دفع إلى تأجيل الموعد عاما كاملاً، وترك اليويفا أمام أسئلة متشعبة، حيث غير «كوفيد–19» كل شيء، بدءا بتجميد النشاطات الرياضية بشكل تدريجي، وصولا إلى تعديل جدول المواعيد المقبلة. لتدفع «يورو 2020» الثمن، بتأجيل إلى 11 يونيو و11 يوليو 2021.

وبعد أكثر من ثلاثة شهور على هذا القرار، بدأت القارة العجوز بالخروج من عزلتها، بعد جائحة أودت بحياة أكثر من 180 ألف شخص من سكانها. وتعود البطولات الوطنية تباعا وإن بدون جمهور، واليويفا سيبحث الاربعاء في مواعيد وصيغ استكمال مسابقتي الأندية، دوري الأبطال و«يوروبا ليغ».

في بطولة العام المقبل التي يتوقع ان تحتفظ باسمها الرسمي «يورو 2020»، يرجح أيضا ان يكون الافتتاح من الملعب الأولمبي في روما والذي كان مقررا ان يستضيف لقاء إيطاليا وتركيا. لكن تأثر بلاد القارة بالجائحة، يطرح العديد من الأسئلة. فإيطاليا على سبيل المثال، كانت من أكثر الدول تضررا مع 34 ألف وفاة، ومثلها بريطانيا مع أكثر من 40 ألف وفاة، علما أنها كانت ستستضيف الدور نصف النهائي والمباراة النهائية في «ويمبلي».

وتتمحور الأسئلة بشكل أساسي حول التأثير الاقتصادي لـ«كوفيد–19»، والذي أضرّ كثيرا بقدرات بلاد مختلفة، وصولا إلى القيود الواسعة التي فرضت ولا تزال غالبا على حركة السفر، ومنع المشجعين من دخول ملاعب كرة القدم حتى مع استئناف المباريات.

ويجد اليويفا نفسه أمام عوامل عدة مجهولة سيضطر للتعامل معها في التخطيط للبطولة بموعدها الجديد.

وكان الاتحاد القاري أساسا تحت مجهر الانتقادات، لاسيما من الناشطين البيئيين، على خلفية قرار إقامة البطولة التي يشارك فيها 24 منتخبا، في 12 بلدا مختلفا، مع ما يعنيه ذلك من زيادة في استهلاك الوقود و«البصمة الكربونية» للسفر وانتقال المشجعين وإقامتهم بين بلد وآخر، وانعكاسات ذلك على التغير المناخي. لكن رئيس اليويفا السلوفيني ألكسندر تشيفيرين لمح مؤخرا إلى عدد المدن الـ12 قد لا يبقى ثابتا لبطولة 2021، وهو قابل للتقليص. ولح إلى وجود «بعض المسائل» المتعلقة بثلاث مدن مضيفة، مؤكدا مرونة الاتحاد في ما يتعلق بذلك.

وأوضح: «سنبحث أكثر في الأمر، وبالمبدأ سنقيم البطولة في 12 مدينة. لكن ما لم يكن ذلك ممكنا، نحن مستعدون لإقامتها في عشر مدن أو تسع». ومن المحتمل ان يطرح الأمر على بساطً البحث في اجتماع بجدول أعمال «مزدحم للغاية» تعقده اللجنة التنفيذية للاتحاد الابرعاء المقبل، يتوقع ان يركز بشكل أساسي على صيغة استكمال دوري الأبطال و«يوروبا ليغ»، بما قد يشمل تغيير مكان المباراة النهائية أو حتى شكل ما تبقى من المسابقتين. لكن لم يتم بعد الكشف رسميا عن المدن المشكوك بها بشأن كأس أوروبا.

إضافة إلى ذلك، يواجه اليويفا معضلة التعامل مع المشجعين الذين سبق لهم شراء تذاكر لحضور مباريات خلال البطولة القارية قبل ان يتم تأجيلها، لاسيما لجهة إعادة ثمنها. كما عليه تحديد موعد الملحق الذي كان من المقرر ان تتأهل بموجبه المنتخبات الأربعة الباقية، رغم تأكيده المضي في إقامة مسابقة دوري الأمم 2020–2021 في موعدها (بين 3 أيلول/سبتمبر 2020 و6 يونيو 2021).

على الصعيد التنافسي، لم يكن التأجيل سيئا للجميع، وهو ما عكسه بشكل مباشر مدرب المنتخب الإنكليزي غاريث ساوثغيت. وقال: «في مرحلة ما كنا نتحضر لاحتمال خوض البطولة في غياب ماركوس راشفورد (مهاجم مانشستر يونايتد) وهاري كاين (قائد المنتخب وهجوم توتنهام)» بسبب الإصابة، «أو في أفضل الأحوال وجودهما من دون ان يكونا قد خاضا العديد من المباريات». وأضاف ان المعدل الشاب لأعمار لاعبيه الذين بلغوا نصف نهائي مونديال 2018، يبعث على الأمل «بتقديم أداء أفضل» العام المقبل، و«علينا ان نثبت ذلك على أرض الملعب». ومنتخب آخر قد يستفيد هو الهولندي، اذ كانت مشاركة أحد نجومه ممفيس ديباي موضع شك هذا الصيف بسبب جراحة في الركبة، كما تعرض مدربه رونالد كومان لأزمة قلبية مؤخرا. كما يخشى ان يؤثر التأخير سلبا على البرتغال حاملة اللقب القاري عام 2016، وحاملة لقب النسخة الأولى من دوري الأمم 2019. فنجمها الأبرز كريستيانو رونالدو، سيكون آخر السادسة والثلاثين من العمر مع انطلاق بطولة العام المقبل، رغم أن أداءه ولياقته البدنية، لا يبدو انهما يتأثران بعوامل الزمن.

ألفونسو ديفيز... لاجئ ليبيري من مخيمات غينيا يخطف أضواء البوندسليغا!

لندن – «القدس العربي»:

أصبح الكندي الفونسو ديفيز ابن الـ19 عاما جزءا لا يتجزأ من تشكيلة بايرن ميونيخ بطل ألمانيا في الموسم السبعة الماضية، وخطف الأضواء خلال مباريات الاستئناف في الاسابيع الاربعة الماضية، وهو الذي وُلد في مخيّم للاجئين في إفريقيا، لكنه بات أكثر النجوم الواعدين في عالم كرة القدم.

غالبا ما يروي ديفيز قصته الملهمة والشاقة التي أوصلته إلى ما هو عليه الآن. ولد في 2000 في مخيّم للاجئين في غانا، من والدين هربا من الحرب الأهلية في ليبيريا. تتذكر والدته أن كان عليها أحيانا السير فوق الجثث للذهاب لإحضار الطعام. كان الفونسو في الخامسة من العمر عندما حصلت عائلته على حق الهجرة إلى كندا، حيث نشأ بداية في ويندسور في أونتاريو قبل أن ينتقل إلى ادمونتون في مقاطعة البرتا غرب البلاد.

نجم البايرن ديفيز

وتكون الحياة قاسية بداية على الوافدين الجدد، إذ يستذكر نك هوسيه مدربه الاول، والذي بات الآن وكيل أعماله: «بعد التدريبات، كان يعود فورا إلى المنزل لتغيير حفاضات شقيقه وشقيقته، حين كان في العاشرة من عمره، لأن والديه كانا يعملان معطولا ولا يستطيعان تحمل تكاليف مربية». فيما يوضح ديفيز: «تدخّلُ بشكل أسرع في عالم الكبار عندما يتحتم عليك إطعام الأطفال في وقت يمارس أصدقاؤك العاب الفيديو. كان والدي يستيقظ عند الرابعة صباحا، فيما كانت والدتي تعمل بين العاشرة مساء والثامنة صباحا. كان الامر قاسيا ولكننا كنا سعداء».

كرة القدم قلبت حياته رأسا على عقب بفضل موهبته الخارقة. إذ اكتشفه نادي «وايتكبس» المنتمي لمدينة فانكوفر والذي ينافس في الدوري الامريكي لكرة القدم (أم أل أس). الا ان والدته كانت قلقة للدرب الذي يسير عليه ولم ترغب بداية في رحيله قبل أن ترضخ للواقع. لكنها طلبت منه أن يفي دائما بوعده لها: «لقد وعدتها بأن اكون صالحا. أن أبقي قدمي على الارض وألا أنسى أبدا من أين أتيت». وخلال فترة توقف الدوري الالماني بسبب فيروس كورونا، شارك في حملة لجمع التبرعات مع مفوضية الامم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين (يو أن ايتش سي أر)، حيث اعتبر أن الاخيرة «لطالما دعمتني، والآن حان الوقت لرد الجميل».

برق نجمه سريعا في فانكوفر بعدما بات أصغر لاعب محترف في كندا في سن الـ15، واصغر لاعب في التاريخ مع المنتخب الاول عن 16 عاما، ما لفت انتباه مدير الرياضة في بايرن ميونيخ البوسني حسن صالح حميديتش الذي يجول العالم بحثا عن المواهب النادرة. وانضم ديفيز إلى العملاق البافاري عام 2018 مقابل 11.5 مليون دولار، ووجد نفسه في عمر الثامنة عشرة يتدرب إلى جانب نجوم كان يكتفي بمشاهدتهم على شاشة التلفاز، أمثال الهولندي «الطائر» أربين روبن، الذي كان المثال الأعلى له ولوالده. ويعلّق قائلا: «كان شرفا هائلا أن أكون قادرا على اللعب بجانبه فجأة». وبعد عامين من انتقاله إلى ملعب «الينانز أرينا» تُقدّر الآن قيمة ديفيز بـ45 مليون يورو، فيما يعتبر حميديتش أنه «لا يمكننا تخيّل الفريق من دونه». وبرز ديفيس بشكل لافت عندما قرر المدرب هانسي فليك تحويله في الخريف الفائت من لاعب جناح إلى مركز الظهير الايسر، إذ يقول: «بالنسبة لنا، هو تأمين على الحياة، بفضل سرعته وهو صلب دفاعيا ويتحمل مسؤولية أكبر هجوميا». وبانتقاله الى الخط الخلفي، لم يفقد ديفيز أيا من مهاراته في المراوغة لكنه بات أقوى في المواجهات المباشرة ولا يقهر في سرعته وانطلاقاته. وأطلق عليه مؤخرا زميله المهاجم توماس مولر لقب «بيب– بيب» تيمنا بإسم العصفور في مسلسل الرسوم المتحركة «رود رانر الطائر السريع» الذي يفلت دائما من ذئب البراري. أما ديفيز، الذي يرحّب بفكرة إكمال مسيرته في عالم السينما بعد اعتزال كرة القدم، يرى نفسه أكثر في شخصية البطل الخارق، حيث يرغب في لعب دور «بلاك بانثر» من فيلم «أفنجرز» ويقول ضاحكا: «لأنه أكثر ما يناسبني». وفي الوقت الحالي، يستمتع خلال فترات الاستراحة بتصوير بعض مقاطع الفيديو المضحكة ومشاركتها على مواقع التواصل الاجتماعي. ويردف: «الحياة أقصر من أن تضيع وقتك وأنت غاضب أو حزين، وأعتقد أنه إذا سمع الأطفال قصتي في أي مكان في العالم، فإمكانهم ايجاد الحافز والشجاعة لتحقيق أحلامهم أيضا».

اهتراء البنية التحتية الرياضية في تونس ومؤامرات رئيس «الكاف»!

الجماهير التونسية شهدت العديد من النجاحات في استاد «رادس»

تونس – «القدس العربي»:
روعة قاسم

نظمت تونس منذ استقلالها العديد من التظاهرات الرياضية المهمة، بينها ثلاث دورات لكأس أمم إفريقيا في كرة القدم في سنوات 1962 و1994 و2004، ودورتان لألعاب البحر الأبيض المتوسط، الأولى في سنة 1967 والثانية في سنة 2001، وكأسا عالم في كرة اليد سنة 2004 فازت بتنظيمها أمام ألمانيا رغم تاريخها الكبير في هذه الرياضة وقاعاتها الرياضية المبهرة.

ونجحت تونس بامتياز في تنظيم هذه الأحداث الكبرى بالنظر إلى عدة أسباب، منها البنى التحتية الراقية من ملاعب وقاعات ومسابح وميادين وغيرها، والتي انفقت الدولة من أجل إنجازها الكثير من الأموال.

لكن منذ ثورة 14 يناير/كانون الثاني 2011 توقفت الإنجازات على مستوى البنى التحتية الرياضية بسبب غياب التخطيط والبرمجة والرغبة في التطوير لدى الحكومات العديدة المتعاقبة التي قادت شؤون البلاد منذ ذلك التاريخ إلى اليوم. كما حصل تقصير كبير على مستوى العناية بما أنجز من ملاعب وقاعات ومسابح وميادين حتى بات الكثير منها غير صالح لممارسة الرياضة ومهدد بالإنهيار، ناهيك عن تعطل إنجاز عديد المشاريع التي كانت مبرمجة على غرار الملعب الجديد بصفاقس وأشغال توسعة الملعب الأولمبي بسوسة.

ونتيجة لهذا الإهمال فقد تلقى الاتحاد التونسي لكرة القدم مراسلة من الاتحاد الافريقي للعبة (الكاف) يحيطها علما بأن ملاعب كرة القدم التونسية باتت غير مؤهلة لاحتضان المباريات الدولية التي تخص المنتخب والأندية على حد سواء. وتمّ استثناء الملعب الأولمبي في رادس، وذلك شريطة القيام بإصلاحات تشمل هذا الملعب الكبير الذي كان في سنة إنجازه مفخرة لتونس وينعت بـ«درة المتوسط» ولم يكن يضاهيه ملعب آخر في المنطقة العربية من حيث جمال الهندسة ورقيها وفخامة المكونات، وذلك قبل ان يتم تشييد ملاعب عدة لاحقا تضاهيه وتتفوق عليه.

وقد أراد كثير من التونسيين في ذلك الوقت أن يبنى ملعب رادس في مدينة أخرى غير العاصمة، باعتبار أن مدينة تونس تملك ملعبين آخرين كبيرين، هما الملعب الأولمبي بالمنزه وملعب الشاذلي زويتن، وهو ما سيقلص من حظوظ الخضراء في تنظيم أحداث قارية وعالمية، لأنه يشترط في العادة في البلد الذي يمنح شرف التنظيم أن تكون ملاعبه الكبرى في مدن مختلفة ولا تتركز في مدينة واحدة. لكن سوء التخطيط جعل العاصمة التونسية تضم ثلاثة ملاعب كبرى، في حين أن باقي المدن، إذا استثنينا صفاقس وسوسة وبنزرت والمنستير، لا تضم ملاعب لائقة بحجم الدوري التونسي الذي صنف في أكثر من مرة أفضل دوري عربي في كرة القدم.

وعلى إثر هذه المراسلة التي وصلت بداية شهر مايو/آيار بات المنتخب الوطني التونسي والأندية مهددة بالحرمان من خوض المباريات الدولية والقارية في تونس، ما لم تتخذ الإجراءات اللازمة لصيانة الملاعب. وللإشارة فإن نسور قرطاج تنتظرهم مواعيد مهمة في إطار تصفيات كأس أمم إفريقيا في الكاميرون 2021 وتصفيات كأس العالم في قطر 2022 والأندية التونسية بدورها تنتظرها مشاركات قارية مهمة وهي المعتادة على لعب الأدوار الأولى في هذه المنافسات.

ومنذ ورود المراسلة والاتحاد التونسي لكرة القدم في حالة استنفار مع وزارة شؤون الشباب والرياضة لإيجاد الحلول الكفيلة بإعادة تهيئة الملاعب، وعلى رأسها الملعب الأولمبي برادس الذي يحتضن في العادة مباريات المنتخب والمباريات القارية لأندية العاصمة، وخصوصا الترجي، وحتى المباريات القارية للنجم الساحلي خلال الموسم الرياضي الحالي بسبب أشغال توسعة الملعب الأولمبي بسوسة. كما نظرت اللجنة الوزارية في الإشكاليات المتعلقة بأشغال تهيئة الملعب الأولمبي بالمنزه في العاصمة الذي أهمل في السنوات الأخيرة بسبب عدم الحاجة إليه في ظل وجود ملعب رادس.

ويرى البعض ان الملاعب التونسية، ورغم حالة الإهمال التي طالتها، تبقى أفضل من ملاعب عدة في شمال إفريقيا وفي بلدان إفريقيا جنوب الصحراء تحتضن المباريات الدولية ولم توجه لبلدانها المراسلة التي وجهت للاتحاد التونسي لكرة القدم. لذلك يبدو أن رئيس الكاف أحمد أحمد الذي لديه خلافات كبيرة مع الترجي التونسي ومع اتحاد كرة القدم التونسي، بصدد البحث على ما من شأنه أن يضعف من حظوظ الأندية التونسية في الفوز بالألقاب الإفريقية، ومن تأهل المنتخب التونسي إلى نهائيات أمم إفريقيا وكأس العالم. فرئيس الكاف جعل نفسه طرفا في خلاف الترجي التونسي مع الوداد البيضاوي المغربي، وانتصر للوداد، وهو الذي تجمعه رابطة خاصة بالمغاربة، ناهيك عن أنه فعل كل ما يلزم لإقصاء المنتخب التونسي من نصف نهائي كأس أمم إفريقيا في مصر 2019 بمظلمة تحكيمية شاهدها العالم وصفق لها كثير من «الأشقاء». فالإتحاد الإفريقي لكرة القدم لم يعاين الملاعب التونسية وبعث بمراسلته في ذروة الحجر الصحي، والعالم منشغل بمحاربة فيروس كورونا، وكأن الأمر دبر في ليلة، من قبل من يترصد بكرة القدم التونسية ويرغب في إعاقة نجاحاتها قبل تفكيره في الوقاية من الفيروسات القاتلة.

خلدون الشيخ

الكرة يجب ان تدور حتى آخر نفس!

عادت بطولتان من الخمس الكبرى في عالم كرة القدم الأوروبية إلى الدوران مجدداً، باستئناف منافسات الدوري الالماني قبل 4 أسابيع، والدوري الاسباني ليلة الخميس الماضي بدربي الاندلس، وسيلحق بهما العملاقان الانكليزي والايطالي في الايام المقبلة، ليتنفس حبيسو المنازل الصعداء وبالشكر والعرفان لعودة ما يعشقون.

هذه هي الصورة التي يراد لها ان تنتشر، على أن عودة استئناف منافسات كرة القدم هي انقاذ لجماهير اللعبة الشعبية الأولى في العالم، ومؤشر لعودة الحياة إلى طبيعتها، رغم ان فيروس كورونا لم يندثر بعد، ولم يجدوا له علاجاً بعد، وما زالت حالات ايجابية تكتشف في عالم كرة القدم. لكن ما أرادوا قوله حقيقة من استئناف مسابقات كرة القدم، انها يجب ان تعود لتحريك عجلة الاقتصاد الراكدة، وانقاذ أندية عدة من الافلاس وأخرى من خسائر فادحة، وبالتالي عدم التأثير على مداخيل خزينة الحكومة، حيث تساهم كرة القدم في انكلترا بـ7.6 مليار جنيه استرليني سنويا في اقتصاد البلاد، ولهذا وضعت بروتوكولات صحية شكلية وصورية لا أكثر، لضمان التقيد بتعليمات وقواعد تبدو صارمة للحد من انتشار «كوفيد–19»، وتبدأ من ترك اللاعبين منازلهم إلى لحظة رحيلهم من أنديتهم، ان كان عقب التدريبات أو الانتهاء من المباريات الرسمية، والتشديد على التباعد الاجتماعي وعدم التلامس بشكل تدريجي، ورغم ذلك فانه منذ اليوم لاستئناف الدوري الالماني واللاعبون يحتفلون بالأحضان والعناق، وهذا أمام الكاميرات التلفزيونية، ومثلما شاهدنا احتفالات لاعبي اشبيلية ليلة الخميس الماضي بتسجيل هدفين في مرمى الجار بيتيس، وهذه من المفترض ان تكون المباراة الأولى في الليغا، والأعين كلها عليها. والغريب ان مسؤولي عدد من الاندية الانكليزية ما زال يجهل كامل القواعد التي يجب تطبيقها عند اقامة المباريات، وقبل 3 أيام على استئنافها.

أيضا ما فائدة بقاء مئات وربما الآلاف من الجماهير تتجمع خارج الاستادات، من دون احترام لقواعد التباعد الاجتماعي، في حين أنها من الممكن ان تدخل الاستادات وتلتزم بصورة أفضل بهذه الشروط والمعايير تحت اشراف المسؤولين والمراقبين في الاستادات، بدل تدخل القوات الامنية والشرطة لفك التجمعات وربما الاحتكاك مع الجماهير وصولا إلى الارتقاء إلى حالات شغب وعنف، ربما الأندية ومديروها لا يريدون تحمل هذه المسؤولية.

عندما نقرأ التقرير الأخير الذي أصدرته شركة «ديلويت» للخدمات المالية أن على الأندية الأوروبية أن تتوقع تأثير إيراداتها بشكل كبير جراء أزمة فيروس كورونا، رغم العديد من الأرقام القياسية التي حققتها في موسم 2018/2019، فاننا نتفهم استشراس العودة حتى بدون جماهير، وبدون ايجاد لقاح. وأظهر التقرير أن أندية الدوريات الأوروبية الخمسة الكبرى، إنكلترا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا وفرنسا سجلت إيرادات قياسية بقيمة 15 مليار يورو، بزيادة 9 % مقارنة بالعام السابق، الا ان التقرير توقع خسارة أندية الدوري الإنكليزي إيرادات بقيمة 500 مليون جنيه استرليني من عائدات البث التليفزيوني وإيرادات المباريات بسبب أزمة كورونا، كما أكد أن الصفقات القياسية في الكرة الأوروبية ستختفي في الوقت الحالي بسبب تبعات أزمة كورونا وتأثيراتها على اقتصاديات اللعبة والأندية. وأوضحت الشركة، بالتزامن مع تقريرها السنوي، أن كرة القدم على مستوى قطاعي الاحتراف والهواية تواجه تحديات هائلة ووجودية في بعض الأحيان.

بالنسبة لي، ورغم استئناف المباريات، الا انها «مثل قلتها»، اي انها بلا روح ولا حياة في ظل غياب الجماهير، رغم محاولات الأندية في الابتكار في وضع مجسمات ورقية وكرتونية لجماهيرها، الذين دفعوا أموالا لتكبير صورهم لوضعها في المدرجات، ورغم استحداث وسائل المؤثرات الصوتية التي من المفترض ان تصدح في المدرجات وحول الاستاد، لاضفاء جو حماسي على المباريات، الا انها تظل بلا نكهة، وهي مثلما نعتت «مباريات اشباح»، ليس هدفها الامتاع، بل ضمان الحصول على ما تبقى من حقوق النقل التليفزيوني، وأيضاً لضمان المداخيل من الشركات الراعية والاعلانات، ولهذا السبب فحسب، يجب ان تدور الكرة حتى آخر نفس!

@khaldounElcheik

مجتمع

الدكتورة رباب عبد الهادي تحصل على جائزة التميّز من رابطة أساتذة الجامعات الأمريكية... والمنظمات الصهيونية تحتج

نيويورك – «القدس العربي»: عبد الحميد صيام

فازت الدكتورة الفلسطينية رباب إبراهيم عبد الهادي بجائزة جورجينا سميث للبروفيسور المتميز يوم 20 أيار/ مايو من قبل رابطة أساتذة الجامعات الأمريكية، وهي من أقوى النقابات في مجال التعليم الجامعي وتضم ما يزيد عن 40 ألف عضو. والدكتورة عبد الهادي، هي رئيسة وكبيرة الباحثين في البرناج الأكاديمي لدراسات الجاليات العربية والمسلمة في الشتات وتدرس مجموعة من المساقات من بينها أول مساق في الجامعات الأمريكية عن فلسطين إضافة إلى دراسات الإسلاموفوبيا والمرأة والعرق والمقاومة والاستعمار في جامعة ولاية كاليفورنيا بسان فرنسيسكو.

والجدير بالذكر أن رابطة أساتذة الجامعات الأمريكية لا تمنح هذه الجائزة السنوية إلا «إلى شخص تتمثل به أو بها القيادة الاستثنائية من خلال تطوير واقع المرأة في المجال الأكاديمي أو في تحسين ظروف العمل النقابي وما يحدث نقلة نوعية في الحقل الأكاديمي بشكل عام».

وجاء في إعلان رابطة أساتذة الجامعات الأمريكية منح هذه الجائزة المميزة، «لقد أكدنا في ترشيحنا للدكتورة رباب عبد الهادي على دورها النوعي كمثقفة ناشطة داخل وخارج الحرم الجامعي عبر مبادرتها الفكرية والنضالية وتدريس مساقات عن «فلسطين–الممارسة التربوية وشمولية العدالة» إضافة إلى إصرارها على تطوير الفكر النقدي من خلال برنامج دراسات الجاليات العربية والمسلمة في المهجر الذي أنشأته وتديره في جامعة ولاية كاليفورنيا بسان فرانسيسكو».

وجاء في تعليل منح الجائزة أن الدكتورة رباب عبد الهادي «تمثل الشجاعة والإصرار والتفرس السياسي والالتزام بحقوق الإنسان بما في ذلك الحق في التنظيم النقابي والعدالة الجنسانية والجنسوية في بحثها العلمي وتدريسها وتوعيتها الجماهيرية وتعاونها مع مجموعات متنوعة في ميادين الأكاديميا والحقوق العمالية والمنظمات الشعبية والمجتمعية. إن التزامها بالمهنية العلمية الشاملة، والتي تعمل على بناء التفاهم المتبادل بين الشعوب، أمر واضح في برامج التعاون التي بادرت بها. وبصفتها مديرة برنامج الدراسات العرقية للعرب والمسلمين في المهاجر استطاعت رباب أن تجمع العديد من العلماء والناشطين والأكاديميين والمنظمين لإنشاء معرفة ترتكز على العدالة، وبناء تحالفات عريضة تجاه التغيير الاجتماعي في فلسطين والولايات المتحدة وعلى الصعيد الدولي. إن النموذج القيادي التي مثلته رباب عبد الهادي يتجاوز مسألة الانقسام بين مواضيع التدريس والنشاط الميداني والذي يتجاوز الحياة الجامعية التقليدية».

وفي تصريح حصري لـ «القدس العربي» حول الجائزة قالت البروفيسور رباب عبد الهادي حول ما تعنيه هذه الجائزة بالنسبة لها: «قيمة هذه الجائزة المعنوية أن رابطة أساتذة الجامعات الأمريكية أكدت عبرها على مشروعية حقوقنا جميعا في التعبير وحرية الكلمة ورفض كافة أساليب الحركة الصهيونية واليمين الأمريكي المرتبط معها لتكميم الأفواه وتجريم نشاطنا الجامعي الهادف إلى محاسبة إسرائيل وفرض المقاطعة الأكاديمية والثقافية على المؤسسات الإسرائيلية المشاركة في الاحتلال والاستعمار والعنصرية. كذلك فإن هذه الجائزة تمثل دعما مباشرا واعترافا علنيا ورسميا من قبل زملائي وزميلاتي في الحقل الأكاديمي الأمريكي بالضرورة الملحة لبناء برنامجنا الأكاديمي والذي يركز على إنتاج المعرفة الملتزمة بشمولية العدالة ويثبت حقنا بل واجبنا في تدريس فلسطين لطلبة الجامعات الأمريكية بشكل موضوعي يرفض الرواية الصهيونية الاستعمارية التي حاولت لأكثر من مئة عام محو تاريخ الشعب الفلسطيني على أرضه وإلغاء حقه في تقرير المصير والعودة والتحرير».

الدكتورة رباب عبد الهادي

وقد تلقت الدكتورة رباب العديد من رسائل التهنئة بهذا الفوز ونشرت رسالة شكر لرابطة أساتذة الجامعات الأمريكية قالت فيها: «شكرا لتهنئتكم ودعمكم المستمر. يشرفني حقًا منحي هذه الجائزة التي بأعتقادي أنها ملك لنا جميعا». وأضافت عبد الهادي في رسالتها قائلة: «إنها جائزه لكل من ضحى وواصل الدفاع عن العدالة من أجل فلسطين وعدم الرضوخ لتجزئة العدالة في جميع أنحاء العالم. إن هذه الجائزة تدل على توسيع الدعم لحقوقنا في الحريات الأكاديمية وحرية التعبير. وهي رفض واضح لمحاولات الحركة الصهيونية فرض تملكها لتاريخ وحاضر وتعبيرات اليهودية كدين وثقافة وجاليات مختلفة ومتعددة، إضافه إلى رفض خطاب الكراهية اليميني والتشويه والتسلط والترهيب. وهي كذلك تعكس ضرورة الإصرار الملح لرفض سقف القبول السائد للإسلاموفوبيا والعنصرية ضد العرب ومحاوله مسح الهوية الفلسطينية. إن إلحاق الضرر بأي منا يلحق ضررا بنا جميعا».

وأضافت أنها ترى في هذه الجائزة «تأكيدا على الحقوق الجماعية للأساتذة في الاتحاد والتنظيم والدفاع عن أعضاء هيئة التدريس والزملاء الجدد وطلاب الدراسات العليا والأساتذة، حديثي التوظيف وكافة الزملاء المهمشين. إن سبل نيل الرزق لفئات واسعة من زملائنا مهددة أصلا بسبب التفاوتات الموجودة مسبقًا والتي تعمقت بسبب أزمة كورونا الصحية العالمية». وقالت «إنني أضم صوتي إلى أصوات زملائي داخل وخارج الحرم الجامعي لنطالب بالالتزام الواضح بالممارسات الديمقراطيه والشفافية والعدالة. إنني أفخر بانتمائي للحركة التضامنية التي تتسع رقعتها في حرم جامعتي التي يقودها المجلس التنفيذي لنقابة الأساتذة في جامعة ولاية كاليفورنيا. إن الحضورغير المسبوق لاجتماع أعضاء نقابتنا الأسبوع الماضي عن طريق الفديو والبيان الذي وقع عليه ما يزيد عن 1000عضو من الهيئة التدريسية يؤكد على التزامنا بالدفاع عن حقوق زملائنا المحاضرين والذين يفتقدون إلى ضمان الديمومة في العمل وتلقي الأجور العادلة والتأمين الصحي وغيره من حقوق العمل».

محاولات سحب الجائزة

لقد حاولت المنظمات الصهيونية والمؤيدة لإسرائيل الضغط على رابطة أساتذة الجامعات الأمريكية للتراجع عن قرارها وتسحب الجائزه من الدكتورة رباب بدعوى مساواة مناهضتها العلنية للصهيونية بالعداء لليهود، وهو من إحدى مواضيع بحث وتدريس النشاط الثقافي العلني للدكتورة رباب، ومن أسباب الهجمة الصهيونية ضدها لأكثر من عشر سنوات لإسكاتها وتدمير البرنامج الأكاديمي الذي أسسته وتقوده.

ومن الجدير بالذكر أن القوى الصهيونية استخدمت نفس الأساليب التي اتبعتها هي والقوى الأمريكية اليمينية الأخرى تاريخيا وهي الابتزاز المالي والضغط على مؤسسات حقوق الإنسان حتى لا تتخذ مواقف علنية تضامنية مع القضية الفلسطينية. لقد طالب الأستاذ الصهيوني في جامعة الولاية بلوس أنجلوس، جوديا بيرل، بسحب رخصة الرابطة كمنظمة غير ربحية. ولكن الرابطة رفضت الخضوع لهذه الضغوط الصهيونية ورفضت التراجع عن قرارها، بل قام الاستاذ الكبير، هانك رايخمان، من لجنة الحريات الأكاديمية في الرابطة، بالدفاع عن الدكتورة رباب وعن أهليتها للجائزة وذلك ردا على هجوم شنته مؤسسة الرقابة الإسرائيلية الأكاديمية

وقالت رباب في معرض تصريحاتها لـ«القدس العربي» حول محاولات الصهاينة إلغاء وسحب الجائزة: «لقد حاول الصهاينة سحب الجائزة مستخدمين أساليب التشويه والتشهير في نشر التلفيقات لمحاولة إقناع رابطة الأساتذة بسحب الجائزة. وقد حاولت الحركة الصهيونية اتباع نفس الأساليب التاريخية التي اتبعتها هي وحلفاؤها من القوى اليمينية الأمريكية ومن ضمنها الابتزاز المالي والضغط على المؤسسات ومؤسسات حقوق الإنسان حتى لا تتخذ مواقف علنية تضامنية مع القضية الفلسطينية».

وتوضح عبد الهادي أن سبب الفشل يعود إلى أن الرابطة رفضت وترفض الأساليب المكارثية في الضغط وتشويه السمعة، ولأن الوعي بعدالة القضية الفلسطينية ينتشر ويتزايد بفضل سنوات طويلة من العمل الدؤوب من رابطة الخريجيين العرب إلى منظمة الطلبة العرب إلى الاتحاد العام لطلبة فلسطين إلى حركة التضامن التي تتسع قاعدتها يوما بعد يوم من أخوتنا وإخواتنا السود وأهل البلاد الأصليين واليهود الليبراليين والتقدميين واللاتينين والآسيويين والنقابات والشباب وكل من يؤمن بأن العدالة لا تتجزأ.

وتضيف رباب أن إدارة الجامعة تواطأ مع المنظمات الصهيونية وألغت كورسين لفصل الخريف هما: «جدارية فلسطين والفن المقاوم» و «دراسات الحدود المقارنة– فلسطين والمكسيك». وتقول إن السبب تواطؤ الجامعة مع الأجندة الصهيونية. «ادعت الجامعة أنها تحاول تخفيف النفقات في زمن الكورونا ولكن هذه الادعاءات مردودة عليهم لأنهم لم يعطونا المجال حتى نستقطب الطلاب بل ألغوا المساقين حول فلسطين قبل أن تسنح لنا الفرصة. فمثلا حاولوا إلغاء مساقين لي في الفصل الصيفي الحالي ولكن فشلوا لأن الطلاب مهتمون بالمعرفة عن العرب وعن الإسلام وعن قضية فلسطين وهذا يعكس اهتمام الطلاب في الجامعات الأمريكية بشكل عام. وكذلك هذا يفسر لماذا يرتعب الصهاينة وحلفاؤهم في قيادات الجامعات الأمريكية من تدريس فلسطين والمواد الأخرى القريبة والمتعلقة بالعرب والمسلمين. لكن دعني أضيف أن الجامعة تواجه أزمة حقيقية هنا لأنه لا مبرر أكاديميا أو منطقيا لإلغاء مواضيع يهتم بها الطلاب إلا إذا كان وراء ذلك تنفيذ المخطط الصهيوني الذي يهدف غلى حجب المعرفة بقضية فلسطين لإنقاذ إسرائيل من مأزقها الواضح حيث فشلت في إقناع الرأي العام الدولي شأنها شأن نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا والأنظمة العنصرية الأخرى».

وقد أصدر 200 أستاذ رسالة موقعة موجهة لرئيس جامعة الولاية بسان فرنسيسكو والرئيس العام لجامعات ولاية كاليفورنيا (وهي أكبر نظام للدراسات الجامعيه في الولايات المتحده) احتجاجا على هذا الإلغاء جاء فيها:

«نحن، علماء كاليفورنيا للحريات الأكاديمية، مجموعة مؤلفة من أكثر من 200 عالم في جميع أنحاء كاليفورنيا نكتب إليكم اليوم حول قلقنا بسبب إلغاء مساقين خاصين بفلسطين لبرنامج دراسات الجاليات العربية والمسلمة في الشتات (AMED) في جامعة الولاية بسان فرنسيسكو والمقرر تدريسهما في فصل الخريف 2020 تحت حجة مضللة حول ضرورة إخفائهما، حيث لم يتم تقديم هذه الفصول بشفافية في جدول الفصول الدراسية في الحرم الجامعي. السبب الذي قدم للبروفيسور عبد الهادي حول إلغاء الكورسين هو انخفاض في عدد تسجيل الطلاب في جامعة الولاية بسان فرنسيسكو بسبب جائحة كورونا. اننا نبدي قلقنا كذلك تجاه مدى تأثير هذا الإلغاء على مصدر رزق المحاضرين. وكما تعلمون فقد هدد كبار الأساتذة في جامعات أمريكية عديده بمقاطعة أي جامعه تتسبب في قطع سبل عيش المحاضرين».

رباب عبد الهادي من مواليد نابلس بفلسطين المحتلة انتقلت إلى الولايات المتحدة بعد إكمال دراستها الثانوية وحصلت على شهادة البكالوريوس من جامعة هنتر بمدينة نيويورك وعلى الماجستير والدكتوراه من جامعة بيل العريقة بولاية كناتكت.

سمكة حارة

المقادير

كيلو ونصف سمكة
حبة فلفل رومي لون أحمر
طماطم حمراء
بصلة وسط
4 حصص ثوم
عصير ليمونة
ملعقة خل
زيت زيتون
ملعقة دبس فليفلة
كوب كستناء
كوب جوز عين جمل
قرن فلفل أحمر
ورقة غار
ملعقة صغيرة كمون حب
ملعقة صغيرة فلفل أسود حب
ملعقة صغيرة كزبرة
5 حبات قرنفل
حبة جوزة الطيب
نصف ملعقة قرفة ناعمة

طريقة التحضير

نحمص البهارات مع بعض حتى تنتشر رائحتها ثم نطحنها. نشق السمكة خمس شقوق من الجهة العليا فقط نتبلها بنصف كمية البهارات وملح ونضعها على مناديل ورقية ونغطيها ساعتين على الأقل.

لتحضير الصلصة الحمراء نخلط حبتين طماطم بالخلاط ونضع الثوم وبصلة صغيرة وملح ودبس الفليفلة وحبة الفلفل الحارة ونخلط مرة ثانية. نضع الخلطة في طبق ونضيف باقي البهارات التي طحناها سابقاً ونضيف زيت زيتون حسب الرغبة ونضيف كوب ماء والخل ونحرك.

في صينية كبيرة نضع ورق قصدير ثم السمكة والصلصة ونغلق على السمكة ونضعها في الفرن 45 دقيقة ثم نكشفها ونتركها ربع ساعة بالفرن ثم نحمرها من فوق.

نخرجها من الفرن وننقلها إلى طبق التقديم.

نسكب الصلصة في مقلاة ونتركها على الغاز لتتسبك وتقدم مع السمكة.

للتزيين: نقطع بصلة شرائح ونشوحها حتى تتحمر مع ملعقة زيت زيتون على نار قوية ثم نضيف الفلفل الرومي المقطع شرائح ونضيف الكستناء والجوز وملح ونشوح حتى تتحمر المكونات ثم نزين السمكة بها، عند التقديم نضع قطعة من السمك ونسكب فوقها الصلصة الحارة.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

ما هو أفضل مكان لحفظ الطماطم؟

إنه نقاش مطبخي يثار منذ سنوات. هل حقا تتغير نكهة الطماطم الناضجة عندما توضع في الثلاجة تحت درجة حرارة سبع درجات مئوية مقارنة بدرجة حرارة الغرفة (التي تصل لنحو 20 درجات مئوية) بعد شرائها؟

يقول العلم إن مذاقها لا يتغير كثيرا. رغم أن الكثير من كبار الطهاة يصرون على أن تبريد الطماطم يقتل مذاقها، فإنه لا يوجد اختلاف ملحوظ بين النهجين على الأقل على المدى القصير، حسب نتائج جديدة توصل إليها فريق بحثي ألماني.

كلف العلماء من قسم جودة المنتجات النباتية في جامعة جوتينغن خبراء حسيين مدربين باختبار حلاوة وحموضة وعصارة الطماطم.

أخذ الباحثون سلسلة ما بعد الحصاد الكاملة في الحسبان. ووجدوا بشكل عام، أنه كلما قل وقت التخزين، كلما كان ذلك أفضل للنكهة والفيتاميات. وهذا يعني أن قصر مدة وجود الطماطم نسبيا في الثلاجة لن يكون له أثر على الطماطم.

وتوضح لاريسا كانسكي المشرفة الرئيسية على الدراسة: «نوع الطماطم هو الشيء الذي له أقصى أثر على النكهة». وبالتالي، تطوير أنواع جديدة ذات نكهة أفضل يمكن أن يكون خطوة تجاه تحسين جودة الطماطم.

ينتمي نبات الطماطم، إلى جنس المغد، ويزرع في المناطق الاستوائية عادةً كنباتٍ معمِّر، أمّا في المناطق الأخرى فغالباً ما يكون نَباتاً حَولياً، وفي معظم أصناف الطماطم تكون الثمرة غير الناضجة خضراء اللون، ثم تُصبح حمراء داكنة عند نضوجها. هناك مجموعةٌ من الفوائد الصحيّة للطماطم تُقسَّم وفقاً لمحتواها الغذائي، وفوائد أخرى حسب درجة فعاليتها في الحالات المَرَضيّة، وهي تحتوي من العناصر الغذائية على فيتامين ج الذي يُعدّ مُهماً لشفاء الجروح وبناء العظام والأسنان بشكل قوي، والمحافظة على وظيفة جهاز المناعة، ومن فوائده أنّ له تأثيراً خافضاً لضغط الدم، وفيتامين ك، والكالسيوم في الطماطم يُفيد في تقوية العظام، وإصلاحها، وتحسين كتلتها. وتُعدّ الطماطم مُرتفعةً بمحتواها من الألياف الغذائيّة والماء، إذ تُشكّل الألياف معظم كمية الكربوهيدرات الموجودة فيها. ويمكن لتناول الطماطم أن يُفيد الأشخاص الذين يُعانون من الربو، كما قد يُساعد على الوقاية من النخاف الرئوي. وزيادة استهلاك الطماطم في النظام الغذائي يُمكن أن يساعد على تُخفيف الالتهابات، وتعزيز جهاز المناعة، وتُقليل مستويات الكوليسترول في الدم، وتقليل تخثّر الدم، وبالتالي المساعدة على تقليل خطر الإصابة بالسكتة الدماغيّة.

الحمل

كل شيء يسير على ما يرام من الناحية المهنية

الثور

تضيع من بين يديك فرصة اليوم فلا تحزن

الجوزاء

حاول المحافظة علـى النجاح الذي حققته في عملك

السرطان

كن واقعيا وحكيما في تصرفاتك وأفعالك

الاسد

ابتعد عن الخلافات وركز على عملك

العذراء

تسمع كلمات التقدير لموهبتك في العمل

الميزان

تظهر انفتاحا كبيرا على الأصدقاء

العقرب

استمتع بوقتك لتتخلص من قلقك

القوس

لديك الكثير من الإيجابيات في هذا اليوم

الجدي

الشريك سيكون عاملا مساعداً في النجاح

الدلو

خبراتك ستقوي مكانتك بين زملائك

الحوت

اهتم بأمورك العاطفية ولا تعجز في التعبير

جديد الطب

أدوية ضغط الدم الشهيرة لا تزيد مخاطر الإصابة بفيروس كورونا

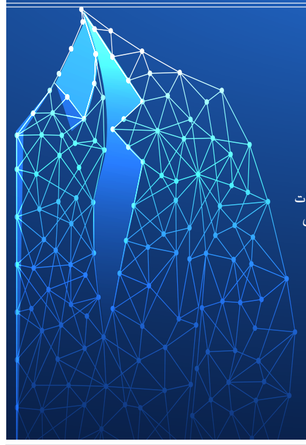

قدم بحث جديد دليلا يطمئن مئات الملايين من المصابين بارتفاع ضغط الدم بأن الأدوية الشهيرة لعلاج المرض لا تزيد مخاطر الإصابة فيروس كورونا وذلك على عكس ما كان يخشاه بعض الخبراء.

وأصبحت فئتان من الأدوية المخفضة لضغط الدم وهما «مثبطات الإنزيم المحول للأنجيوتنسين» و«حاصرات مستقبلات الأنجيوتينسين 2» موضع تدقيق بعد إعلان المراكز الأمريكية لمكافحة الأمراض والوقاية منها في نيسان/أبريل الماضي عن أن 72 في المئة من المصابين بمرض كوفيد–19 في المستشفيات، وهم في سن الخامسة والستين فأكثر، يعانون من ارتفاع ضغط الدم.

ويعتقد أن تلك العقاقير تثير نشاطا يقع في نفس المسارات البيولوجية التي يستخدمها فيروس كورونا لمهاجمة الرئتين. ودفع ذلك خبراء في جامعة أوكسفورد لتوصية المرضى بوقف الأدوية حتى تحديد المخاطر بدرجة أفضل بينما نصح خبراء آخرون المرضى باستمرار العلاج.

وخلصت دراسة جديدة أعلنت نتائجها يوم الجمعة إلى عدم وجود مخاطر أكبر، سواء تتعلق بالإصابة أو الاضطرار إلى دخول مستشفى للعلاج من كوفيد–19، نتيجة استخدام عقاقير من الفئتين المذكورتين وذلك مقارنة بأدوية ضغط الدم الأخرى.

ونصح مؤلفو الدراسة مرضى ضغط الدم المرتفع بعدم وقف العلاج بهدف تفادي الإصابة بالفيروس الذي أصاب أكثر من 7.5 مليون شخص في أنحاء العالم وأودى بحياة ما يزيد على 420 ألفا.

وقال مارك سوشارد خبير الإحصاءات الحيوية في جامعة كاليفورنيا الذي شارك في إعداد الدراسة «ما توصلنا إليه مطمئن تماما. الاعتماد على (أدوية من فئتي) مثبطات الإنزيم المحول للأنجيوتنسين وحاصرات مستقبلات الأنجيوتينسين 2 آمن تماما كأدوية الخط الأول الأخرى المخصصة لعلاج ضغط الدم وذلك فيما يتعلق بمخاطر الإصابة بكوفيد–19».

السياسة في ظل كورونا: سباق على اللقاح أم لقاح للجميع؟

يُجمع شي جين بينغ وإيمانويل ماكرون وأنغيلا ميركل ومنظمة الصحة العالمية، على ضرورة أن يكون أي لقاح ضد فيروس كورونا المستجد «منفعةً عالمية عامة»، لكن في واشنطن، لدى دونالد ترامب أولوية واحدة وهي تلقيح مواطنيه قبل كل شيء.

وحيث تختلط السياسة بجائحة كورونا، تظهر للعلن خفايا المواقف وكواليس الساسة عبر العالم، فقد أعلنت الولايات المتحدة الخميس 21 أيار/مايو الماضي تمويلاً خارقاً بقيمة 1.2 مليار دولار للمختبر البريطاني «أسترازينيكا» الذي سيصنّع اللقاح المحتمل لجامعة أوكسفورد، بشرط أن تنقل التكنولوجيا إلى أمريكا وتوفر لها 300 مليون جرعة.

بين الملكية الفكرية والجرعات الأولى

خلف مبدأ «المنفعة العالمية العامة» تكمن في الواقع إشكاليتان منفصلتان، أولاهما إشكالية الملكية الفكرية، والثانية إشكالية توزيع الجرعات الأولى. وقد يكون حلّ الإشكالية الأولى أكثر سهولةً من الثانية.

تطالب أفريقيا من جهتها بلقاح غير خاضع لقيود الملكية الفكرية، كما أعلن رئيس جنوب أفريقيا سيريل رامافوسا، لكن تحقيق ذلك يبدو غير مرجح، إذ ستكون المختبرات راغبة في استرداد المليارات التي استثمرتها، ويمكن لها الاعتماد في هذا الإطار على دعم الولايات المتحدة، المعادية لأي مراجعة لحقوق الملكية الفكرية الدولية، كما أكدت رداً على منظمة الصحة العالمية.

وبدون شك، لن يكون اللقاح المرتقب مجانياً. أما بالنسبة للسعر، فستسعى المجموعات التي عملت على تطويره إلى استرداد سعر كلفة الإنتاج بالحد الأدنى.

وتعهّد سعر الكلفة أيضاً ليس بالأمر الموضوعي، كما كان قُطع تعهد مماثل لعلاجات فيروس نقص المناعة، كما يكشف ماثيو كافاناه من جامعة جورج تاون، لكن المصنعين غير الرسميين وجدوا بعد ذلك هامشاً كبيراً للمناورة، وخفضوا الأسعار بعشرة أضعاف أو أكثر.

من جانبه يشير مارك فينبرغ المدير العلمي السابق لشركة «مرك فاكسينز» والرئيس الحالي لـ«المبادرة الدولية للقاح الإيدز» إلى أن المختبرات تعلمت الدرس ولن ترغب في التحول إلى طرف «منبوذ» في المعادلة، ما قد يسيء لسمعتها وقدرتها على تحقيق الأرباح.

ويعتقد فينبرغ أن تشارك الملكية الفكرية سيتم حتماً، لأن «لا أحد يستطيع بمفرده الاستجابة للطلب العالمي، وسيجبر أي طرف على البحث عن شركاء من أجل صناعة المنتج».

من سيحظى باللقاح المعجزة أولاً؟

من هنا، يكون السؤال الأصعب، في نهاية المطاف: أي من سكان الأرض البالغ عددهم 7.6 مليار نسمة سيلقح أولاً؟

تسعى منظمة الصحة العالمية وأوروبا والمنظمات غير الحكومية العاملة في مجال مكافحة فيروس كورونا المستجد، لإنفاذ آلية توزيع «عادل» غير مسبوقة، تنطلق بالمبدأ من تلقيح العاملين في مجال الصحة في كافة البلدان التي طالها الفيروس، ثم العاملين في وظائف أساسية كالشرطة والنقل، وبعدهم يأتي بقية السكان.

لكن ترامب الذي ينتظر عودة الحياة إلى طبيعتها بفارغ الصبر، لا يعير اهتماماً لهذا التضامن العالمي، وهدف حكومته إنتاج 300 مليون جرعة بحلول كانون الثاني/يناير 2021 أي ما يكفي لتلقيح كافة الأمريكيين من شباب وكبار في السن، علماً أن ذلك لا يزال مجرد فرضيات كون الاختبارات السريرية قد بدأت للتو.

ويعتبر عميد كلية الصحة العامة في جامعة يال الأمريكية ستيفن فيرموند أن «عقليته (ترامب) شديدة الانعزالية، كارهة للأجانب للغاية، وهو عكس ما نحتاج إليه للسيطرة على الجائحة». ويضيف أن «الولايات المتحدة ليست جزيرة منعزلة وتعتمد بشدة على الآخرين في الخارج للاستهلاك والغذاء» موضحاً «لن نعود إلى الحالة الطبيعية إذا كان فيروس كورونا لا يزال ينهش بقية العالم».

يبقى أن حكومة ترامب استثمرت منذ شباط/فبراير مئات الملايين من الدولارات في تجارب لقاحات تجريبية تطورها مجموعات «جونسون أند جونسون» و«موديرنا» و«سانوفي» و«أكسفورد/أسترازينيكا» أملاً في أن تثمر إحداها ويصنع بالتالي اللقاح في الولايات المتحدة.

وقال مدراء «موديرنا» وهي شركة تكنولوجيا حيوية و«سانوفي» ما مفاده إنّ بإمكان أوروبا أن تستوحي من الخطوة الأمريكية.

من نقطة الصفر بلا قاعدة بيانات

لكن على عكس عام 2009 عند انتشار فيروس «اتش وان إن وان» يجري «الانطلاق هنا من صفحة بيضاء، ليس لدينا لا لقاح ولا مصنع» كما تقول باسكال باروليه من مؤسسة «غافي» التي تشتري اللقاحات للدول النامية.

واستثمر «تحالف ابتكارات التأهب الوبائي» الذي أنشئ عام 2017 لمواجهة الإخفاق الأولي في احتواء فيروس إيبولا، نصف مليار دولار في تسع شركات تطور لقاحات ضد كوفيد–19. ويطلب منها في المقابل أن يجري تشارك التقنيات المطورة من أجل عملية إنتاج سريعة وضخمة.

ومع هذا الدعم، تعمد المختبرات على إنشاء سلاسل إنتاج إضافية من دون انتظار نتائج الاختبارات السريرية.

وتعقد الشركات تحالفات فيما بينها، ويمكن لموديرنا الإنتاج في الولايات المتحدة (للسوق الأمريكي) وسويسرا (للسوق الأوروبي). وتتعاون سانوفي مع «جي إس كا» المنافسة، وتملك الشركتان العملاقتان مصانع في أوروبا وأمريكا.

لكن لتلقيح الكوكب كاملاً، لا بد من الأمل في أن تثمر عدة اختبارات لإنتاج لقاح وليس واحداً.

(Dw)

منوعات

حسن حسني النجم الذي بدأ مشواره بأدوار الكومبارس!

حسن حسني

كمال القاضي

مدارات كثيرة دار حولها الفنان الراحل حسن حسني خلال رحلته الفنية المضنية، فلم يكن الطريق ممهداً أمامه ليصبح ممثلاً يشار إليه بالبنان كما كان يعقد الآمال، وهو لا يزال مجرد طاقة فنية كامنة تنتظر الفرصة لتتفجر. لقد أفنى الممثل المغمور وقتاً طويلاً وهو يجرب حظه في الفرق المسرحية الصغيرة متلمساً النور في دربه العسير، وحين شارك لأول مره في التمثيل في الفرقة المسرحية العسكرية كان ذلك بمثابة الوعد الذي ظل يترقبه ليؤكد أن موهبته ليست وهماً. ولكن حُلماً أكبر من تلك البداية البسيطة كان يراود الفنان العنيد فبات يبحث عن الأفضل من الفرص بين الفرق المسرحية الأخرى إلى أن تجاوز مرحلة الحُلم فصار وجودة الفني حقيقة وواقعاً ملموساً.

بعد مرحلة التجريب الطويلة في المسرح كان اللقاء الأول مع السينما عابراً، لكن الموهبة استطاعت أن تثبت نظر الجمهور على اللمحة العابرة التي ظهر خلالها الممثل الناشئ على الشاشة في فيلم «الكرنك» للمخرج علي بدرخان ليضع دقائق ضمن مجموعة من المقبوض عليهم والمساقون عنوه للتحقيق في قضية سياسية لا يعرفون عنها شيئاً حسب المقصد الدرامي للسيناريو المكتوب آن ذاك، وبدوره استطاع حسن حسني بمجرد النظرة أن يترك التأثير التراجيدي المطلوب واحتُسبت له الفرصة العارضة كإطلالة متميزة من نافذة السينما على عالم الشهرة والإبداع والتمثيل وقُيدت لصالحة كسابقة أولى مُبشرة.

وكما كان متوقعا لم تمر الإشارة السينمائية الدالة على ميلاد الموهبة الجديدة مرور الكرام، ولكنها جاءت كنقطة بداية لتتوالى بعدها نقاط كثيرة تضع حسن حسني داخل دائرة الضوء فتأتيه الفرصة الأكبر متمثلة في دور أكثر وضوحاً في فيلم «سواق الأتوبيس» مع المخرج عاطف الطيب أمام نور الشريف وعماد حمدي وعلي الغندور ووحيد سيف، فيلفت النظر مجدداً أداءً وتمثيلاً، حيث تميز أسلوبه بالتلقائية الشديدة فارتقى إلى عدة أدوار أخرى أسندها إليه مخرجون كبار كان الطيب على رأسهم، إذ منحه فرصة العمر في فيلم «البريء» ليجسد الشخصية الثانية بجوار محمود عبد العزيز، الضابط المستبد المسؤول عن المعتقلين السياسيين في فترة الستينيات، وقد تفوق حسن حسني في القيام بدور الصول القاسي تفوقاً ملحوظاً كان كفيلاً بتقدمه بخطى واثقة في مسيرته السينمائية ليصبح واحداً من أهم نجومها وأكثرهم تمرساً واحترافية.

وثمة ارتباط شرطي بين نجاح فيلم «البريء» وبين الفنان الراحل بكر عزت وعبد العزيز مخيون ومحمد وفيق ليتم الرهان عليه من جانب المخرج الكبير ليكون نداً لكل هؤلاء من دون وجود أدنى مسافة بينهم، فيكسب الرهان بإصراره على التميز وتماهيه الكامل داخل شخصية الضابط القيادي المعاون لأبو بكر عزت في التخطيط للقبض على المجرم الهارب. وبمقياس الإجادة نفسه والتفوق، يلعب دوراً مشابهاً مع أحمد زكي للمرة الثالثة في فيلم «زوجة رجل مهم» للمخرج محمد خان، يجسد فيه دور ضابط كبير في قطاع أمني مهم تتم إقالته من منصبه جراء فشله في احتواء أحداث الشغب التي جرت وقائعها في سبعينيات القرن الماضي، وهي أحداث منقولة عن حوادث حقيقية وثقها الفيلم وأصبح شاهداً عليها.

وظل الفنان الكبير الراحل حسن حسني خلال رحلته الطويلة يقدم نوعيات سينمائية تتباين في مستوياتها الفنية والدرامية، لكنها تعكس صدق موهبته وجوهر ثقافته، ولعلها أيضاً تكشف جانباً من انتمائه الإنساني للطبقة الوسطى وانحيازه الاجتماعي للهامشيين الذين يعيشون على حد الكفاف وهذه المعاني بدت واضحة وجلية في أفلام مثل «سارق الفرح» للمخرج داود عبد السيد و«دماء على الأسفلت» و«كتيبة الإعدام» و«ناصر 56 والديكتاتور» والأخير على وجه التحديد كان إلى حد ما يدق ناقوس الخطر للتنبيه إلى عواقب توريث السُلطة قبل نحو 12 عاماً تقريباً، ولم تكن مثل هذه التجارب مُستحبة، وإنما تحت الغطاء الكوميدي تم تمرير الفيلم باعتباره عملاً خفيفاً وحسب. ولكن بعد سنوات من إنتاجه أعيد تقييمه من جديد كتجربة مكنت حسني من تحقيق حُلمه في البطولة المطلقة التي لم تأته إلا مناصفة مع أحد النجوم الشباب حينئذ خالد سرحان.

وأمام إصرار المنتجين والمخرجين على وجود الممثل القدير كعنصر في المعادلة الفنية ضمن عناصر إضافية، فلم يجد بدا من القبول بالأمر الواقع وأخذ في قبول أدوار كثيرة أقل من قدراته وموهبته كان لها في بعض الأحيان تأثيرات سلبية على تقييمه كممثل، خاصة سلسلة أفلام «اللمبي» التي قدمها مع محمد سعد وما تلاها من تجارب مماثلة مثل «عبود على الحدود» و«الناظر» و«يا أنا يا خالتي» و«حبيبي نائماً» و«كده رضا» وغيرها من أفلام لم تكن سعيدة الحظ من حيث الجودة وإن كانت قد لاقت رواجاً في حينها وحققت أرقاماً قياسية من الأرباح في شباك التذاكر، لكنها خصمت من رصيد الفنان ومسيرته ما لم تعوضه الإيرادات التي ذهبت كلها إلى جيوب المنتجين لينفرد وحده بالنقد واللوم والمسؤولية الأدبية أمام الجمهور الذي أحبه وعاتبه واختلف معه وغفر له.

«نشيد الإنهيار» يحذر المسؤولين غاضباً
هشام جابر: لا خطر كورونا في البارات

بيروت ـ «القدس العربي»:
زهرة مرعي

من رحم انتفاضة 17 تشرين الأول/اكتوبر 2019 وجدت أغاني سرفيسات موضوعات لا تحصى للتعبير عنها بلغة ساخرة، وغاضبة أو عاطفية. ومهما كانت اللغة يبقى الأسـاس أنـه تعبير معمّد بالألم والمرارة من سيرة حاكمين يتفننون في تعذيب الناس.

كان «مترو المدينة» يستعد لحفل جديد من أغاني سرفيسات، حين داهمت كورونا الجميع وفرضت الإقـفـال الـتـام. وحـتـى لا يطول الغياب تعرّف الجمهور إلى بعض هذا الجديد عبر وسائل التواصل الاجتماعي. «ليرة ودولار» الأغنية العاطفية الساخرة كانت البداية، ومؤخراً وصلنا «نشيد الإنهيار» الذي حظي بتفاعل واسع جداً.

مـديـر «مـتـرو المـديـنـة» كاتب وملحن ومخرج الأغنيتين يسجل في مسيرته الفنية خطوات تُحسب له لجهة التعبير الدقيق والتوصيف الحقيقي عن مواجع الناس. وإن كانت حركات الانتفاضة والثورة تُسجل كعلامة في تاريخ الشعوب، فإن الفنون المولودة من رحم المرحلة تشكل تأريخاً يبقى ويستمر وربما يُدرّس في الآتي من السنوات.

مع هشام جابر هذا الحوار:

○ «يا ليـل يا ليل يـا إما كتير نهـار»، هـل هـي ذروة الألم من الواقع؟ وهل بلغ التهكم ذروته؟

● بل هي ذروة الاختناق. وصل الضيق إلى حدود البلعوم. «نشيد الإنهيار» أغنية من بين مجموعة كان مفترضاً تقديمها في حفل نفتتح به «أغاني سرفيسات» في 24 آذار/مارس الماضي، وجاءت كورونا وتدابيرها، وقررنا تقديم النشيد منفرداً.

○ ماذا عن ولادته؟

● ولادة حصلت في آتون الثورة. هكذا وبكل بساطة بلغت الكلمات الورق سريعاً ومن دون مجـهـود واضـح. وجـدت وكـان الكلمات كانت مجتمعة في داخل القلم وتنتظر حضور الورق. وفي الحفل الذي لم يتم كنا بصدد تسع أغنيات جـديـدة جميعها متصل بـالـواقـع الـذي نعيشه. إحداها نزلت مع فيديو كليب تمّ تنفيذه خلال الحجر المنزلي بعنوان «ليرة ودولار» وغنتها كوزيت شديد. «ليرة ودولار» أغنية عاطفية تم تركيب كلامها انطلاقاً من علاقة المـصـارف بـالـدولار والـنـاس. هي قـصـيـدة حـب متصلة بالوضع القائم، اعتمدنا فيها نسقاً لحناً قديماً، وسبقت «نشيد الإنهيار» بشهر واحد. ووجدت تجاوباً جيداً من المتلقين.

○ «نشـيـد الإنهيار» صرخة أم نشيد؟

● صرخة من دون شك وبشكل نشيد. هو الكلام الذي نردده يومياً في الجلسات الضيقة. «نشيد الإنهيار» أغنية من بين مجموعة كان مفترضاً تقديمها في حفل نفتتح به «أغاني سرفيسات» في 24 آذار/مارس الماضي، وجـاءت كورونا وتدابيرها، وقررنا تقديم النشيد منفرداً.

○ ماذا عن ولادته؟

● ولادة حصلت في آتون الثورة. هكذا وبكل بساطة بلغت الكلمات الورق سريعاً ومن دون مجـهـود واضـح. وجـدت وكـان الكلمات كانت مجتمعة في داخل القلم وتنتظر حضور الورق. وفي الحفل الذي لم يتم كنا بصدد تسع أغنيات جـديـدة جميعها متصل بـالـواقـع الـذي نعيشه. إحداها نزلت مع فيديو كليب تمّ تنفيذه خلال الحجر المنزلي بعنوان «ليرة ودولار» وغنتها كوزيت شديد. «ليرة ودولار» أغنية عاطفية تم تركيب كلامها انطلاقاً من علاقة المـصـارف بـالـدولار والـنـاس. هي قـصـيـدة حـب متصلة بالوضع القائم، اعتمدنا فيها نسقاً لحناً قديماً، وسبقت «نشيد الإنهيار» بشهر واحد. ووجدت تجاوباً جيداً من المتلقين.

○ «نشـيـد الإنهيار» صرخة أم عن حل لأزمتنا الطويلة.

○ هل أطلقـت تعريف «أغاني سرفيسـات» علـى أحـد برامج «مـتـرو المـديـنـة» إيمانـاً بالفن الإنساني والمطلبي؟

● مـن دون شـك. أغـانـي سرفيسات تعبير عن حاجة ظهرت في وقتها وكانت صادقة. تحت هذا العنوان غنينا القضايا التي يجب تسليط الضوء عليها. ودائما هناك قضايا لم نعبر عنها بعد. خلال الثـورة سـاد الأمـل لـدى الجميع، واعتقدنا بأننا نقترب من التغيير الحقيقي. وجود الناس في الشارع بالشكل الذي كان بعد 17 تشرين الأول/اكتوبر شكل دفعاً للفنان ومـدّه بالطاقة لقولبة القضايا والإحساس بمشاعر عامة الناس، وبالتالي تركيب لحن صغير مولود من مأساتهم. لو لم تكن هناك حاجة لتلك الأغنيات لما وجـدت. فنحن ناس ومن الناس ونعيش مثلهم.

○ لماذا إطلاق جملـة «وحياة العيون اللي انطفت»؟ هل تشـعـر بالمـسـؤولية حيـال مـن فقدوا عيونهم بالرصاص المطاطي؟

● كنا في الشارع بهدف التغيير. منهم من فقد الكثير من دمه، أو فقد عينه. وآخرون تركوا أعمالهم لأجل مواكبة الثورة. هذا ليس هباء. وهذا ليس مجاناً. هي تضحيات يجب أن تجد مكافأة بحجمها. الأغنية لا تشكل شيئاً في هـذا المـجـال. قد أكون أنا أو أنت من فقد عينه. واجبنا أن نـأخـذ حـقـوق هـؤلاء وبالكامل. أن نشارك في المظاهرة أو نطلق نشيد الإنهيار، وهذا صغير جداً بمقياس ما قدمه وهم فقدوا حياتهم أو عيونهم وهم كثر.

○ هل أعادتك أحداث يوم 6 من الشـهـر الحالي بالإحباط من أننا نراوح مكاننا في وطن الطوائف؟

● أبداً. «نشيد الإنهيار» وصل للجمهور عبر فيسبوك وبـدون دعاية مسبقة، وسجل تفاعلاً عالياً جداً لأنه يحكي وجع الناس. ما زال الناس في حالة شحن، والسلطة الحاكمة تسعى لإفشال أي تغيير، رغم كونها تدرك مدى حساسية الأوضاع. الناس يلازمون منازلهم، يخسرون أشغالهم «صـارو ع الأرض». والخوف الآخر هو على الحياة من وباء كورونا. في هذه المرحلة تقوم السلطة بالتخريب وعلى المواطنين المزودين بالوعي مهمة البـنـاء. نشك في كافة ما تمـارسـه السـلـطـة وبـقـراراتـهـا وتذرعها بكورونا. ونسأل لماذا أرقام المفرد والمـزدوج للسيارات؟ لماذا إعادة افتتاح النوادي الرياضية والإبقاء على المسارح ودور السينما مقفلة؟ ثمة حماقة في تقدير الأمور، والسـلـوك الـدائـم الإستخفاف بالثقافة في حياتنا. ربما يتذرعون بـأن الـنـاس ليست فـي حاجة للثقافة، لكنهم يئسون أن شركات متعددة وموظفين ينتظرون لحظة العودة إلى العمل لمتابعة الحياة بعد أشهر من البطالة. هل للمسرح أن ينقل الكورونا وكازينو الميسر يمنع ذلـك؟ هل صـالات الميسر تحافظ على المسافة الآمـنـة وكـل شيء يسير على ما يرام؟ هذا الواقع يقول بشكل واضح وصريح كيف تتعامل هذه الحكومة مع الثقافة. فإن كان التوجه بأن تأكل الناس وتشرب فقط لا غير ففي رأينا أنهم يعملون لتحويلنا إلى بهائم. لهذا يفترض الخروج للناس بقرارات واضحة ومـدروسـة. فتح الـبـلاد يجب أن يكون منطقياً وعدم مساواة خطورة المـسـارح ودور السينما مـع من يلعبون «الفيديو غيم».

○ «بس نطلع فيكن برموشكن راح منلـزق»، في رأيـك هل يرف جفن لأحد من أهل هذا النظام؟

● نقول لهم بأننا سنكون لهم بالمرصاد بمجرد أن يستيقظوا من النوم وسنلتصق بعيونهم. وصل الألم إلى أقصاه وسنبقى نطالب بحقوقنا كمواطنين. وإن لم يرضوا بنا ليعلنوها وليقدموا لنا تسهيلات الرحيل. إلى الآن نستثمر أعمارنا ورصيدنا في وطننا، لكننا سنصل إلى مكان يفترض أن ننال حقوقنا. فالعطاء لا يدوم أبداً. وخيارنا أن نطالب دائما بحقوقنا.

○ بعـد شـهـر مـن الانتفاضة كانت عـودة مختلفة لمترو المدينة بحيث تُركت حريـة الدفع وطلب الطعام للرواد، هل كان النتيجة مرضية للإدارة وللعاملين؟

● عندما اتخذنا قـرار تأمين الحياة والعيش من شباك التذاكر كنا ندرك أننا سنكون عُرضة لكل ما يحصل في بلدنا. تابع «مترو المدينة» عمله لأن الناس تقصده رغبة في برامجه وتدفع بدل هذا النوع من الفـنـون. نسير حسب نبض الشـارع ومشاعرنا. خلال الانتفاضة كنا أمام خيارين الاقفال وبالتالي يذهب كل ما بنيناه مع مجموعة الفنانين هباء. أو نتابع ونترك حرية الدفع للرواد على أن نتوزع ما نجنيه كأسرة متكاملة. لم نكن في أحسن حال لكنه كان مرضياً للفريق مجتمعاً، والسبب أننا جميعاً نتفهم الواقع، وننتظر أن يمر بـأقـصـر زمـن ممـكـن. مع كورونا بلغ زمن الإقـفـال الثلاثة أشـهـر، وسبق ذلـك إقـفـال لشهر متواصل مع بدء الثورة. لسنا في وضع سهل، وما ندفعه للموظفين يشبه الإعـاشـات. نقسّم ما لدينا من أمـوال على الموظفين وهـم لا بأس بهم عددياً، إلى جانب الفنانين الذين يعيشون من عملهم في المترو، نحن بحدود الـ100 شخص نعتاش من هذا المكان. وعندما يسمحون لنا بالعودة ستكون الصالة بجزأين أحدها للحجز المسبق، والآخر من دون حجز ودفـع البدل المناسب للشخص.

○ وهل المترو فكـرة تتأقلم مع كافة الظروف خاصة الدولار الذي تخطى حـدود الاربعة آلاف ليرة ويهدد بالمزيد؟

● إن كانت هـذه المدينة التي نعيش فيها لا تـزال فـي حاجة للمترو سيستمر، وإن كانت لها أولـويـات أخـرى فماذا في يدنا؟ نعيش من شباك التذاكر كما سبق القول. ونطور المحتوى الذي نقدمه بـالـتـوازي مـع الجـمـهـور. ويبدو أننـا وخـلال السـنـوات الثماني الماضية حققنا نتائج «كويسة» مع الجمهور الـذي تقدمنا بالتوازي مع الفـنـانـين لـحـدود عـدم إمكانية المتابعة، ووصلنا لتعثر في تسديد المستحقات الدورية، من دون شك الإقـفـال يهددنا. طرحنا السؤال على ذاتنا وعلى آخرين «هل يمكننا المتابعة؟ وكم نحن قادرون؟» أسئلة حملها إستبيان شارك فيه بحدود الـ700 شخص، وتبين أن المترو حاجة أساسية لـ99 في المئة من هؤلاء. كحل نسعى لتقديم طلب دعم من مؤسسة «أفاق» لم يسبق أن فعلنا، لكن الزلزال الذي تعرضنا له حتّم ذلك. وأي دعم نتلقاه نرغب في أن نتابع معه الشكل الذي عُرفنا به ومن دون تعديل. ومن الحلول المطروحة نقل عروضنا إلى المناطق وفي أماكن مفتوحة. كل هذا ينتظر كلمة «إفتح» من المسؤولين.

○ كان لافتاً في زمن الانتفاضة دعـوة جـبـران بـاسـيـل لمقاطعة المترو. كيف كان الإنعكاس؟

● لـسـت أدري مـا حـصـل له حينها؟ كان الإنعكاس إيجابياً جداً، وزاد الجمهور بشكل لافت وتعرّف إلينا رواد جدد. بمجرد أن ظهرت دعوة جبران باسيل على تلفزيون «أو تـي فـي» كـان للناس موقف متقدم عنا كمؤسسة. وتلقينا سيلاً من اتصالات الدعم.

○ هل تقول شكراً لجبران؟

● لا ننطق بشكر لأي مسؤول. كشعب وضعونا تحت الأرض ما يصح قوله دعاء من القلب بتكسير أياديهم.

○ هـل يـراودك مـا كنته في البدايـات بعـد تخرجـك مـن الجامعة؟ أم ترغب في الاستمرار في التجريب متحـرراً من أي قيد كلاسيكي؟

● المسرحية الأولى التي قدمتها في حياتي المهنية بعنوان «كولا بربير متحف دورة». وفيها جلس الجمهور على المسرح والممثلون في الصالة. من ثم كان لي عرض صولو، وبعدها عـرض مسرحي داخل بناء. المسرحيات الخمس التي قدمتها قبل المترو شكلت جزءاً من تجربتي التي أتابعها حالياً. إنها لعبة تكوين جمهور والتقدم معه نحو مكان ما. كل هذا يفرض أن يترك الفنان بعض أنانيته كمدرك للحقيقة المطلقة، وتالياً السعي مع الجمهور لتجريب ما لم يألفه من الأعمال الفنية. وهكذا يكون اللقاء بين الفريقين حيث يرغبان معاً. هذا ما تعلمته في الجامعة وما اكتسبته بالعلاقة مع الجـمـهـور، واعتبر النتيجة مرضية لي كفنان.

○ نلمس بأنك مجيد في تقديم الأغنيات الشـعـبية وغيرها فهل درست الموسيقى؟

● مطلقاً. بعض الأنغام تتولد عندي مع كتابة الكلمات. السبب أن أذني «كويسة». لاحقاً يجتهد الشباب في المـتـرو في التوزيع الموسـيـقـي. نـشـأت فـي عائلة «سمّيعة» وهـذا أكسبني الكثير. أخلص إلى النغمات خلال الكتابة ولست بزكريا أحمد.

«برموشكن راح منلزق» فهل لديهم إحساس؟
وصالات القمار بل في المسارح ودور السينما

القدس العربي
الاسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) ✻ فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
✻ هاتف/ فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
✻ هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 ✻ هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk ✻ www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) ✻ Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco ✻ Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 ✻ Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي

السنة الثانية والثلاثون العدد 9934 الأحد 14 حزيران (يونيو) 2020 – 22 شوال 1441 هـ

Volume 32 - Issue 9934 Sunday 14 June 2020

فرنسا: حملة لإزالة التماثيل التي تمجد شخصيات عنصرية واستعمارية

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

تشهد بعض المدن الفرنسية كباريس وليون وليل ولاريونيون ومارتينيك...إلخ هذه الأيام حملة لإزالة التماثيل التي تمجد الشخصيات التاريخية التي شاركت في الاستعمار أو دعمته. وأعاد الجدل والنقاش في البلاد حول أماكن بعض هذه التماثيل مع تزايد الحملات المطالبة بإزالتها؛ في أوج حركة «حياة السود مهمة» في الولايات المتحدة والنقاشات حول العنصرية التي أثارتها وفاة الأمريكي ذي البشرة السوداء جورج فلويد اختناقاً تحت ركبة شرطي أبيض.

يقول النشطاء المناهضون للعنصرية إنهم سئموا من بقائهم محاطين برموز تهينهم. ومن بين الأعمال التي هي محل انتقاد في فرنسا، تمثال يمجد الوزير المشهور في عهد الملك لويس الرابع عشر كولبير، أمام قصر الجمعية الوطنية في باريس. هذا الأخير هو من أصدر القانون الذي شرع الرق في المستعمرات الفرنسية في القرن السابع عشر.

ويرى غيسلين فيدو، رئيس المجلس التمثيلي للجمعيات السوداء «Cran» أن هذا التمثال لم يعد له مكان أمام قصر بوربون (الجمعية الوطنية) باعتبار أن «كولبير يزمز إلى النهب والجريمة ونزع الإنسانية»، مشددا على ضرورة أن يكون هناك عمل تربوي معمق. ويعتبر أصحاب هذه الحملات المطالبة بنزع التماثيل التي «يجسد أصحابها رموزاً للعنصرية والاستعمار» أن من غير الممكن تصور وضع تمثال لشخص مثل الوزير كولبير في متحف ووضع لوحة تشرح أن هذا الشخص كان يقف وراء استعباد الناس. لكن المؤرخ ديمتري كاسالي شدد في عريضة على أنه «يجب تحمل المسؤولية في ما يتعلق بالتاريخ» معتبرا أن «إزالة التمثال ليس الحل، بل على العكس، يفتح المجال أمام التحريف التاريخي».

وفي مدينة ليل أقصى الشمال الفرنسي، يجد تمثال الجنرال لوي فيديرب نفسه موضع نقاش وجدل حيث تكافح جماعة من أجل إزالة هذا التمثال. ففيديرب قام بحماية المدينة خلال الغزو البروسي، ولكنه أيضا مَعروف وقبل كل شيء باحتلال السنغال ثم استعمارها في القرن التاسع عشر. ويوضح النشطاء المناهضون للعنصرية أن «فيدرب قبل كل شيء مجرم استعماري وعنصري، وأن هذا الماضي الاستعماري لا يذكر في تمثاله».

في مناطق فرنسا ما وراء البحار يثير التراث كذلك جدلاً واسعاً عاد إلى الواجهة مع قضية جورج فلويد،

إذ يطالب العديد من سكان جزر ريونيون بإزالة تمثال الحاكم السابق للجزيرة الذي استغل تجارة الرقيق واستخدمها في الأشغال العامة. أما في المارتينيك، فقد تم تحطيم تمثالين لفيكتور شويلشر في نهاية أيار/مايو الماضي. فهذا الرجل الذي قرر إلغاء الرق عام 1848 كان مدافعًا شرساً عن الاستعمار.

جائحة كورونا تلغي الاحتفال باليوم الدولي للانقلاب الشمسي في ستة معابد مصرية

تسببت الإجراءات الاحترازية التي اتخذتها مصر ودول العالم لمواجهة جائحة كورونا واستمرار إغلاق المعابد والمناطق الأثرية المصرية، في إلغاء الاحتفالات التي ترافق ظاهرة تعامد شمس الظهيرة على ستة معابد مصرية قديمة.

وتتزامن هذه الظاهرة، التي تحدث يوم 21 حزيران/يونيو الجاري في معابد دندرة وادفو وأبيدوس وهيبس ومعبدين في الكرنك، مع حدوث الانقلاب الشمسي، الذي أوصت الأمم المتحدة بالاحتفال به في ذلك اليوم كل عام .

وكانت ظاهرة الانقلاب الشمسي مناسبة عظيمة لإقامة احتفالات كبرى منذ القدم.

ويقول المدير العام لآثار الأقصر ومصر العليا، الدكتور محمد يحيى عويضة، إن مصر القديمة عرفت تلك الاحتفالات قبيل آلاف السنين، وأن قدماء المصريين عرفوا الانقلاب الصيفي والشتوي للشمس، كما عرفوا الاعتدالين الربيعي والخريفي والكثير من الظواهر الفلكية، مشيرا إلى أن ظاهرة الانقلاب الشمسي كانت مناسبة لحدوث ظواهر فلكية أيضا.

وكشف رئيس الجمعية المصرية للتنمية السياحية والأثرية، أيمن أبو زيد، عن أن معابد الكرنك الشهيرة، التي شيدها ملوك وملكات مصر القديمة في البر الشرقي لمدينة الأقصر، تشهد سنويا، وتحديدا يومي 21 و22 من شهر حزيران/يونيو واحدة من أكبر الظواهر الفلكية التي عرفتها مصر القديمة.

ولفت إلى أن شمس الظهيرة تتعامد خلال هذا اليوم على ستة معابد مصرية قديمة، هي دندرة في قنا، وهيبس في الوادي الجديد، وإدفو في أسوان، وأبيدوس في سوهاج، ومعبدي بتاح ورمسيس

الثالث وسط مجموعة معابد الكرنك الشهيرة في مدينة الأقصر.

وأوضح أنه في ذلك اليوم تسطع أشعة الشمس على التماثيل المقدسة بغرف تقديم القرابين، في يوم الانقلاب، إيذانا ببدء فصل الصيف لدى قدماء المصريين.

ويشير أبو زيد إلى أن الظاهرة ستجري هذا العام بلا رصد وبلا احتفالات وفي غياب السياح للمرة الأولى، جراء غلق المعابد وتوقف الحركة السياحية، ضمن حزمة إجراءات فرضتها وزارة السياحة والآثار، في ظل خطط تستهدف مواجهة فيروس كورونا المستجد. وحسب الأمم المتحدة، فإن «الانقلاب الصيفي والشتوي والاعتدالين الربيعي والخريفي هي رموز لخصوبة الأرض ونظم الإنتاج الزراعي والغذائي والتراث الثقافي والتقاليد، وأن الاحتفال بهذه المناسبات هو تجسيد لوحدة التراث الثقافي البشري، فضلا عما لتلك الاحتفالات من دور في تعزيز العلاقات بين الشعوب على أساس الاحترام المتبادل ومثل السلام وحسن الجوار». (د ب أ)

فنانو العالم يحتفون بشخصية جورج فلويد

كانت الاحتجاجات على العنصرية التي أشعلها موت الأمريكي الأسود جورج فلويد مصدر إلهام فني في أنحاء المعمورة، من جداريات في سوريا وباكستان، إلى رسوم غرافيتي في نيروبي.

على سور برلين، لاح رسم ضخم لفلويد وبجواره حروف كبيرة باللون الأصفر تشكل عبارة «لا أستطيع التنفس» تلك الكلمات التي كررها قبل أن يلفظ أنفاسه بعد أن جثم شرطي أبيض في مدينة مينيابوليس الأمريكية بركبته على عنقه لما يقرب من تسع دقائق وهو رابض على الأرض.

أما الفنان السوري عزيز الأسمر، فقال إنه يريد أن يبعث رسالة تضامن من خلال جداريته.

قال الأسمر «بعدما شهدنا تزايد العنصرية ضد السود في الولايات المتحدة، ولأن من واجبنا الوقوف مع كل القضايا الإنسانية حول العالم، رسمنا اليوم على جدار دمرته طائرات الأسد في إدلب».

وأضاف أن صور فلويد أعادت إليه صورة أطفال سوريا الذين قُتلوا في هجمات يشتبه بأنها كيميائية في دمشق وخان شيخون.

وفي أفغانستان، كان حاجز بأحد طرق كابول هو الخامة التي رسم عليها مهر أقا سلطاني، وهو أحد أعضاء مجموعة (آرت لوردز) للفنانين الناشطين. قال «جورج فلويد شخصية عالمية الآن، وقُتل في الولايات المتحدة بسبب بشرته السوداء. نريد أن نقول لا للتمييز لأن التمييز لا يعود بالنفع». وفي باريس، صور الفنان دوجودو الذي اشتهر بالرسم على جدران الشوارع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب كشرطي يضغط بركبته على عنق فلويد بينما هو يمسك بنسخة من الكتاب المقدس.

وتشير الجدارية إلى صورة لترامب وهو رافع الإنجيل أمام كنيسة سانت جونز في واشنطن بعدما أزاحت الشرطة بالقوة المحتجين من حديقة قريبة لإخلاء المنطقة له.

وفي باكستان، التي تشيع بها الشاحنات المرسوم عليها بألوان زاهية، رسم الفنان حيدر علي المقيم في كراتشي صورة لفلويد على جدار في بيته.

قال علي الذي يتوق للرسم على الشاحنات مجددا لنشر رسالته الخاصة بفلويد «رسمت هذه الشموع ولونت تلك الأزهار كإكليل حول عنقه تكريما له». (رويترز)